

جامعة المنصورة
كلية الآداب
قسم التاريخ

التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي
(٥٦٧ ــ ٩٢٣ هـ/١١٧١ــ١٥١٧م)

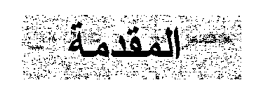
بحث مقدم من الطالب/ عبد الله عيد كمال سيد
للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إشراف
الدكتور/ شلبي إبراهيم الجعيدي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

٢٠١١م



فهرس الموضوعات


المقدمة

المقدمة

تحظى الدراسات الحضارية الآن باهتمام كبير من جانب المؤرخين المحدثين نظراً لما تحتويه من تنوع في القضايا والأفكار، ولأنها لم تزل حقلاً بكرًا – في كثير من جوانبهـا – لـم ينهـل منـه الباحثون كثيراً، بعيداً عن الدراسات السياسية التي امتلأت بها دراسات الباحثين وأطروحاتهم، ولعـل نظم الدولة الإسلامية الإدارية – خاصة المحلية منها – لم تنل الاهتمام الكافي مـن قبـل المـؤرخين، وحسبنا في ذلك نظام التجسس الذي رغم أهميته البالغة في النظام الإداري بوصفه معبراً عـن قـوة الدولة ومدى كفاءة الجهاز التنظيمي لها، رغم ذلك فإن الدراسات التي تناولتـه كانـت ذات خطـوط عريضة لم تصل به إلى دراسة متخصصة تتناول العصرين الأيوبي والمملوكي ؛ لذا اتجـه اهتمـام الباحث إلى دراسة هذا النظام في العصرين الأيوبي والمملوكي نظراً لما يتمتع به من مكانة مرموقـة جعلته يلعب دوراً عظيماً في النهوض بأعباء البلاد في وقت كانت الحاجة فيه ملحة لنظام يعمل علـى وحدة وترابط المملكة ضد الخطر الصليبي وذلك لطردهم من البلاد الإسلامية في العصر الأيوبي وقد نجحوا إلى حد كبير في القيام بذلك، وتم حصرهم في عدد من المناطق في بلاد الشام، وعنـدما جـاء المماليك قاموا بتفعيل دور الجواسيس للقضاء عليهم تماماً وقد نجحوا في ذلك، وكـان يجـب علـى سلاطين المماليك الاهتمام بالجواسيس أكثر من ذلك، لأن الصليبيين أخذوا يتحينـون الفرصـة بعـد طردهم من مصر للانقضاض على أملاكهم في بلاد الشام، وكذلك الخطر المغولي الزاحف من الشرق، والخطر العثماني أيضاً، وبذلك كان نظام التجسس أحد الدعامات الأساسية التي ارتكز عليها سـلاطين الأيوبيين والمماليك.

فإذا كانت الخطط العسكرية، وأنواع الأسلحة وكثرتها تلعب الدور الرئيسي في نتائج المعارك الحربية فإن كل ذلك لابد وأن يبنى على معلومات عن مدى قوة العدو وأمـاكن تمركـزه، وطبيعـة أسلحته؛ لذا فإن كثيرًا من المعارك الحربية تتحدد نتائجها بناء على ما قام به عمال التجسس من جهد، ومدى دقة المعلومات التي وصلت إلى القيادة العسكرية، والقدرة على تحليلها والاستفادة منها.

يضاف إلى ذلك ما تميز به العصر الأيوبي من نزاعات بين أبناء الأسرة الحاكمة، وما تميز به العصر المملوكي من زيادة المؤامرات الداخلية بين السلاطين والأمراء من ناحية وبين الأمراء بعضهم البعض من ناحية أخرى، مما استدعى قيام كل طرف بالتجسس على الطرف الآخر، كل ذلك تتطلـب من السلاطين الاهتمام بالجواسيس والعناية بهم.

هذا؛ وقد قدر لهذا النظام أن يمر بفترات قوة وفترات ضـعف خـلال العصـرين الأيـوبي والمملوكي؛ ففي عهد السلطان صلاح الدين كان يمر بمرحلة من القوة لمواجهة الخطر الصليبي ولكن

ضعف في عهد خلفائه، وفي عهد الدولة المملوكية اهتم الظاهر بيبرس به كثيراً ،وظل يحتفظ بقوتـــه فيما يزيد عن نصف قرن من الزمان قبل أن يلحقه التدهور عقب وفاة الناصر محمد بـــن قـــلاوون وحتى نهاية دولة المماليك البحرية، ولكن مع بداية دولة المماليك الجراكسة ومجيىء الخطر التيموري بدأ الاهتمام بالجواسيس من أجل القضاء على هذا الخطر، ولكن بعد ذلك بدأ يمر بفترة ضعف طويلة في مواجهة الأخطار الخارجية، نتيجة للصراع المرير بين كبار الأمراء لنيل عرش السلطنة من ناحية فبدأ نشاطهم يتجه إلى الداخل للتجسس على أخبار الأمراء والسلاطين، ومع بداية الخطـــر العثمـــاني حاول السلاطين أن يعودوا بالتجسس إلى سابق عهدهم في الازدهار، ولكنهم لم يقووا على ذلك ممـــا كان من بين الاسباب التى أدت إلى سقوط الدولة المملوكية وقيام الدولة العثمانية.

ومن هنا تأتي أهمية الموضوع لمحاولة التعرف على تنظيم عمال التجســـس وطـــرق جمـــع المعلومات، وكيفية توصيلها للقيادات السياسية، ومدى تأثير ذلك على مواجهـــة الأخطـــار الخارجيـــة وتحقيق الأمن الداخلي بالبلاد.

قصارى القول :إن التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي كان له شكل آخر غيـــر الـــذي عرف به في العصور الإسلامية المبكرة، ورغم ذلك فإننا نفتقر إلى دراسة متكاملة عن نظام التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي، ورغم وجود بعض الدراسات التي تعرضت لنظام التجســـس فـــي العصرين الأيوبي والمملوكي، فإنها تناولته بصفة عامة ؛ مثل الدراسة التي قام بها الدكتور علي السيد علي عن الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك وهو بحث نشر في مجلة فكر؛ تناول فيه الأســـباب التي دفعت سلاطين المماليك إلى استخدام التجسس، وتناول علاقـــة الجواســـيس بـــديوان الإنشـــاء ودورالجواسيس في مواجهة الصليبيين والمغول، كما تناول بعض الظواهر الاجتماعية التي كان يؤثر فيها الجواسيس.

والدراسة التي قام بها الدكتور صلاح الدين البحيري عن المخابرات الإسلامية فـــي مواجهـــة الصليبيين وهو بحث نشر في مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، وتناول فيه الأسباب التي دفعت سلاطين الأيوبيين إلى استخدام التجسس، كما تناول فيه الفرق المسئولة عن جمع المعلومات داخل المعارك، كما تناول فيه دور أسرى الحرب والعلماء والرسل والسفراء الأجانب والشبكات السرية والبريد الســـري، وكذلك تناول فيه كيف تمكنت الدولة من مقاومة الجاسوسية المعادية.

والدراسة التي قام بها الدكتور جمال الدين الشيال عن الجاسوسية الأيوبيَّة وهو بحث منشـــور في كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، وتناول فيه استخدام سلاطين الأيوبيين للتجسس في مواجهـــة الخطر الصليبي.

والدراسة التي قام بها المستشرق الإنجليزي "Amitai" في بحث نشره في مجلة الجامعة الأمريكية بعنوان "Mamluk Espionage among Mangols and Franks"، وقد تناول فيه دور القصاد والمناصحين كأحد عمال التجسس، كما تناول دور الجواسيس في الحرب ضد المغول والصليبيين.

وبحثه الثاني الذي تحدث عنه في كتاب بعنوان: "Mongols and Mamluks (1260- 1281)"

قد تناول في أحد فصوله دور التجسس في مواجهة الخطر المغولي والصليبي والأدوار التي قاموا بها من جمع المعلومات عن الأعداء ومساعدة المماليك في القضاء عليهم والقبض على جواسيس المغول والصليبيين الذين يحاولون التجسس على أحوال المماليك.

أما دراسة نظام التجسس في العصر الأيوبي أو المملوكي دراسة وافية تتناول علاقة التجسس بديوان الإنشاء، والعمال القائمين على هذا النظام وشروط توليهم لوظائفهم، وبيان رواتبهم، وكيفية جمع المعلومات في ميدان المعارك أو خارج المعارك، وكيفية توصيل هذه المعلومات إلى الدولة في حالة تعذر عمال التجسس عن الوصول إلى الدولة، والدور الفعال الذي قاموا به في الخارج والداخل والعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذي تم الكشف عنهم فلم يتم الحديث عنه بشكل متكامل .

وعلى الرغم من أن العصر الأيوبي والمملوكي اشتهر بوفرة مصادرهم، فأن من أهم الصعوبات التي واجهت الدراسة تتمثل فى أن هذه المصادر قد تميزت بندرة المادة التاريخية الخاصة بالتجسس، وغلب على تلك المصادر الاهتمام بإبراز الأحداث السياسية وندرة الاهتمام بالجوانب الإدارية، مما زاد من صعوبة هذه الدراسة.

أما بالنسبة للمنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج التحليلي الذى يقوم على رصد طبيعة نظام التجسس والربط بينه وبين العوامل السياسية ،والمنهج الإحصائي لمعرفة أعداد العمال الذين عملوا بالتجسس والعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة، والمؤامرات والفتن التي حدثت في العصرين الأيوبي والمملوكي ورصد نجاح وفشل الجواسيس في الكشف عنها.

وتعتمد هذه الدراسة بصفة أساسية ــ كما سبق أن أوضحت ــ على إبراز الدور الفعال والمؤثر لنظام التجسس في مختلف المجالات السياسية والحضارية في هتين العصرين في ظل الظروف الحربية التي كان يعيشها العصر آنذاك، مع مراعاة أن نظام التجسس كان خاصاً بالدولة والسلطان دون عامة الشعب.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد، وأربعة فصول؛ أما التمهيد فتناولت فيه مفهوم التجسس اللغوي،والاصطلاحي.

كما خصصت الفصل الأول للحديث عن إدارة التجسس، وبينت أن رئيس ديوان الإنشاء كان له حق الإشراف على عمال التجسس، ثم انتقلت للحديث عن عمال التجسس مبيناً وجود أكثر من عامل لخدمة هذا النظام، وبينت الشروط التي يجب أن تتوافر فيهم، واستعرضت كذلك رعاية الدولة للقائمين بالتجسس سواء من الناحية الاقتصادية أو الرعاية الاجتماعية وقد أنهيت الفصل بهذه الرعاية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن عملية جمع المعلومات؛ سواء في ميدان المعارك الحربية البرية، وذكرت العديد من هذه الفرق التي كانت تقوم بهذا الدور، وكذلك جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية، وذكرت العديد من السفن البحرية التي كانت تقوم بعملية جمع المعلومات أثناء المعارك البحرية، وأهم الحملات الاستطلاعية التي كانت تحدث لتحسس الأخبار وجمع المعلومات، وتحدثت عن مصادر جمع المعلومات خارج ميدان المعركة عن طريق الأشخاص الذين يزاولون مهناً غير رسمية في الدولة، كما ألقيت الضوء على وسائل وطرق نقل المعلومات من هؤلاء العمال إلى الدولة؛ وكانت هذه الوسائل متمثلة في الخيول والهجن، والحمام الزاجل، والنار والدخان، والمراكب البحرية، وذيلت الفصل بالحديث عن عملية التعمية في إرسال هذه الأخبار التي تمَّ جمعها من قبل العمال إلى الدولة وهو ما نسميه في عصرنا الحالي بـ "الشفرات السرية".

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن التجسس والأخطار الخارجية؛ فتحدثت عن دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني وكيف استطاع عمال التجسس لعب دور خطير في مواجهة هذه الأخطار والتغلب عليها في أغلب المواجهات التي دارت بينهم وطردهم من البلاد وحماية البلاد من خطر إغارتهم، كما تحدثت عن دور جواسيس الأعداء في مساعدتهم على دخول الأراضي الأيوبية والمملوكية، وكيف استطاع العثمانيون بفضل نشاط هؤلاء الجواسيس من القضاء على الدولة المملوكية وإقامة الدولة العثمانية على أنقاضها.

أما الفصل الرابع الأخير فقد خصصته للحديث عن دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي، وأوضحت فيه الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمن الدولة من جواسيس الأعداء، كما أوضحت الدور الذي لعبه الجواسيس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية التي كان يدبرها السلاطين للأمراء، والأمراء للسلاطين، والأمراء للأمراء، كما أظهرت الدور الذي لعبه الجواسيس في التقليل من خطرهم في عهد الأيوبيين والمماليك وكيف استخدم السلاطين هؤلاء الشيعة المتمثلين في "الفداوية" في تنفيذ عمليات الاغتيالات السياسية ضد الأعداء، بالإضافة إلى الدور الذي لعبه الجواسيس في التعرف على حركة الأسواق والأسعار وحماية التجار، كما أوضحت دور المرأة في العمل التجسسي في العصر الأيوبي والمملوكي، وختمت الفصل بالعقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذي تم الكشف عنهم.

وأنهيت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وذيلتهـا بمجموعـة مـن الملاحق واللوحات،وثبت تضمن أهم المصادر والمراجع التي استعنت بها في إعداد هذه الدراسة.

وقد استلزم إعداد هذه الدراسة الرجوع إلى العديد من الوثائق والمصادر والمراجع التي أمدت البحث بمعلومات تاريخية مهمة منها :مخطوطتان الأولى : "تفريج الكـروب فـي تـدبير الحـروب" لصاحبه الرشيدي ؛وقد أفاد هذا المخطوط البحث في الشروط الواجب توافرها في عمـال التجسـس، واستفاد البحث منه في معرفة بعض الفرق العسكرية التي تخصصت في مجـال جمـع المعلومـات، وعرفنا بعض الأشخاص الذين يقومون بجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية، كما أفاد في وسائل وطرق نقل المعلومات التي يجمعها القائمين بالتجسس.

والثانية : "التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية" لابن منكلي، وهو محمد بن منكلي الناصر المتوفي عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، وقد أمد البحث بأهم الإجراءات الوقائية التي اتخـذتها الدولـة لحماية أمنها من جواسيس الأعداء، كما أمد بدور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية وتحدث عن بعض الفرق ودورها في مجال التجسس.

كما استعان الباحث بكثير من المصادر المطبوعة وبخاصة تلك التي عاصر مؤلفوها الأحداث، بل وشاركوا فيها، ومنها: "النوادر السلطانية"، لابن شداد توفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م وقـد أمـد هـذا المصدر البحث بمعلومات وافية عن جامعي المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحريـة ،وكـذلك جمع المعلومات خارج ميدان المعارك، ومواجهة الأخطار الخارجية.

و"الفتح القسي في الفتح القدسي"، للعماد الأصفهاني، وهو أبو عبد الله محمد بن تقـي الـدين العماد توفي عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م واستفاد البحث به فى الحديث عـن دور التجسـس فـي مواجهـة الأخطار الخارجية.

ومن أبرز المصادر التاريخية أيضاً كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر" لابن أيبـك الـدواداري والذي تحدث عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية، ووسائل وطرق نقل المعلومات، وجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحرية، دور التجسس في مواجهة الشيعة.

أما كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" للقلقشندى، وهو أبو العباس القلقشندى ولد فـي عام ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، وتوفي عام ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، ولقد حفل هذا المصدر بالمزيد من التفاصيل عن التجسس وذلك من خلال التواقيعات والوصايا الصادرة للجواسيس التي تتضمن شروط تولي مناصبهم وسلطات كل منهم وما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، كما أخبر عن أهـم عمـال التجسـس والشفرات السرية التي كان يستخدمها العمال في إرسال معلوماتهم ووسائل وطرق نقـل المعلومـات، ومرتبات عمال التجسس.

وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" من المصادر المهمة التي أثرت هذه الدراسة نظراً لما يحتويه من معلومات مهمة عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية، ودور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية، وتحدث عن دور المرأة في التجسس، والإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها.

أضف إلى ذلك كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي والذي أفادنا بالكثير من المعلومات المهمة بالنسبة لهذه الدراسة فيما يتعلق بدور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية، ودور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية.

ويعد كتاب "عقد الجمان" للعيني من أهم المصادر التي تحدثت عن جمع المعلومات، ووسائل وطرق نقل المعلومات، بالإضافة إلى الحديث عن دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية والداخلية أيضاً.

كما يعد كتاب "بدائع الزهور في وقائع الدهور" لابن إياس من المصادر التاريخية المهمة في العصر المملوكي الجركسي الذي أمد البحث بمعلومات مهمة عن فترة النزاع العثماني المملوكي ودور التجسس فيها والعقوبات التي طبقت على الجواسيس.

وتأتى كتب الرحلات ومنها ابن بطوطة ت٧٠٣هـ ،وابن سعيد المغربى مصادر لاغنى للباحث عنها ، فكل منهم دون ما شاهده فأثرت مشاهداتهم البحث فى مختلف فصوله.

وكتاب "معيد النعم ومبيد النقم" للسبكي توفي عام ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م قد أفاد البحث في اختيار الجاسوس وقدم بعض النصائح للحكام من أجل التعامل معهم.

وبالإضافة إلى هذه المصادر كانت هناك مجموعة كبيرة من المراجع الأبحاث الحديثة باللغات العربية والأجنبية التي عاونت في استجلاء غوامض هذه الدراسة وسهلت الرجوع إلى بعض المصادر المذكورة، وقد أشرت لبعضها في مقدمة الدراسة وأضربت صفحاً عن باقيها لكثرتها، واكتفيت بالإشارة إليها في هوامش الدراسة كما أثبتها في نهاية الدراسة.

وفي النهاية أهدي باقات الشكر والعرفان لكل من مد لي يد العون وأفادني بالنصح والإرشاد، وأحسب أن كلمات الشكر والتبجيل لا تفي حق مشرفي الأستاذ الدكتور شلبي إبراهيم الجعيدي أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بجامعة المنصورة الذي أضاء لي طريق البحث العلمي بوافر علمه، وسديد رأيه، ودقة نصائحه وتوجيهاته، فلم يبخل علي بعلمه وجهده، كما أمدني ببعض الكتب والأبحاث التي عاونتني في بحثي، فكان بمثابة النبراس الذي صاحبني خلال رحلتي في هذه الدراسة حتى وصلت بها إلى بر الأمان فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذين الجليلين الأستاذ الدكتور/عبدالمجيد أبوالفتوح بدوى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة المنصورة.

والأستاذ الدكتور /البيومى اسماعيل الشربينى أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد بكلية الآداب والعلوم الأنسانية جامعة قناة السويس على تفضلهما بالموافقة على مناقشة هذا العمل المتواضع.

كما أتوجه بخالص شكري وتقديري للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل الذي ساعدني في اختيار الموضوع، والدكتور علي السيد الذي فتح لي مكتبته على مصراعيها كي أنهل منها ما أفاد بحثي كثيراً.

وَأخيراً أخص بالشكر والتقدير والاحترام والعرفان كلاً من جدى الذي وقف بجانبي وساعدني وشجعني على طريق العلم وأبي وأمي وإخوتي الذين عاشوا معي كل مراحل البحث ومدوا إلي يد المساعدة من جهدهم ووقتهم فجزاهم الله عني خير الجزاء.

ذلك مبلغي من العلم، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي.

والله ولي التوفيق

تمهيد

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتجسس:

التجسس: مشتق من الفعل جسس، وجاء في لسان العرب: "جس الخبر وتجسسه [illegible]

والتجسس: من "الجس" والجس: اللمس باليد[1] كالاجتساس، وموضعه المجسة، والجمع مجسات [illegible] ومجسة ولمسه، وتفحص الأخبار، وتبحثها عنها كالتجسس[2]، والمجس: مس العرق وتعرف [illegible] عليه للصحة والسقم ومنه اشتق لفظ الجاسوس[3].

وجس الشيء بيده يجسه جساً: مسه بيده ليعرفه[4]، وجس الأرض جساً: وطئها، [illegible][5]، ويقال [illegible] واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها، والقائم بهذا العمل يسمى جاسوساً أو [illegible] وتجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه، ومنه التجسس، يقال: تجسست فلاناً، أي بحثت [illegible]، والتحسس (بالحاء المهملة): التعرف من الحس، يقال: تحسست الخبر، وتجسستها بمعنى [illegible] قريبها، فلا يتعدى أحدهما من الآخر، لأن التجسس: البحث عما يتم، والتحسس [illegible] طلب الأخبار والبحث عنها، يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن "تفعل"، كما [illegible] من اللمس، لما في اللمس من الطلب، قال تعالى: "وأنا لمسنا السماء"[5] فالمعنيان متحدان إلا [illegible] يعرف ومعرفة الأخبار[6] فالتجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر التجسس [illegible]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج6، بيروت، دار صادر، 1955م، ص38.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص38.
[3] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مج4، ج8، دراسة وتحقيق علي شيري، بيروت، دار الفكر، 1994م، ص169.
[4] المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ج1، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، 1990م، ص243. [illegible] القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، دار الفكر، 1982م، ص62.
[illegible] عبد الله البستاني، فاكهة البستان، بيروت، مكتبة لبنان، 1930م، ص262.
[illegible] المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، 2000م، ص105.
[illegible] ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص38.
[5] القرآن الكريم، سورة الجن، آية رقم 8.
[6] الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج1، ط2، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، [illegible]

التمهيد

أولاً: المعنى اللغوي والاصطلاحي للتجسس:

التجسس: مشتق من الفعل جس، وجاء في لسان العرب "جس الخبر وتجسس بحث عنه وفحص"[1].

والتجسس: من "الجس"، والجس: اللمس باليد[2] كالاجتساس وموضعه المجسة، يجسه جساً، واجتسه أي: مسه ولمسه، ويتفحص الأخبار والبحث عنها كالتجسس[3]، والجس: مس العرق وتعرف نبضه للحكم على الصحة والسقم ومنه اشتق لفظ الجاسوس[4].

وجس الشئ بيده يجسه جساً: مسه بيده ليتعرفه[5] وجس الأرض جساً: وطئها "وطأها"[6] ويقال تخبر الخبر، واستخبر إذا سأل عن الأخبار ليعرفها، والقائم بهذا العمل يسمى مخبراً أو صاحب الخبر[7]، وتجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه، ومنه التجسس. يقال تجسست فلاناً، أي بحثت عنه كتجسست. والتحسس (بالحاء المهملة): التعرف من الحس. يقال تحسست الخبر، وتجسسته بمعنى واحد لتقاربهما، فليس يتعدى إحداهما من الأخرى، لأن التجسس: البحث عما يتم، والتحسس (بالحاء المهملة) طلب الأخبار والبحث عنها، يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه على وزن "تفعل"، كما أن التطلب من اللمس، لما في اللمس من الطلب، قال تعالى: "وأنا لمسنا السماء"[8] فالمعنيان متحدان إذ مآلهما واحد، وهو معرفة الأخبار[9] فالتجسس بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وقيل التجسس

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، بيروت ، دار صادر،١٩٥٥م، ص٣٨.

(2) ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، ص٣٨.

(3) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مج٤، جـ٢، دراسة وتحقيق على شيرى ، بيروت ،دار الفكر، ١٩٩٤م، ص١١٩.

(4) المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، جـ١، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠م، ص٢٤٣ ؛ سعيد أبو حبيب: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م، ص٦٢.

(5) عبد الله البستاني: فاكهة البستان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٣٠م، ص٢١٢.

(6) إبراهيم أنيس: المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م، ص١٠٥.

(7) ابن منظور: لسان العرب، جـ٦،ص٣٨.

(8) القرآن الكريم: سورة الجن، آية رقم ٢١٨.

(9) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، جـ١، ط٢، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١هـ، ص٢١٤ .

بالجيم أن يطلبه لغيره، وبالحاء أن يطلبه لنفسه، وقيل بالجيم : البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع لحديث القوم وطلب خبرهم في الخبر[1].

وبالنظر إلى هذه الأقوال يتضح أن التجسس والتحسس معناهما واحد، فكلاهما يعني البحث عن الأخبار وتفحصها بصورة خفية، ومعرفة الأمور، والبحث عنها وطلبها[2].

وأما المعنى الاصطلاحي للجاسوس فقد وردت عدة تعريفات بشأنه منها: أن الجاسوس هو الشخص الذي يعمل في الخفاء أو تحت ستار ؛فيحصل أو يحاول الحصول على المعلومات في منطقة الحركات العسكرية لأحد المحاربين بغية إبلاغها للخصم[3]، فالجاسوس والجسيس الذي يتبحث أخبار الناس للحكام[4].

ونستنتج من التعريف السابق للجاسوس أن التجسس هو: البحث والتفتيش عما يخص من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو، بواسطة أجهزة التجسس بقصد الإطلاع عليها والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة.

فالجواسيس عناصر قتالية، وإن لم يباشروا القتال الفعلي فهم يقاتلون العدو داخل صفوفه من خلال كشف خططه ونواياه. ويتوقف على المعلومات التي يقدمونها وضع الخطط الحربية، لذلك فالجواسيس عناصر عسكرية أو مدنية تؤدي خدمات لا غنى عنها للقيادة[5]. ،وتتسع مهمتهم حتى تشمل معرفة نوايا خصوم الدولة؛ سواء من المعارضين، أو المناوئين، أو معرفة جواسيس العدو وعيونه ومعرفة أخبار المواطنين والرعية بشكل عام[6].

---

(1) الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، ج1، ص214 .

(2) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، 1985م، ص25.

(3) وهبه الزحيلي: العلاقات الدولية مقارنة مع القانون الدولي الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981م، ص61.

(4) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرون، ج3، بيروت، دار الفكر،(د.ت)، ص106.

(5) خالد جاسم الجناني: حضارة العراق، ج6، مقال: الجيش والشرطة، بغداد، 1984م، ص254.

(6) عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1991م، ص90.

وهناك مترادفات للجواسيس، إذ وردت بمعنى "العيون"، ومفردها "عين، والعين: هو الشخص الذي يُبعث ليتحسس الخبر، وينظر للقوم، ويسمى ذا العينين، وتسميه العرب ذا العُوينين، وبعثنا عينا يعتاننا ، ويعتان لنا: أي يأتينا الخبر(١).

كما أن العين هو: الجاسوس، لأنه يتتبع الأخبار ويفحص عن بواطن الأمور، ثم استعير لنظر العين، والعين هو الجاسوس(٢).

وبالنظر إلى ذلك يتضح لنا أن الجاسوس هو العين الذي يتجسس الأخبار ثم يأتي بها(٣) تقول : " عان القوم ولهم عيانه، صار عينا لهم، وصار عينا عليهم، كان عينا عليهم"(٤).وقد ذكرت معظم كتب الفقه "الجاسوس" بمعنى العين، (٥)وسمي بالعين لأن عمله بعينيه(٦).

ونجد أن كلمة عين ترد ملازمة مع كلمة جاسوس بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن نميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيع أن يناقش إحداهما دون الرجوع إلى الأخرى، على أن الظاهر أن كلمة جاسوس تستعمل بصفة أخص للدلالة على العين الذي يرسل بين صفوف العدو(٧).

ووردت ــ أيضاً ــ بمعنى "الربيئة" حيث سمت القبائل العربية قبل الإسلام الشخص الذي يجمع أخبار العدو، ويبحث عن مواقع ضعفه وعن حركاته وسكناته "الربئ أو الربيئة". والربيئة هو الطليعة، والجمع ربايا(٨) والطليعة هو العين ،وإنما يقال له عين لأنه يرعى أمورهم ويحرسهم. وهو ينظر القوم لئلا يدهمهم عدو، ولا يكون الربيئة إلى على جبل أو شرف ينظر منه(٩).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص٣٠١- ٣٠٣ ؛ الخزاعي التلمساني: تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٥م، ص٤٦٦.

(٢) المناوي: التوقيف على مهمات التعريف، ج١، ص٣٤٤.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٨.

(٤) إبراهيم أنيس: المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص٦٤١.

(٥) ابن عابدين: حاشية ابن عابدين، ج٣، القاهرة، دار الطباعة المصرية، ١٩٧٢م، ص٢٤٩.

(٦) عبد الغني: العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول ،رسالة دكتوراه غير منشورة،آداب طنطا،٢٠٠٣م، ص٢٧.

(٧) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص٢٩ ؛ عبد الغني: العيون والجواسيس، ص٢٨.

(٨) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٨٢ ؛ التلمساني: تخريج الدلالات السمعية، ص٣١١.

(٩) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٨٢.

ومنها أيضاً الدسائس، وهي دسيس: ويعني إدخال الشئ من تحته، دسه يدسه دسّاً فاندس ودسسه ودساه، ويقال الدس دَسَّ شيئاً تحت شئ وهو الإخفاء، والدسيس: إخفاء المكر. والدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار، وقيل الدسيس: شبيه بالمتجسس، ويقال: اندس فلان إلى فلان يأتيه بالنمائم[1].

ومنها أيضاً الخيانة أو الخونة: خون المخانة: خون النصح وخون الود، والخون على محن شتى. وفي الحديث: المؤمن يطبع على كل خلق إلا الخيانة والكذب. ويقول ابن سيده: الخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح، خانه يخونه خوناً وخيانة وخانه ومخانه، وخون الرجل: نسبة إلى الخون. وفي الحديث: نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً لئلا يتخونهم أي يطلب خيانتهم وعثراتهم ويتهمهم[2]، وذلك لأن أصل الخيانة النقص لأن الخائن ينقص المخون شيئاً مما خانه فيه، والخيانة هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر[3].

(1) المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، جـ٨، ص٢٨٥ ؛ ابن منظور: لسان العرب، جـ٦، ص٨٢- ٨٣.

(2) ابن منظور: لسان العرب، جـ١٣، ص١٤٤.

(3) المرتضى الزبيدي: تاج العروس، جـ١٨، ص١٨٣.

الفصل الأول

إدارة التجسس

أولاً: ديوان الإنشاء

ثانيا: عمال التجسس.

ثالثاً: الشروط والصفات الواجب توافرها في عمال التجسس.

رابعاً: رعاية الدولة للقائمين بأعمال التجسس.

(1) Amitai- Mamluks and Mongols , Cambridge , 1995 , p.140

الفصل الأول

إدارة التجسس

كانت الأنشطة التجسسية الموجهة ضد الأهداف الخارجية والداخلية من اختصاص قسم مستقل بذاته في العصر الأيوبي أطلق عليه " العيون والجواسيس" وكان ذلك لتعرّف أخبار الأعداء. وعندما جاءت الدولة المملوكية طورت من استخدامها للعيون والجواسيس من أجل مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية[١] ، ووضعتهم تحت إشراف السلاطين والقادة العسكريين في أول الأمر[٢].

ونتيجة لانشغالهم في أمور متعددة أسندوا إدارته إلى شخص يثقون فيه، فأسندوه إلى صاحب ديوان الإنشاء والذي كان يستعين في إدارته بمجموعة من الأفراد للقيام بأعماله[٣]. وكان رئيس ديوان الإنشاء وهؤلاء العمال عبارة عن البنية الأساسية للهيكل التنظيمي لهذا الجهاز.

أولاً:- ديوان الإنشاء والتجسس

ظهرت أهمية ديوان الإنشاء منذ أن أدرك الإنسان حاجته إلى تهذيب ألفاظه، واستخدام الصناعات البديعية في كثير من شئونه[٤]، وبدت فيما ذكره ابن شاهين الظاهرى أهمية كتابة الإنشاء حين جعلها من " مقومات الملك وقواعد المملكة "، كما عدّ صاحبها من أهم أعوان السلطان وأقربهم مقاماً إليه بوصفه مطلعاً على أسراره وكاتماً لها في الوقت نفسه[٥].

وقد ظهر لأول مرة مصطلح " ديوان الإنشاء " خلال العصر الفاطمي[٦] وقد دعت الحاجة إليه

---

(1) Amitai: Mamluks and Mongols , Cambridge , 1995 , p.140.

(٢) عبد الغني عبد السلام : العيون والجواسيس ، ص٢٩٩.

(٣) المقريزي : الخطط المقريزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ٢ ، القاهرة ، مطبعة النيل ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ؛ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٥٣م ، ص ١١٠ ؛ عبد المنعم ماجد : نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو ، ١٩٧٩م ، ص ٦٥.

(٤) الطبري : عيون المسائل في أعيان الرسائل، رتبه وطبعه محمد عمر الحسامي البيروتي ، القاهرة ، مطبعة السلام ، ١٩٦١م ، ص٣٣ ؛ سند أحمد : البريد في عصر سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ٢٠٠٠م، ص٤٩.

(٥) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط ٢ ، صححه بولس راويس، نقحه توفيق تعسيم ، القاهرة ، دار العرب للبستاني ، ١٩٨٨م ، ص٩٩–١٠٠.

(٦) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ ٢ ، القاهرة، دار النهضة العربية ، ١٩٦٥م، ص٦٦٨.

آنذاك بعد أن صارت مصر مركزاً لخلافة امتد نفوذها من بلاد المغرب إلى الشام وجزيرة العرب[١]. إلى جانب حاجة الدولة الفاطمية لمراقبة الناس والاطلاع على أحوالهم ومتابعة أخبار أعدائها وبالتالي اهتمت بديوان الإنشاء كثيراً[٢]، ثم زاد اهتمام الخلفاء الفاطميين به، وأولوه عنايتهم حتى ارتقى في الآفاق[٣]، وصار مظهراً من مظاهر الاستقرار والأصالة السياسية والإدارية.[٤] ؛ لدرجة أن المرء يخال للوهلة الأولى أن صاحب ديوان الإنشاء هو المسئول عن الاستخبارات ، نظراً للأهمية التي كان يتمتع بها عند الخلفاء الفاطميين.[٥] وكان أغلب عناصر الاستخبارات الفاطمية قد انتشروا في ديوان الإنشاء[٦]، وهذا يدل على أن ديوان الإنشاء كان المشرف الأساسي والمسئول الأول عن عمليات التجسس والتخابر في العصر الفاطمي.

ومع سقوط الدولة الفاطمية ومجيء الدولة الأيوبية اهتم الأيوبيون كثيراً بديوان الإنشاء وأولوه عناية خاصة ، وقد كان اهتمامه به ليقوم ضمن ما يقوم به بالإشراف على عمال التجسس، فأصبحت إحدى المهام الأساسية له في العصر الأيوبي ممارسة مهام التجسس في وقت كانت الدولة الأيوبية في أشد الحاجة لذلك نتيجة صراعهم وحروبهم المتواصلة مع الصليبيين وأثناء فترات النزاع الداخلي بين أبناء البيت الأيوبي خاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي في ٢٧ صفر ٥٨٩ هـ / ٤ مارس ١١٩٣م. [٧]

ومع اعتلاء سلاطين المماليك العرش بلغ ديوان الإنشاء أوج ازدهاره، وصار أحد الدعائم الأساسية التي ارتكز عليها النظام الإداري، حيث وضعت له الضوابط والشروط التي جعلت منه إدارة مستقلة بذاتها، وكفلت له الرقي والازدهار.[٨]

وقد ساعد على ازدهار ديوان الإنشاء في هذا العصر استمرار مصر في إدارة دفة السياسة الإسلامية باعتبارها قلب العالم الإسلامي، ونظراً لكثرة اتصال المماليك بالصليبيين والمغول على

---

(١) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، جـ ١ ، القاهرة، دار الفكر العربي ، ١٩٩٠م، ص٨٥.

(٢) حسن محمد ومحمد عبد القادر: صاحب الخبر في الدولة الإسلامية ، العين ، مركز الدراسات، ٢٠٠٣م، ص٣٩٤.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ١ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية، ١٩١٨م، ص٩٦.

(٤) سوسن محمد نصر: القاضي الفاضل وصلاح الدين، القاهرة، دار الزهراء ، ١٩٩٠م، ص١٥٩.

(٥) أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م، ص٢٢٣.

(٦) أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية، ص٢٢٥.

(٧) صلاح الدين البحيري: المخابرات الإسلامية في مواجهة الخطر الصليبي ، مجلة كلية الآثار، ع ٣، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٨.

(٨) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٥١.

نطاق واسع[1]،وازادت أهميته نتيجة للاضطرابات التي منيت بها دولة المماليك في أول عهدها، فمن القضاء على الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وتهديد حدود الدولة المملوكية، ومن إخماد الفتن والمؤمرات، إلى إرسال البعوث السياسية للتجسس وطلب التأييد والنجدات، بالإضافة إلى النشاط الحربي ، فنتج عن ذلك أن زاد نشاط هذا الديوان زيادة أدت إلى تعدد اختصاصاته، بل والمبالغة في التخصص حتى وصل إلى درجة كبيرة من التفريع في سائر مهماته. [2]

[2]

وكان يقوم بالإشراف على الأمور التي يعود نفعها على الدولة[3]، و يسند له ما يسند لأجهزة المخابرات في الدولة الحديثة؛ من اهتمامه بالرقابة على الشئون الداخلية في الدولة[4]، ومعرفة أخبار الولايات بالإشراف على جهاز البريد والعناية بأبراج الحمام الزاجل، والاهتمام بالمناور على قمم الجبال لإشعال النيران في حالة قيام المغول أو الصليبيين بالإغارة على حدود المملكة.[5]

ويجب عليه تتابع النظر في مطاراته وعدته ورجاله ودوابه ولقطه وأبراجه المقررة له ومسافات التسريح. [6]

ومن مهامه ــ أيضاً ــ اختيار العيون والجواسيس، وإرسالهم إلى أراضي الأعداء، وبثهم بين صفوفهم؛ ضماناً لوصول أخبارهم إليه باستمرار الذي يقوم هو بدوره بإخبار السلاطين بهذه الأخبار فتأمن بذلك الدولة من شرهم وغاراتهم ،وتعد العدة لمواجهتهم، ويؤكد صاحب صبح الأعشى على ذلك بقوله"... وهو جزء عظيم من أسس الملك وعماد المملكة، وعلى صاحب ديوان الإنشاء مداره، وإليه رجوع تدبيره، واختيار رجاله، وتصريفهم".[7]

---

(1) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، جـ١، ص٥٤ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٥١.

(2) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م، ص٢٧-٢٨.

(3) حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م، ص٥٧.

(4) حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي ، ص٧٧.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى،جـ١١، ص٩٢-٩٣ ؛
Björkman , Beitrage Zur Geschichte der Staats Kanzlei im Islamischen Ägypten, Hamburg, 1928, p.89.

(6) السحماوي: المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب المنصورة، تحقيق أشرف أنس، ٢٠٠٤م، ص٤٠٦ .

(7) القلشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص٣١؛ جـ١١، ص٩٢-٩٣ ؛ علي السيد: الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك ، مجلة فكر، ع ١٠، القاهرة ،١٩٨٦م، ص١٣٦ ؛ سمير الدرويبي: البحوث حركة الترجمة والتعريف في ديوان الإنشاء،جامعة مؤتة، ٢٠٠٦م، ص٤.

كما كان يبثهم ـــ أيضاً ـــ حول نواب السلطنة في سائر الولايات لقمع أي تمرد أو عصيان من جانبهم في مهده[1]، ولهذا كان صاحب ديوان الإنشاء لا يشرف على الجواسيس للتجسس على أعداء الدولة من الصليبيين والمغول فقط بل كانوا يوجهون إلى داخل الولايات والنيابات التابعة للدولة المملوكية للتعرف على أخباره ويؤكد على ذلك أيضاً صاحب صبح الأعشى بقوله "... فيجب عليه الاحتياط في أمر الجواسيس أكثر مما يحتاط في أمر البريد والرسل؛ لأن الرسول قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو، والجاسوس لا يتوجه إلا إلى العدو".[2]

وكان يهتم بأمر الفداوية "الإسماعيلية"[3]، فكانت من المهام الأساسية والخطيرة لصاحب ديوان الإنشاء معرفة ما يتجدد من أخبارهم باعتبارهم أخطر فرق الشيعة على حياة السلطان، كما أنهم أصبحوا بعد ذلك الأداة المنفذة للاغتيالات السياسية في ذلك الوقت[4].

وكان من مهام ديوان الإنشاء قيامه بالإشراف والنظر في أمر "المهمندارية"[5]، والإشراف على التراجمة ومباشرة أمورهم بحيث إذا ما وردت رسالة من عمال الجهاز في الخارج عكفوا على ترجمتها حتى إذا ما فرغوا منها قاموا بعرضها على رئيس الديوان الذي يقوم بدوره بقراءتها على السلطان.[6]

وكان يقوم بالإشراف على السعاة والنجابة وحاملي الملطفات[7]،وتدريب الرسل والاعتناء بهم،

بهم،

---

(1) القلقشندي: ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر،جـ ١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٠٦م، ص٤٤-٤٥ ؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص٢٨٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٥٢.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص٣١ ، جـ١١، ص٩٢-٩٣.

(3) الفداوية : فرقة من الشيعة أسسها الحسن بن الصباح ، والفداوية هم عماد التنظيم النزاري وقوته الضاربة وذراعه العسكري التي طالت كل المناوئين للدعوة النزارية ، بحيث أوقعوا الرعب والفزع في مجالس العلماء والوزراء ، وفي بلاط الملوك والسلاطين ، وفي نفوس كل الأعداء والمعاديين. محمد المقدم : الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، ٢٠٠٥م ، ص ٦٧.

(4) حسن الباشا: الفنون، جـ٢، ص٦٧٠-٦٧١ ؛ سمير الدروبي، البواعث حركة الترجمة والتعريب ، ص٤-٥ ؛ Björkman: , Beitrage Zur Geschichte der Staats Kanzlei , Hamburg , p. 89.

(5) المهمندار:- الجمع مهمندار بفتح الميم، وهو فارسي معرب وأصله " مهمن " ومعناه الضيف، " ودار " ممسك أي ممسك الضيف ، السحماوي: المقصد الرفيع، ص٢٠٤.

(٦) السحماوي: المقصد الرفيع، ص٤٠٧

(٧) وهي عبارة عن أوراق، تكتب بخط رفيع، ويشملها الخط الشريف، بقلم الملطفات، ويكون مكتوبًا مكتوبًا فيها ما يقصده السلطان من الأمور، ويلف كالبطاقة السحماوي: المقصد الرفيع، ص٣٩٩.

وكان يتم عمل اختبارات لهم لانتقاء من يصلح منهم للرسالة نظراً لعمله في التجسس على الأعداء. (١)

ومن هنا أرى أن إشراف صاحب ديوان الإنشاء والنظر في أمر هؤلاء ينصب في إطار أنهم كانوا من الوسائل المساعدة إما في نقل الأخبار التي جمعها عمال التجسس أو القيام بعملية التجسس بأنفسهم.

وتوضح النصوص المتاحة لدينا عظم دور ديوان الإنشاء في الإشراف على عمال التجسس لأنه كان مطلع على كل أحداث الدولة وما يجري فيها في الداخل والخارج، والدليل على ذلك أنه تعهد للسلطان بأنه لا يفشى أسراره التي علمها من عمال التجسس سواء الداخلية والخارجية. (٢)

ونظراً لحاجة الدولتين ـــ الأيوبية والمملوكيةـــ للتجسس في ذلك الوقت بصورة كبيرة، حيث إنه لا يستقيم إلا إذا كان رئيسه على درجة كبيرة من الكفاءة، لذا نجد أن السلاطين قاموا بوضع بعض الشروط والصفات الواجب توافرها فيمن يعتلي هذا المنصب. مما يدل على عظمة ومكانة رئيس هذا الديوان بين سائر الوظائف الأخرى.

وقد أوردت بعض المصادر الشروط والصفات الواجب توافرها في رئيس ديوان الإنشاء ، ومنها أن يكون من كتمان السر بالمنزلة الكبيرة التي لا يقارن فيها بأحد من الناس وذلك حتى يقرر في نفسه إماتة كل حديث يعلمه، ويتناسى كل خبر يسمعه من عمال جهازه، ولا يطلع أي أحد على هذه الأخبار إلا السلطان فقط ؛وذلك لأن إذاعة هذه الأخبار وإفشائها تعرض الدولة لأخطار كبيرة جداً. (٣)

وكان عمال التجسس عندما يرسلون الأخبار عن الأعداء يستخدمون رموزاً وإشارات متعارف عليها بينهم وبين رئيس الديوان حتى لا يعلمها أحد وهو ما سوف نتحدث عنه في الفصل التالي؛ لذلك يجب أن يكون صاحب ديوان الإنشاء " بأعلى منزلة من الذكاء والفطنة واليقظة، والاستدلال بيسير القول على كثيرة ، ويستغني عن التصريح بالإشارة والإيماء لا بل بالرمز والإيحاء لينبه الملك على الأمور من أوائلها، ويعرفه خواتيم الأشياء ، ويحذره حين تبدو له لوائح الأمر قبل أن يتعرف عليها أحد. (٤)

ولما كانت الأخبار التي تأتي إليه من داخل بلاد الأعداء من جواسيسه الموجودين هناك كانت بلغات غير العربية، فكان من الواجب أن يكون عارفاً بلسان هذه الكتب ليترجمها بدلاً من التراجمة الذين كانوا في أحيان كثيرة يخونون الدولة ،ويفشون هذه الأخبار. (٥)

---

(١) سعيد عبد الله حارب: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة ،١٩٩٥م، ص٢٩٥

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـــ١ ، ص ١٢٩ .

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ١، ص١٠٦-١٠٧ ؛ ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، تحقيق أيمن فؤاد سيد، بيروت، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٠م، ص١٢-١٣.

(٤) ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، ص١٩.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ١، ص١٦٧.

ولخطورة منصب رئيس الديوان لكونه رئيساً للتجسس، فكان يشترط في صاحب ديوان الإنشاء أن يكون مسلماً وذلك لضمان السرية[1]، وذلك لأن أغلب النزاعات التي كانت مع الدولتين الأيوبية والمملوكية كانت نزاعات مع غير المسلمين متمثلين في الصليبيين والمغول ،وبالتالي فكانوا يخشون أن يتولى هذه الوظيفة شخص غير مسلم فيميل لأبناء دينه ويطلعهم على أخبار الدولة وأخبار الجهاز فيضر بمصالح الدولتين.

ومما سبق يتضح لنا أن الشروط السابقة تساعد صاحب ديوان الإنشاء وتؤهله لأن يكون متفوقاً في إدارة عمال التجسس، ولأهمية الجواسيس عند سلاطين الأيوبيين والمماليك نجد أنهم وضعوا رئيس الديوان في مكانة عالية، لدرجة جعلتهم يأتمنونه على أدق أسرارهم، ويخصونه بخفايا أمورهم ، حيث صار له الإشراف على معظم أمور الدولة ، وكان إشرافه على الجواسيس أولى هذه المهام حتى إن الملك " لا يضع في أمر مملكته حرفاً إلا على ما يخرج من مشورته بعد إطلاعه عليه ". [2]

وفي هذا يقول الشاعر:-

وللإنشاءِ ديوانٌ عَظِيمٌ	لَهُ يختارُ كلُّ فتى أريبِ
يكُونُ السِّرُّ مِنْهُ فِي مَكانٍ	كَقَلْبِ العَاقِلِ اليقظِ اللبيبِ[3]

ولقد كان شافع بن علي يتولى رئاسة ديوان الإنشاء في عهد المنصور قلاوون (٦٧٨_٦٨٩هـ/١٢٧٩_١٢٩٠م)، وكان مُطَّلِعاً على كل الأخبار ،وكان يقوم بكتابة كتابات السلطان السرية، وكان مطلع على ما لم يطلع عليه أحد غيره.

وكان قد تم تعيينه في منصب رئيس الديوان في عهد السلطان المنصور قلاوون بعد ما كان يتم الإشراف عليه من قبل الدوادار ، وأصبح الدوادار في المرتبة التي تليه. [4]

وأطلق على منصب رئيس ديوان الإنشاء عدة ألقاب منها كاتب السر ،أو كاتم السر، أو ناظر الإنشاء الشريف وناظر دواوين الإنشاء الشريف ومؤمن المملكة بالديار المصرية — أي المسير

---

(1) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٢، ق١، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م ، ص٣٦٤ ؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك،جـ١، ص٥٣ ؛ علي السيد: الجاسوسية، ص١٣٦-١٣٧.

(2) سوسن نصر: القاضي الفاضل، ص١٦٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٥٤ ؛ حسن فرحات: الدواوين في مصر ، ص٥٧.

(3) النابلسي: لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تحقيق كلود كاهن، القاهرة،(د.ن)، (د.ت) ، ص١٩.

(4)الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ١٠،ط٢ ، اعتناء جاكلين سوبلة، علي عمارة، بيروت ، وزارة الأبحاث العلمية، ١٩٩١م، ص٢٨٢؛ شافع بن علي: الفضل المأثور في سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،بيروت، المكتبة العصرية ، ١٩٩٨م، ص٢٤ .

لأمورها الخارجية ، ومن ألقابه أيضاً حافظ الأسرار. (١) وكل هذه الألقاب إن دلت على شيء فإنهـا تدل على مدى خطورة هذا الشخص لما يعلمه عن الكثير من أمور الدولة السياسية.

وكان صاحب ديوان الإنشاء في سائر الولايات الشامية يماثل نظيره في مصـر فـي علـو المنزلة، ورفعة المكانة، وتعدد الاختصاصات ،والإشراف على عمال التجسس الموجودين فـي بـلاد الشام(٢)، كما كان من مهامه القيام بالتجسس على النائب لحساب السلطان، ويطلع السلطان على ما قـد يخفيه النائب عنه. (٣)

وكان صاحب ديوان الإنشاء يتقاضى أجراً شهرياً قدره مائة وعشرون ديناراً،عدا الإقطاعـات التي كانت تغدق عليه،والخلع والهدايا والملابس(٤).

ومع تعدد اختصاصات صاحب ديوان الإنشاء وكثرة مهام عمال التجسس في ذلك الوقت كان لا بد من وجود طائفة من المعاونين له لإدارة هؤلاء العمال، وهو ما نطلق عليه فـي أيامنـا جهـاز المخابرات الخاص بالدولة.

ويأتي فى المرتبة الثانية "نائب كاتب السر" ،فكان يشرف على عمال التجسس فـي حالـة غياب رئيس الديوان، لذا كان واجبًا عليه أن يكون ملماً بصفات رئيس الديوان وشروطه، ومطلعاً على كل صغيرة وكبيرة فيه، حتى يتسنى له الإشراف على ما كان يقوم به رئيس الـديوان مـن الأمـور المهمة، كأن يرسل القصاد والسعاه إلى بلاد العدو لتحسس أخبارهم. (٥)

وكان ديوان الإنشاء يشتمل على عمال يقومون بقراءة رسائل عمال التجسس الموجودين فـي بلاد العدو ،ويحررون رسائل تحمل التعليمات والمهام التي كانوا يكلفون بها ، وجميعها كانت تصـدر من ديوان الإنشاء وتأتي إليه .وكان من بين هؤلاء كاتب على درجة كبيرة من الأهمية يتولي مكاتبات

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٤٥ ؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص٩٨ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٨ ، القاهرة ، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ص٣٥ ؛ علـي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٦ ؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت، القاهرة، مجلة مواكب النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م ، ص٣٧٠.

(٢) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٥٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص١٨٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصـر والشـام فـي عصـر الأيـوبيين والمماليك، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص٣٢٨-٣٢٩ ؛ عفاف سيد محمد: ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٠م ، ص٢٤٢.

(٤) المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٢٤٤.

(٥) السحماوي: المقصد الرفيع، ص٤٣٤ ؛ علي إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحريـة وفـي عصـر الناصر بوجه خاص، القاهرة،(د. ن)، ١٩٤٤م، ص٥٩.

الدولة المهمة كلها والسرية(١)، و يشترط فيه أن يكون عارفاً باللغات الأجنبية وخاصة اللّغة الفرنجية (٢)

وحرصاً من صاحب الديوان على سرية هذه الرسائل، فكان يتحرى السرية عند كتابتها وعند فضها ،ولا يلقي السر إلى كاتبين معاً، ولا يخاطب فيه أحدهما بحضرة الآخر لتكون العهدة في دركة واحد بعينه، وذلك حتى لا يقوم الثاني بإفشاء السر وتكون المسئولية على الأول فيتهم في ذلك.(٣)

كما كان هناك موظفون موجودين بجانب صاحب ديوان الإنشاء ، يعرفون بالمهمات الدقيقة، سمي أحدهما " المخرج " والآخر " المتصفح " وكانا من ضمن شعبة المخابرات، وكانت وظيفتهما أو مهمتهم داخل الديوان تتمثل في مقارنة المسودات مع المبيضات – وكانوا مكلفين أيضاً بالإخبار عن أية إشارة، أو أقل أمر، أو أدنى تحرك مشكوك فيه (٤)، نظراً لوجود ما يعرف بالشفرات(٥) السرية في الكتابات التي كانت تأتي من عمال التجسس إلى الديوان وهو ما سوف نتحدث عنه في الفصل التالي.

ولخطورة الرسائل التي تأتي من العمال إلى الديوان كان يتم الحفاظ عليها؛ وذلك نظراً لما تحمله من معلومات خطيرة جداً، ولهذا كان هناك موظف مختص بتأمين الوثائق والمعلومات ذات السرية العالية وهو الذي أطلق عليه في ذلك الوقت لقب " الخازن "، كان يكلف بحفظ هذه الرسائل ولا يخرج منها أي رسالة لأي أحد حتى لا يضر بالدولة(٦)، وفي عصر القلقشندي حل محله دوادار كاتب السر.(٧)

وللحفاظ على السرية التامة والكاملة لديوان الإنشاء وحماية عمال التجسس وحماية رسائلهم والمعلومات الخاصة بهم، كان يوجد " حاجب الديوان " وهو ما يعرف في عصرنا الحالي " بضابط الأمن "(٨) ، ومهمته ألا يمكّن أحداً من سائر الناس أن يدخل إليه، ما خلا أهله الذين هو معروف بهم (عماله) فإنه يجمع أسرار السلطان (أي أسرار الدولة) ومن الواجب كتمها ،ومتى أهمل ذلك لم يؤمن

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٣٢ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٦.

(٢) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، جـ١، ص٥٥-٥٦ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٦٠.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٠٨.

(٤) أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية، ص٢٢٤.

(٥) الشفرة : يقال إن كلمة شفرة مأخوذة من الكلمة العربية (صفر) كما أنها مرتبطة كذلك بالكلمة العبرية (ساذار) ومعناها رقم ، وفي الشفرة يحل الرمز أو الحرف أو الرقم محل حرف آخر في الكلمة ، فهي تعبير عن أسلوب تحويل لغة الرسالة من لغة مفهومة إلى لغة غير مفهومة يكون قد تم الاتفاق عليها وعلى رموزها بين المرسل والمرسل إليه مسبقا. سلامة الهرفي : المخابرات في الدولة الإسلامية،الرياض المركز العربي ،١٩٨٩م، ص ١٧.

(٦) أجفان الصغير: المؤسسات الإدارية، ص٢٢٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٣٥-١٣٦ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.

(٨) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.

أن يطلع منها على ما يكون بإظهاره سبب سقوط مرتبته، وإذا كثر الغاشون له والداخلون إليه، أمكن أهل الديوان معه إظهار الأسرار اتكالاً على أنها تنسب إلى أولئك، فإذا كان الأمر قاصراً عليهم احتاجوا إلى كتمان ما يعلمونه خشية أن ينسب إليهم إذا ظهر(1)، ويذكر القلقشندي أنه على عصره حل دوادار كاتب السر محل هذا الحاجب. (2)

ونجد أن جهاز التجسس والاستخبارات كان في فترات يتميز بالقوة والازدهار، وفي فترات أخرى يضعف ،فعندما تكون الدولة قوية يكون الجهاز قوياً وعندما تضعف الدولة يكون الجهاز ضعيفاً لعدم الاهتمام به، وينعكس ضعف الدولة على الجهاز بأن يتولى إدارة الجهاز أناس غير أكفاء ، نتيجة للرشوة والبذل للحصول على الوظائف المهمة. (3)

وهو ما حدث لصاحب ديوان الإنشاء حيث نجد أنه في فترات أصبح يتولى الوظيفة مقابل دفع مبالغ من المال مما أدى إلى تقصيره في مهامه وأصبحت وظيفته في ذلك الوقت وجودها كالعدم. (4)

وكانت هذه الفترة هي فترة زمن سلاطين المماليك الجراكسة وهي الفترة الواقعة بين سنتي (٧٨٤هـ-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢م-١٥١٧) ففيها تولى الوظيفة ستة وثلاثون كاتباً للسر بينهم سبعة عشر لم يمكثوا في هذه الوظيفة سوى بضعة أشهر، ولا نجد تفسيراً لهذا سوى شره سلاطين المماليك للمال بعد أن أصبحت هذه الوظيفة لا تمنح إلا بالبذل والبرطلة، على عكس كاتب السر زمن الأيوبيين والمماليك البحرية من عام (٥٦٧-٧٨٤هـ/١١٧١-١٣٨٢م) حيث باشره عدد قليلاً جداً، وكانوا جميعاً من أعلام الأدباء، وكان عددهم قليلاً جداً إذا ما قورن بعددهم زمن المماليك الجراكسة. (5)

ويتضح مما سبق أن ديوان الإنشاء كان من أهم دواوين العصرين الأيوبي والمملوكي ، وقد تمتع رئيسه بمكانة مرموقة بين رجال البلاط، كما كانت إدارة جهاز التجسس تابعة له، وقد تمتعت بقسط وافر من الأهمية، فعن طريقها كان سلاطين الأيوبيين والمماليك يعرفون كل صغيرة وكبيرة تدور داخل أرضهم وخارجها.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ1، ص١٣٦-١٣٧ ؛ ابن الصيرفي: القانون في ديوان الرسائل، ص٢٠ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.

(2) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.

(3) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص١٤.

(4) أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص٨٠.

(5) أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة، ص٧٦ ؛ ماجدة مصطفى نادي: قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة،٢٠٠٧م،ص٦٤.

ثانياً: عمـــال التجـــسس:

اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على مجموعة من العمال قام كل منهم بوظيفة محددة[1]، وكان من هؤلاء العمال من يقوم على خدمة التجسس بصفة أساسية ، وهم الذين يتولون مهمة جمع الأخبار ثم توصليها إلي السلاطين[2] ،ويجب عليهم عدم التباطؤ في نقل الأخبار حتى لا يحدث من ذلك المفاسد[3] ، ومنهم مَنْ يقوم بالإشراف الإداري على العمال السابقين ويقوم بتنظيمهم ويعـاونون صاحب ديوان الإنشاء في ذلك إلى جانب مباشرة مهام وظائفهم الأساسية[4] ، وعلى الـرغم مـن أن هؤلاء كانوا يقومون جميعا بعملية التجسس ونقل الأخبار إلى السلطة الحاكمة فإنه كان هناك اخـتلاف بين كل واحد منهم من حيث مهامه وواجباته[5].

١- كـــاتب الســـر: -

سبق الحديث عنه في بداية الفصل، حيث كان عليه إعـداد رجـال التجســس والمخـابرات وتدريبهم والاهتمام بهم لصالح المملكة [6]، وكان هو مستودع الخبايا ومستطلع الخفايا ، وإليه تـدبير أمور الجهاز، وتعيين من يري تعيينه منهم في المهمات الشريفة السلطانية[7].

وكان له الإشراف علي عمال التجسس ؛ وليس أدل علي ذلك مما ورد في وصية له جاء فيها "... وليتول تجهيز البريد، واستطلاع كل خبر قريب وبعيد، والنجابة وما تسير فيه من المصـالح.... وأمور النصحاء والقصاد.. والكشافة الذين هم ربيئـة النظـر وجلابـة كـل خبـر،.... والـديادب والنظارة....." [8].

وكان يلزم عمال التجسس بالتواجد في الديوان ليسهل عليه إحضارهم فـي سـهولة ويسـر لتوجيههم إلى المهمات الشريفة ، ويجب أن يكون على علم بكل من يرد إلى ديوانه ويعرف من أيـن أتوا والمعلومات التي جاءوا بها، وأن يعمل علي سرعة عودتهم حتى لا يحدث من تأخرهم المفاسد ، ويجب عليه أن يفحص الكتب الصادرة من الديوان أو الواردة إليه فحصا جيدا ليضمن خلوها من أيـة

---

(1) أيمن أبو الروس: عالم الجاسوسية ودنيا الأسرار والغموض، القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، ١٩٩١م، ص٩.

(2) سند أحمد: البريد الملوكي، ص١٠٢.

(3) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص٣٢.

(4) سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٢.

(5) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٢٤.

(6) عفاف سيد: ديوان الإنشاء في عصري الأيوبيين والمماليك، ص٢٦.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى،جـ١١، ص٣٠٢ – ٣٠٣.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى،جـ١١، ص٣١٤-٣١٥

إشارات تحمل في داخلها الكثير من المعلومات السرية[١]، وذلك نظرا لانتشار الشفرات السرية المستخدمة في ذلك الوقت.

٢-الدوادار:- [٢].

يلي كاتب السر أو صاحب ديوان الإنشاء الدوادار ، وكانت هذه الوظيفة في العصر الأيوبي لا يليها إلا متعمم ، ثم تولاها في العصر المملوكي أحد أمراء المماليك[٣]، وكان عمال الجهاز في بداية الأمر خاضعين لإشراف الدوادار – الذي كان من أمراء المماليك العسكريين – وربما يطمع في العرش لاسيما أن سلطاته كانت تخول له الحصول على أدق أسرار الدولة، وربما يعاون السلطان، لذا ألحقوا في نهاية دولة المماليك البحرية وأوائل الجراكسة بديوان الإنشاء، ومنذ ذلك الحين أصبح الذي يشرف على هؤلاء العمال صاحب ديوان الإنشاء[٤].

وأصبح الدوادار بعد ذلك مطلعًا على الأسرار بعد كاتب السر، ويساعده في تدبير أمور القصاد والجواسيس[٥]، والتحدث مع القصاد من أصحاب المهمات السرية[٦].

وخير دليل على ذلك أن "بلبان الدوادار الرومي"[٧] كان المنوط بأمر العيون والجواسيس، وكان واحداً من رجالات بيبرس الموثوق بهم، وكانت مهمته تتضمن لقاء العملاء والجواسيس سراً، ومن ثم نقل الأسرار إلي السلطان. وكان مسنداً إليه أيضا تحديد رواتب وأجور العيون والجواسيس[٨].

---

(١) السحماوي : المقصد الرفيع، ص٤٠٥ – ٤٠٦.

(٢) الدوادار:- اسم مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو الدواء، والثاني دار ومعناها ممسك، فيكون المعنى ممسك الدواه، وحذفت الهاء من آخر الكلمة استثقالا. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٦٢.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ٧، ص ٣٤٩- ٣٥٠ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧ ؛
levanoni Amalia :Aturning point in Mamluk History, E. J. Brill, 1995 , P. 39

(٤) محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص ١٧٢.

Hautecoewe twiet : les mosquees du caire , I , paris , 1932 , p.256.

(٥) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٣٥٠.

(٦)ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، جـ٧ ، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٣٦م، ص ٢٣٧؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٤، حيدر أباد، الدكن، ١٩٦١م، ص ١٠٦ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ٧، ص ٣٤٩ .

(٧) "بلبان الدوادار الرومي": هو الأمير سيف الدين الرومي الدوادار من أعيان الأمراء ونجبائهم كان الملك الظاهر يعتمد عليه ويحمله أسراره إلي القصاد، واستشهد بمصاف حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، وكان هو الذي يتولى الأشراف على ديوان الإنشاء وعلى عمال الجهاز، ولكن عندما توفى الملك الظاهر بيبرس ، وتولى الملك المنصور قلاوون العرش اتخذ كاتب سر للقيام بهذه المهام ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،جـ١٠، ص ٢٨٢.

(8) Amitai : Mamluk Espionage , p. 176 ; Daileader Philip : truecitizers violence , E. J. Brill , 1995 , p. 277.

وكان يتولى صرف مرتباتهم وإغداق الخلع والهدايا عليهم، وكان حريصـــاً علـــى إحاطة أسمائهم بالسرية التامة، وذلك عن طريق عدم إدراج أسمائهم في قائمة الديوان، كمـــا حظـــر علـــيهم الظهور بين الناس بوجوههم الطبيعية، فطلب منهم التنكر في أوقات النهار بوضع "برقعاً" عليها حتى لا يعرفهم الناس(١).

ونجده في حلفه لليمين يقول : ومهما اطلعت عليه من مصالح مولانا السلطان فلان – خلد الله ملكه – ونصائحه وأمر داني ملكه ونازحه أوصله إليه، وأعرضه عليه، ولا أخفيه شيئاً منه ولو كـــان علي، ولا أكتمه ولو خفت وصول ضرره إلي(٢) .

بالإضافة إلي ذلك كان الدوادار يقوم بتبليغ الرسائل عن السلطان ويقدم التقـــارير الخاصة بالأعمال الإدارية ، ويشترك مع كاتب السر في تقديم البريد السري إلي السلطان وقراءته عليه(٣).

وكان يتلقى البريدية الواردين والصادرين عن الأبواب السلطانية وتنفيذ المهمـــات المتعلقة بالرسائل والمكاتبات ولم يكتفِ بالإقامة في القلعة وتلقي الأخبار، بل كان يكلف ببعض المهـــام التـــي تتطلب منه الخروج(٤) إلي بلاد الشام للوقوف على أحوال الأعداء(٥).

ويدعم عملية خروجه في عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م عندما نقض صاحب حصن القصير – أقوى حصون أنطاكية – الهدنة والعهود الموقعة بينه وبين السلطان الظاهر بيبرس، فأصدر الأخير أوامـــر بالقبض عليه تمهيداً لفتح ذلك الحصن، وندب لتلك المهمة الأمير سيف الدين بلبان الدوادار المشـــرف على القصاد، فخرج متنكراً في صورة شخص متوجه إلى صاحب حصن القصـــير لإخبـــاره بقـــدوم بيبرس لزيارته، ففرح لذلك وقام بتجهيز ما يليق بالسلطان وخرج للقائه، فلما اقترب منه قـــام بتقبيـــل الأرض بين يدي بيبرس فجثم فوقه بلبان الدوادار ؛وأركبه على أحد الخيول وتوجه به إلي دمشق حيث حبس بقلعتها(٦).

---

(١) الصقاعي: تالى كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبله، دمشق، منشورات المعهد الفرنسي ، ١٩٧٤م، ص٥٣ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٣٢١ ؛ Amitai: Mamluk Espionage, p.176

(٢) السحماوي: المقصد الرفيع، ص٤٠٥ – ٤٠٦.

(٣) العمري: مسالك الإبصار في ممالك الأمصار، جـ١ ، تحقيق أيمن فؤاد سيد، فرانكفورت ، (د. ن) ،١٩٨٨م، ص ٥٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٩ ؛ جـ٥، ص ٤٦٢.

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصـــرية اللبنانية، ١٩٨٧ م، ص ٧-٨.

(٥) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٦) شافع بن على: حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، تحقيق عبد العزيز الخويطر ، الرياض،(د.ن) ١٩٧٦م، ص ١٥٦-١٥٧.

وأيضاً ما يرويه ابن تغرى بردي في حوادث سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م عندما ورد الخبر على السلطان العادل كتبغا بوصول عسكر كثير من التتار إلي الرحبة طالبين الدخول في الإسلام خوفاً من السلطان غازان فرسم الملك العادل إلي الأمير علم الدين سنجر الدواداري بأن يسافر من دمشق إلي الرحبة حتى يتلقاهم "وبعد أن توجه أعيانهم إلى السلطان صحبه كبار أمراء دمشق، بقى الأمير علم الدين سنجر مع الباقين وهم فوق عشرة آلاف مابين رجل كبير وكهل وصغير وامرأة.. ثم سافر بهم إلى جهة الديار المصرية[١]، وكان الهدف من بقائه معهم التعرف على أخبارهم بنفسه [٢].

وكذلك الأمر عندما تقدم تيمورلنك إلي مرعش وعينتاب قام الملك الظاهر برقوق بإرسال الأمير اسبغا الدوادار لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلي جهة تيمورلنك [٣].

وفي عام ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م قام السلطان الأشرف إينال العلائي وجهه الدوادار سنقر الأشرفي المعروف بفرق شبق، إلي البلاد الحلبية لكشف أخبار بن قرمان، وتجهيز العساكر الشامية والحلبية[٤].

٣- البريديـــة:

قام البريدية[٥] بدور مهم في مجال التجسس، وفي نفس الوقت كأفراد يمكن ضمهم إلى عمال التجسس أو الاستخبارات[٦]. واختصاص البريدية بعمل التجسس لم يكن وليد العصر الأيوبي والمملوكي، بل عرف في العصور الإسلامية المبكرة[٧]. لذا نجد أن العلاقة بين البريدية والعيون والقصاد والجواسيس وطيدة، فجميعهم كانوا تابعين لديوان الإنشاء، إلي جانب أن تصريفهم كان من مهمة ديوان الإنشاء، وبخاصة كاتب السر [٨].

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ٨، ص ٦٠ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.

(٢) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ١١، ص ٢١٨.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص ١٠٣.

(٥) البريد: كلمة فارسية معناها "مقطوع" ويقال إن الفرس استخدموا في نقل البريد دوابا مقطوعة الذنب تمييزاً لها من غيرها، فسميت "بريد ذنب"، ثم حذف العرب كلمة ذنب واقتصروا على لفظ بزيد، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ٥٨، وكان يطلق البريد على الرسول، وذهب البعض إلى أن أصله لفظ عربي وأنه مشتق من برد أو أبرد بمعنى أرسل ؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٥.

(٦) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧.

(٧) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية،جـ١، ص ٨٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢١.

(٨) حسن الباشا: الفنون والوظائف، جـ١، ص ٢٩٩ ؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٣ ؛ ماجدة: قلعة الجبل، ص ٧٥ – ٧٧.

وكان عمال البريد يقومون بالتجسس على كبار الموظفين ومراقبة الولاة[1]، وكان عامل بريد كل ولاية له الحق في التجسس على جميع الموظفين فيها[2]، والتعرف على أخبار عمال الدولة وتحركاتهم[3]، وسرعة إيصال الأخبار بين السلطان وعماله[4].

وللتعرف على أهم اختصاصات البريدية على نحو أكثر تفصيلاً نجد أنه يجب عليهم التعرف على حال عمال الخراج، ومعرفة ما عليه الحكام وسيرهم وأن يعرف حال دار الضرب وحفظ الطرق من الأعداء والجواسيس. [5]

وهكذا فإن مهمة البريدية إنما تشمل مراقبة جميع المؤسسات في كافة أنحاء الدولة وإبلاغ السلطان بكل ما يحدث من تطورات مما ينبغي أن يعلمه[6].

وفي العصر الأيوبي اهتم الأيوبيون كثيراً بالبريدية لمراقبة العمال، وعندما جاء السلطان الظاهر بيبرس اهتم بها كثيراً وذلك ليكفل للدولة مهمة التجسس على عمال الدولة وأعدائها، وإبلاغ العاصمة بكل ما يقع في النيابات والولايات المختلفة التي امتدت لتشمل بلاد الشام وبعض مناطق من آسيا الصغرى والحجاز؛ ومصر وبلاد النوبة، بحيث يتعرف السلطان المقيم في قلعة الجبل — في القاهرة — كل ما يدور من أحداث على امتداد هذه البلاد الشاسعة، عن طريق تلك الشبكة من خطوط البريد التي استخدمت فيها الخيول والأنواع السريعة من الإبل ومحطات البريد، فضلاً عن الخطوط الجوية التي استخدمت فيها أبراج الحمام الزاجل والعمال الموجودين فيها[7].

وقد تمكن الأيوبيون والمماليك عن طريق البريد أن يديروا أمور البلاد وهم في مقر حكمهم، فقد كان نذيراً سريعاً في أوقات الهجوم الخارجي، أو الاضطرابات الداخلية، ومسعفاً في نقل المعلومات اللازمة لصد أو قمع هذه الأخطار، وكان بالإمكان أن تتجسم بعض الأمور، ويصعب حلها، لو لم يوافِ الحكام بأخبارها مبكراً [8].

---

(1) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٧.

(2) نظير حسان سعداوي: نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار مصر، ١٩٥٣م، ص ٦٨.

(3) سمير عبد الله: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٢٥٧، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة ، ٢٠٠٦م، ص ٢٢.

(4) نظير حسان: البريد الإسلامي، ص ٦٨.

(5) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، طبعة ليدن، مطبعة بريل،١٨٨٩م، ص ٥٠ ؛ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة :محمد عبد الهادي أبو ريدة ،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ص ١١٥ ؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات ص١٦١.

(6) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٢٩٩.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣٧٢-٣٨٣.

(8) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ط٣ ،الرياض، مؤسسة الجريس، ١٩٨٩م، ص ٥٩.

وظهر ذلك في الصراع الذي كان بين الملك العادل الأيوبي والملك الظاهر صاحب حلب عام ٦١٣هـ/١٢١٦م ، حيث قام الملك العادل الأيوبي بترتيب بريدٍ سريٍّ (ليتحسس) لــه أخبــار الملــك الظاهر صاحب حلب ويطلعه عليها ، وقد قام البريد بهذه المهمة على خير ما يــرام وظــل يواصــل حضده للأخبار ويوصلها إلى الملك العادل حتى أتى إليه بخبر نعيه قبل أي أحد[١].

وبالتالي اهتم السلاطين بالبريد كثيراً نظراً للدور الخطير الذي كان يقوم به ، فكانوا ينظمون الرحلات السرية (للتجسس) والاطمئنان على البريد، وعلى هذا الأساس اهتم رجال البريــد بأنفســهم وبوسائلهم كثيراً وذلك لأنهم كانوا يتوقعون في أي وقت أن يفاجئهم السلطان بزيارته فيبذلوا جهــودهم في أن تكون الخيل مستعدة دائماً[٢]،واتسع نشاطهم فكانوا يتجسسون على كافة مؤسسات الدولة الداخلية وعلى الأعداء، ويتعرفون ما عندهم[٣].

وكان يتم استخدامهم في جمع المعلومات عن العدو وتحركاته على طول الحدود مع الدولة[٤]، وعاونوا كثيراً في نقل أخبار العدو وتحركه ومواقعه، وقوة قواته، وسلاحه، وعتاده، وأماكن قيادتــه، ومناطق شئون إدارته، وأماكن أهم الأمور وأنفعها[٥].

كما كان للمعلومات التى جاء بها البريدية أثرها الكبير في صدّ الغارات الخارجية التي طالما هددت مصر، وكان لهم الفضل في النجاح على هؤلاء الأعداء وهزيمتهم[٦].

وجاء ذلك في رواية لابن أيبك وجهها السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلي غازان خــان المغول في إيران يؤكد فيها أن البريدية كان لهم دور كبير في التجسس على الأعداء[٧] "فيقــول: ولا يظن أن ساعة واحدة عن أعيننا يغيب، وليعلم أنه لو تقلب في مضجعه من جانب إلي جانب، أو خرج من منزله راجلاً كان أو راكباً، لكان عندنا علم ذلك على البريد".

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص ١٨٥.

(٢) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٩.

(٣) حسن إبراهيم حسن: على إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصــرية، ١٩٣٩م، ص٢٥٥ ؛ أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة والفكر الإسلامية،ط٣ ، القاهرة، مكتبة وهبة ، ١٩٦٤م، ص ١٣٩.

(4) Amitai: Mamluk Espionage , p.p. 173 – 174.

(٥) محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧١.

(٦) محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٣ – ١٧٤ ؛ عبد العزيز الخوايطر: الملك الظاهر بيبرس، ص ٥٩.

(٧) الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق هانس روبرت رويمر، القاهرة،(د.ن) ،١٩٦٠م، ص١١٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص١٤٣.

وقد كان البريد في بعض الأحيان دليلاً مهما للجيوش يسيرون وراءه، ويقتضون بخبرته في معرفة دروب الطرق، وذلك لأن السلاطين كانوا يريدون إخفاء وجهة الجيوش كنوع من التعمية على الأعداء وجواسيسهم وبخاصة المغول والصليبيين فاستعانوا بالبريد على ذلك(١).

وكان صاحب البريد له عمال في الولايات التابعة للدولة يتبعون له، ويقومون بنقل الأخبار والأنباء إليه أولاً بأول ، عن طريق تقارير يقدمونها له، ثم يرفعها بنفسه إلى كاتب السـر(٢). وكـان هؤلاء العمال أيضا يستعينون في جمعهم للأخبار ببعض العيون لتقصي الأخبار(٣).

واعتمد أيضا على التجار والباعة المتجولين والحكماء والعبيد في التجسس على أحوال العمال والرعية في أنحاء المملكة، ويكتبون تقاريرهم عن ذلك ويقدمونها إليه(٤).

ولم يعتمد السلاطين على عمال البريد البري فقط ، بل تعدى ذلك إلى عمال البريد البحـري الذي كان يزود بالمراكب السريعة الخفيفة لاستغلالها في نقل الأخبار(٥).

ونظراً لدور البريدية الخطير فكان يجب أن تتوافر فيهم الكثير من الشروط منها أن يكون من أهل الثقة والتعقل والدراية (٦). ،ويقول أبو يوسف في كتاب الخراج(٧) "وهذا مما ينبغي أن تتفقده وتأمر اختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوليهم البريد والأخبار ".

وكانت هذه الشروط تتطلب فيه لأنه ربما اطلع على شيء من أسرار المملكة وخفايا أمورها، وربما أسند إليه أمر باطني، فيحسن فيه التصرف، فإذا كان منافياً لتلك الصفات، يوشـك أن يـزل أو يخطئ، فيحصل من ذلك مفاسد(٨).

---

(١) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٧٨.

(٢) سمير عبد الله: الدواوين في العصر الفاطمي، ص ٢٢.

(٣) على محمد: الرقابة الإدارية في الإسلام، القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٨٥م، ص ١٩٥.

(٤) نظير حسان سعداوي: البريد الإسلامي، ص ٦٩.

(٥) حسن فرحات عبد الساتر: دور أصحاب الدواوين السياسي والحضاري في مصر في العصر المملـوكي، رسـالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسيوط، ٢٠٠٦م، ص١٤.

(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص ٢٩٦ ؛ رجاء على أنور: النظام الإداري في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ١٩٨٨م، ص ١٥٢.

(٧) كتاب الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البنا، القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر، ١٩٨١م، ص٢٠٢.

(٨) ابن كنان: حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين ، تحقيق عباس صـباغ ، بيـروت ، دار النفـائس ، ١٩٩١م ، ص٧٨.

٤- المخبرون (صاحب الخبر):

وصاحب الخبر: هو من يبلغ السلطان بالأخبار الجديدة التى تحدث فى حواضر الأقاليم[١] بغض النظرعن طبيعة هذه الأخبار وأهميتها [٢].

وبالتالي فهو بمثابة العين للسلطان ، وهذا ما أشار إليه صاحب آثار الأول بقوله[٣]: " فأما العيون فهم بمثابة العيون الباصرة والآذان السامعة "، والمتتبع لكتب الدواوين يرى أن هذه الوظيفة كانت من أهم الوظائف في الدولة نظرا لطبيعة المهام التي كان يقوم بها هؤلاء الموظفون، وأثرها علي المجتمع بوجه عام [٤].

وقد أطلق علي كل من يتجسس لحساب المماليك داخليا كلمة (صاحب الخبر) [٥]، وهم الذين يندسون بين جموع الناس المختلفة في الأسواق وفي مجالس العلماء والوعاظ لمعرفة الأخبار، ولأهميتهم لجهاز الدولة كان يسمح لهم بمقابلة السلطان مباشرة بدون وساطة [٦].

وكانت مهام صاحب الأخبار تتسم بالدقة وشدة الملاحظة والسرعة، فهو يحمل الأخبار، (ويراقب ، ويتجسس، ويبصر، ويلاحظ، وينقل) كل شيء عن الرعية[٧]؛ لذا نجد كثيرًا من المخبرين ينتشرون في جميع أنحاء الدولة لمراقبة شئون الناس مراقبة دقيقة[٨] ، وكذلك إبلاغهم بأحوال الطرق والأعداء وكل شيء حتى لا يخفي عنهم شيء[٩]

وقد جاء أحد المخبرين في عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠م ،وأخبر السلطان الناصر فرج بن برقوق

---

(١) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص٣٠٠.

(٢) حسن محمد وآخر : صاحب الخبر ص ٣٠٠ .

(٣) الحسن بن عبد الله: آثار الأول فى ترتيب الدول ،طبعة بولاق،١٢٩٥هـ ص٨٣ ؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص١٧.

(٤) قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣٩.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات وطرق تنفيذها في مصرفي عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشوره، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م، ص٨٦.

(٦) الأنصاري: تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج إسكانلون، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦١م، ص١٧ -٢٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٨.

(٧) علي محمد: الرقابة الإدارية في الإسلام، ص١٩٥-١٩٦.

(٨) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط٢،تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤، ص٣٨.

(٩) الأقصرائي: نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية، رسالة دكتوراه غيرمنشورة، بآداب القاهرة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ١٩٧٢م، ص٥٢٩-٥٣٠.

بهزيمة نواب الشام وأخذ تيمورلنك حلب ومحاصرة القلعة[1]، ولم يكن عمل هؤلاء يقتصر علي ذلــك فقط ،لكن تم استخدامهم لمراقبة كل من أتي إلي السلاطين هاربا وكانوا لا ينقطعــون عــن زيــارتهم والتحدث إليهم،والتودد إليهم بكل السبل التي تمكنهم من التعرف علي هويتهم، ثم يخبــرون الســلطان بحقيقة أمرهم[2].

وكان هؤلاء يستعينون ــ أيضا ــ في الحصول علي معلوماتهم بأناس لم يكن لهم أي صــفة رسمية من كل طبقات المجتمع[3]، منهم الطفل والمحتاج وابن السبيل[4].

كما كان السلاطين يضعونهم علي المناطق الحدودية لكي يخبروهم بكل ما يحدث عنــدهم وكذلك معرفة الواردين عليهم ، وكانوا يرسلون للسلطان كل أخبار الواردين عليهم من أي مكان أتوا وأسماؤهم، ونعوتهم ، وثيابهم، وأصحابهم، وخيلهم ،وخدامهم ،وهيئتهم في الجلوس والمأكل، وجميــع شئونهم وتصرفاتهم ليكون السلطان علي علم بكل شيء[5]

وفي النهاية ولأن مهمتهم كانت تتسم بالدقة والحذر الشديد[6]، فكان يشــترط فــيهم بعــض الشروط التي تتوافق تماماً مع شروط البريدية[7]

٥- المهمندار :

وكان يقوم بتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة ويهتم بــأحوال القصاد والبريدية اهتماماً زائداً ويعرف شكواهم[8] بدليل ما ذكره القلقشندي في إحدى نسخ التوقيع لهذه الوظيفة "...أن ينوب عن صاحب ديوان الإنشاء في تلقي الواردين على السلطان ، وينزل كلاً منهم في المكان اللائق به، ويرتب لهم ما يحتاجون إليه ولا يُمكِّن أحداً من الاجتماع بهم، ويتولى افتقادهم"[9].

---

(١) المقريزي: السلوك، جـــ٣، ق٣،ص١٣٥.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٣.

(٣) عبدالغني عبد السلام: العيون الجواسيس، ص٢٩٩.

(٤) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس،ص٣٠٠.

(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المعروفة بـــ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتــب هوامشه طلال حرب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م ، ص٣٩٢.

(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٠.

(٧) أبو يوسف: الخراج، ص٢٠٢ -٢٠٣.

(٨) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت،عالم الكتاب، ١٩٨٦م، ص٢٠٥.

(٩) صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٨٨.

وكان عليه أن يستفهم من القصاد عن موجب حضورهم، ويحضر ما على يدهم من المطالعة لكاتم السر؛ليكون على بصيرة فيما حضروا لأجله ثم يحضرهم بين يدي سلطانه[1].وفي بعض الأحيان كان نائب المهمندار يقوم مقامه في استقبال قصاد غير الملوك ويقوم معهم بنفس مهام المهمندار.

وكان كاتم السر يأمرهم بإنزال القصاد في الأماكن اللائقة بهم بحسب مقام مرسلهم ،وكذلك مضيفهم وإلزام المهمندار بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد[2]، وهذا دليل على أنه كان يخضع لإشراف ديوان الإنشاء، والناظر إلي مهام هذه الوظيفة وبساطتها في استقبال الرسل وتلقي العربان والواردين على السلطان وإنزالهم دور الضيافة كل حسب مكانته والقيام بأمرهم، غاب عنه جوهرها فهذه الوظيفة كانت تعبر عن وظيفة أحد كبار رجال المخابرات مهمته الأساسية استقبال هؤلاء الواردين، والتحفظ عليهم، والتقرب والتودد إليهم للتعرف على نواياهم وهويتهم، ومراعاة عدم إفشاء أي سر من أسرار الدولة أمامهم بحال من الأحوال، وعزلهم عن الجند والأمراء حتى يتم التأكد من حقيقتهم[3].

وقد حدث ذلك في عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣م عندما وصل رسل كيخاتو ملك المغول إلى ديار الإسلام نجد أن المهمندار قام بمرافقتهم والسير معهم حتى وصلوا إلى دركاء السلطان وكان يصاحبهم في كل تنقلاتهم ويبلغ السلطان بكل أخبارهم[4].

ونظراً لأهمية هذه الوظيفة كان يشترط في شاغلها العديد من الشروط التي سنذكرها في النقطة التالية في هذا الفصل ؛ كما أنه يجب أن لا يتناول من أحد من الرسل تقدمه ولا طرفه إلا بإذن[5].

ويجب عليه أيضاً أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويرهب القصاد، ويوهمهم قوة الإسلام والمسلمين وشدة بأسهم وعظيم سطوتهم، واتفاق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين وذبهم عن حريم الملة الإسلامية، وحفظ النظام[6].

٦- التراجمة:-

وكذلك يمكننا إضافة مجموعة التراجمة وكبير المترجمين في القاهرة إلي مجموعة العاملين بالتجسس؛ وذلك لما قاموا به من مهام لخدمة هذا الجهاز[7].

---

(1) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٢٠٤.

(2) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٣.

(3) على السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص ٣٧٩.

(4) العيني: عقد الجمان ، جـ٣،تحقيق محمد محمد أمين ،القاهرة،الهيئة العامة للكتاب،١٩٨٧م ، ص ١٨٧.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٨.

(6) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٧ ؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ الترجمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م، ص٥٧.

(7) علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، مجلة التربية ، ع١٠٢،الدوحة ،١٩٩٢م، ص١٦٥.

وكان كبير التراجمة في القاهرة له مساعدون في كل مدينة من المدن ،ويأتي فـي مقـدمتهم ترجمان بيت المقدس [1]، وكان التراجمة يعملون في ديوان الإنشاء، وكان رئيس الـديوان مـن أهم واجباته النظر في أمرهم [2]، وقد شاركوا بدور فعال في مجال السياسة الداخلية والخارجية [3]، فنجد أنهم كانوا بسبب كثرة توافد الرسل إلي مصر من مختلف الدول كان لابد من وجود عدد منهم للتحدث معهم ومعرفة الأخبار [4].

كما كان لهم دور آخر خفي وهو كشف النوايا والأغراض غير الظاهرة لهؤلاء الرسل ،ويدل علي ذلك ما حدث في عام٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م من محاولة احتيال رسل البرشوني[5] في فك أحد الأسرى الصليبين ،ولكن استطاع التراجمة الكشف عن هذه النوايا والأغراض غير الظاهرة لهـذه السـفارة وتوصلوا لمعرفة غرضها الحقيقي وكشف طرق الاحتيال التي اتبعها ذلك الملك وأرشدوا السلطان إلي أخذ الحيطة والحذر منه [6].

وكذلك الأمر كان من بين مهامهم ــ أيضا ــ ترجمة الكتب التي تصـل إلـي الدولـة مـن المناصحين والقصاد وحل شفرتها ومعرفة ما بها من أخبار لعرضها علي السلطان [7].

وكانوا يقومون ــ أيضا ــ بصياغة بعض الرسائل وكتابتها باللغة اللاتينية، ثم إرسالها إلـي الفرنجة المقيمين ببلاد الشام في فترة الحروب الصليبية، وكان الهدف من كتابة مثـل هـذه الرسـائل والتحايل في إيصالها إليهم، هو إيقاع الفرقة بين صفوفهم، وقد كانت هذه الوسيلة من الوسائل الناجحة التي استطاع السلاطين عن طريقها تحقيق النصر علي الأعداء [8].

ونجد أنهم لعبوا دورا كبيرا في مقاومة العيون والجواسيس ؛ من ذلك ما قام به كبير التراجمة في بيت المقدس من جمع الحجاج أمام كنيسة صغيرة علي اليسار من كنيسة القيامة، ثم سجل أسماءهم وأعمارهم وأوصافهم الشخصية، وأرسل منها نسخة إلي كبير التراجمة بالقاهرة. وهـذه الاحتياطـات كانت تتخذ علي الرغم من أنه كان يحدث نفس الشيء عند نزولهم بميناء يافا [9].

---

(1) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٤.

(2) علي السيد: التراجمة، ص١٦٥.

(3) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر، ص١٤٦.

(4) علي السيد: التراجمة، ص١٥٩.

(5) البرشوني: هو الريداكون ، وكان أحد ملوك الفرنج الأسبان، والمقصود بالبرشوني ملك أرجونة ، وكانت عاصمته برشلونة ، انظر العيني : عقد الجمان ، جـ٤ ، ص٣٠٤.

(6) العيني: عقد الجمان، جـ٤ ، ص ٣٠٥ ؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر، ص١٤٣ - ١٤٤.

(7) سند أحمد: البريد في عصر دولة المماليك، ص٢٣٣ ؛

Amitai : Mamluks Espionage , p.178.

(8) علي السيد: التراجمة، ص١٦٨.

(9) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص٦.

وكان لهم دور آخر وهو أن السلاطين احتاجوا لهم لمصاحبتهم في المعارك، لما قد يحتاجون إليه من كتابة الرسائل وترجمتها ،وفوق ذلك فإنهم كانوا يرسلون الرجال العارفين بلغات الأعاجم لتنفيذ محاولات الاغتيال ضد الأعداء [1].

أما في مجال عملهم لمقاومة الجاسوسية فكانوا يتواجدون ضمن فرقة الاستطلاع التي كانت تذهب لاستطلاع أخبار العدو والكشف عن جواسيس العدو[2]، وفي مجال مقاومة الجاسوسية ودور التراجمة في ذلك قيامهم برصد تحركات الرحالة الأجانب الذين يفدون إلي بلاد السلطنة وتسجيل أعدادهم وأوصافهم، ومصاحبتهم في تنقلاتهم، وهذا دليل علي إضافتهم إلي مجموعة العاملين بالتجسس [3].

وكما كان للتراجمة دور في مقاومة العيون والجواسيس كان لهم أيضا دور في استطلاع أخبار العدو؛ فقد استخدم السلاطين عددًا من التراجمة عيونا لهم كما تسميهم المصادر، وذلك للتغلغل داخل صفوف العدو متنكرين في هيئة تجار أو علماء أو فقهاء لجمع أخبار العدو، وقد اقتصر عمل التراجمة في الميدان علي إرسالهم إلي الدول التي تتحدث غير العربية [4].

وإلي جانب عمل التراجمة ضمن هذا الجهاز في الخارج نجد أنه كان لهم دور في الداخل وذلك عن طريق عملهم في المواني لتبليغ الوالي بشحنات البضائع التي تصل إلي الميناء فور وصولها وبدون تأخير[5].

ولأهمية هؤلاء العمال كان صاحب ديوان الإنشاء عند ما تأتي رسالة إلي الديوان كان يجعل التراجمة يعكفون علي حل شفرتها وترجمتها في سرية تامة وذلك حتى لا يشيع الخبر[6].

وجدير بالذكر أنه كانت هناك بعض المدارس التي تهتم بإعداد التراجمة للتحدث بالعديد من اللغات التي تساعدهم علي تنفيذ مهامهم داخل أرض العدو ؛ فالأمير أيتمش البجاسي (ت ٨٠٢هـ/١٣٩٩م) (أتابك العساكر بالديار المصرية في عهد الظاهر برقوق) اشترط في مدرس مدرسته التي بناها بباب الوزير سنة (٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م) والتي عرفت باسم المدرسة الأيتمشية أن يكونوا "متكلمين باللسان العربي والعجمي والتركي وإلا فباللسان العربي وأحد اللسانين المذكورين " وذلك مما يرجح وجود مدارس لتخريج بعض التراجمة الذين يجيدون اللغات السابق ذكرها[7].

---

(1) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص ١٤١.

(2) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٥٨.

(3) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٥٧.

(4) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٢٩-١٤٥.

(5) علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، ص١٧٠.

(6) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة، ص١١.

(7) ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ،جـ ٣ ،ص١٤٥ ــ ١٥١ ؛علي السيد: التراجمة، ص ١٦٣.

وكان كاتم السر يقوم بالنظر في أمرهم والفحص عنهم، والاطلاع على مقاصدهم،ومن وجده خارجاً عن الشروط منعه واستعوضه بغيره ممن تجتمع فيه الشروط المتقدمــة [1]، وكانــت الدولــة حريصة على الإنعام على التراجمة باستمرار وإعطائهم المبالغ الكثيرة والمرتبـات نظـراً لخطـورة منصبهم[2]، ولكن على الرغم من كل هذا الاهتمام لم يمنعهم من التواطئ مـع العـدو ؛ ففـي عـام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م في عهد السلطان برسباي كان هناك تعاون بين كبير التراجمة مع ملك قبرص حيث كان كبير التراجمة جاسوساً على المماليك لصالح ملك قبرص الذي تعهد على نفسه بدفع مبلغ معـين إلي كبير التراجمة في نظير القيام بهذا العمل[3] ، وكذلك في عام ٩١٧هـ/١٥٥١م تبـين للسـلطان الغوري أن كبير التراجمة تغري بردي كان خائناً[4].

٧- السعـــــــاة:

هم رجال خفاف تعودوا على الجري والصبر على السير[5] لذا تم الاعتماد عليهم فـي نقـل الأخبار المستعجلة[6]، وكانت مهمة السعاة بالدرجة الأولى هي السفر بالملطفات ونقل أخبار الممالك في حالة تعذر وصول البريد، لذا كانت أعدادهم محدودة، وأماكنهم محصورة في مصر وبكل مملكة مـن ممالك بلاد الشام، ونظراً لقوتهم على السفر، كانوا يخرجون بأوامر السلطان بأقصى سرعة ؛حتى إن أحدهم كان يصل من دمشق إلي القاهرة في أسبوع[7]، وكان يستدعى بأمر من رئيس ديوان الإنشـاء الذي يقوم باختيار من تتوافر فيه الشروط اللازمة لتأدية هذا العمل[8]، والدليل علي عملهم في التجسس، أنهم كانوا يكمنون نهارا ويمشون ليلا ويأخذون جانبا من الطريق، على أن تكون هناك مسـافة بـين الاثنين حتى لا يسمع لأحدهم صوتاً، فإذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين متواعـدين علـى مكـان يتلاقون فيه أثناء السير[9].

---

(1) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٠٤.

(2) على السيد: التراجمة، ص ١٦٤.

(3) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ٨٩.

(4) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات ، ص ٩٠.

(5) محمد ضيف الله بطاينه: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ١، عمان ، دار الفرقان ، ١٩٨٥م، ص١٥٢؛ عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٠٢.

(6) حسن فرحات: الدواوين في مصر، ص ٩٧.

(7) الرشيدي: تفريج الكروب في تدبير الحروب، مخطوط بدار الكتب، رقم ٧ فنون حربية، ميكروفيلم ٢٤٥٦١، ورقة ٢٤ ؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٩٩.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٧.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٧ ؛ القلقشندي: ضوء الصبح، جـ١، ص٤٦.

وعندما يخرج الساعي بالرسالة كان ينتظره ساعٍ آخر بحيث عندما يصل الساعي المتعب، يجد ساعياً آخر مستريحاً يأخذ الرسالة ويتحرك بها، وبهذا يتم نقل الرسائل بأقصى سرعة – بحيث يتلقى في يومين أخباراً من أقصى حدود المملكة، لم يكن من السهل وصولها بالطرق العادية إلا خلال عشرة أيام[1].

وكان يوجد بكل مركز كاتب يقوم بتدوين اليوم والساعة اللذين يصل فيهما أحد السعاة ويرجل الآخر، بالإضافة إلي قيام بعض الكتاب بزيارات شهرية لكل مركز للإشراف على طريقة سير العمل والإدارة ومعاقبة السعاة المهملين في بذل النشاط الواجب عليهم[2] وكان لهؤلاء السعاة نقيب قائم عليهم فيما يطلبون منه ويحمل دركهم[3] وكان يلقب "بنقيب السعاة"، وأحياناً كان يطلق عليه "مقدم السعاة"[4]، وكان يقوم بمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا في أداء واجباتهم[5]؛ وكل هذا الاهتمام كان نتيجة للدور الخطير الذي لعبه هؤلاء السعاة.

وينبغي وضع السعاة على الطرق المعروفة دائماً، لكي يقوموا بنقل الأخبار والأحداث التي تقع بالليل والنهار من على بعد خمسين فرسخاً[6] والإبلاغ في حالة وقوع اضطرابات بأي جزء من أجزاء البلاد، أو حدوث تمرد من أحد الولاة، أو ما ماثل ذلك[7] ولهذا كانت حياتهم دائماً محفوفة بالمخاطر، فكثيراً ما يتيهون في الطرق أو تصادفهم وحوشٌ كاسرة تضطرهم إلي المرور في أرض غير مطروقة، وغير سابلة الأمن ومتوفرة الماء، أو يتعرضون لهجوم قبائل العربان، لذا كان عليهم بالضرورة أن يحملوا سيوفاً أثناء قضاء مهامهم[8].

ونظراً لخطورة عملهم كان يشترط فيهم شروطاً ويتم التحري والدقة عند اختيارهم على اعتبار أنهم من أهم وسائل نقل الأخبار[9]

---

(1) ماركوبولو: رحلات ماركو بولو، جـ٢، ترجمها عن الانجليزية عبد العزيز جاويد، القاهرة ، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦م، ص ٧١.

(2) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، جـ٢، ص ٧٢.

(3) السحماوي: المقصد الرفيع، ٣٩٩.

(4) ابن قاضي شهبه: تاريخ ابن قاضي شهبه، جـ٢، تحقيق عدنان درويش ، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧م، ص٣٦٥.

(5) نظام الملك: سياسة نامه أو سير الملوك،ط٢،ترجمة يوسف حسين بكار، الدوحة ، دار الثقافة ، ١٩٨٧م، ص١٢٣.

(6) نظام الملك: سياسة نامة، ص ١٢٤.

(7) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، جـ٢، ص ٧٣-٧٤.

(8)نعمان أنطون:الطائر الغريد في وصف البريد،القاهرة، مجلة المقتطف، ١٨٩٠م، ص١٥؛ سعداوي: البريد، ص ٧٨.

(9) سند أحمد: البريد المملوكي ، ص ٩٤.

؛ لذا كان يشترط فيهم أن يكونوا سريعي الجري وشديدي العدو وتعودوا الصبر على السـير[1]، مع معرفة دروب السفر والأخذ بالاحتراز والحذر[2].

وغالباً ما كان يتم إرسال اثنين منهم لشخص واحد في المعنى الواحد[3]، ونظراً لأهميتهم نجد أن السلاطين اهتموا بهم كثيراً فكانوا يجرون لهم المسابقات في الجري للتأكد منهم وغالباً مـا كـانوا يمنحون جوائز لتفوقهم[4]، فقد ذكر المقريزي في سياق حوادث سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م "وخـلا الجو للسلطان وأعاد حضير الحمام وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد أرباب الملاعيـب مـن الصـراع والثقاف والشباك، وجرى السعاة"[5].

٨- النجـــابـــة:

ونجد أنه تم الاعتماد علي النجابة في نقل الأخبار ؛ وذلك لأن النجابة أصبر علي السير من السعاة وأسرع من الخيل، فكان النجاب يقطع المسافة من القاهرة إلي حلب في خمسة أيام ، وغالباً ما كان يجهز اثنين من النجابة في الأوقات الضرورية حتى يسهل وصول الأخبار بأقصى سرعة[6].

ونجد أن الأيوبيين والمماليك اهتموا كثيراً بالنجابة، واعتمدوا عليهم في نقل الأخبار[7] وكـان عدد المستخدمين منهم في عصر المماليك كثيرًا ، وكانوا يخضعون لإشراف أمير أخور كبير[8]، كمـا

---

(1) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٨ ؛ حسن الباشا: الفنون، ص ٥٧٦ ؛ بطاينه: تـاريخ الحضـارة العربيـة، جـ١، ص ١٥٢.

(2) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(3) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(4) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٩١.

(5) السلوك، جـ٢، ق٢، ص ٧٣٩ ؛ أحمد عبد الرازق، وسائل التسلية عند المسلمين ، ضمن كتاب "دراسـات فـي الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري"، مج١ ،القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م، ص ١٠٣.

(6) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٥٠ ؛ ابن العديم : زبد الحلب في تاريخ حلب ، جـ٢ ، تحقيق سامي الـدهان، دمشق، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٤م ، ص ٦٩٩ - ٧٠٠ ، بطاينه: تاريخ الحضارة العربية، جـ١، ص١٥٢.

(7) العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الـدين، بيـروت،(د. ن)، ١٩٨٨م، ص ٢٤١ ؛ الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٤.

(8) أمير أخور كبير : هو لفظ يتركب من كلمتين ،أولاهما " أمير " والثانية "آخور " وهي كلمة فارسية معناها المذود أو المعلف ،وبذلك يكون المذود الذى تأكل فيه الخيل أو أمير المعلف :أى المتولي لأمور الدواب ،ومن أهمها المعلف ، القلقشندي : صبح الأعشى ،جـ ٥،ص٤٦١ .وكانت هذه الوظيفة من الوظائف الكبرى فى القصر السلطاني ،وهي من الوظائف التى أنشأها السلطان الظاهر بيبرس ويختار من بين أمراء المئتين ،ويسكن فى الأصطبل ،وكان يسمى فى الأول " أمير أخور " ،وعندما ارتفعت مرتبته أضيف إليه "الكبير " ،وهو مقدم ألف . القلقشندي : صبح الأعشى ،جـ٤ ،ص١٨

كان هناك رئيس مباشر على تلك الطائفة يلقب "بمقدم النجابة " وكان متواجدًا في الديوان بصفة دائمة، لسرعة التوجه في قضاء الأمور الخاصة بالسلطان[١] ؛ ولقد تم استخدام النجابة في عمل الحيل للدخول إلي الأماكن المحاصرة من قبل العدو والمساعدة في فك هذا الحصار، فعندما كان الفرنج محاصـــرين لأسد الدين شركوه داخل مدينة بلبيس وكان السلطان نور الدين محمود يريد أن يخفف من حـــدة هـــذا الحصار فقام السلطان بجمع أعلام الفرنج وأعطاها لأحد النجابة وطلب منه التحيــل والـــدخول إلـــى المدينة ففعل ودخل إلى المدينة وأخبر أسد الدين شركوه بالنصر الذي حققه السلطان نور الدين محمود على الفرنج أثناء مسيرته إليه، وطلب منه نشر هذه الأعلام على أسوار بلبيس ففعل فوقع الرعب فـــي قلوب الفرنج فقاموا بفك الحصار[٢]، وكذلك الأمر في عام ٥٨٦هـ/١١٨٥م وصل نجاب من حلـــب ومعه كتاب يتضمن أن جماعة عظيمة من العدو الشمالي خرجوا لنهب أطراف البلاد الإسلامية[٣].

٩- القُصَّـــاد:

القصاد جمع قاصد ، وهو الرسول الذي تسند إليه مهمات سرية والذين كانت أهـــم العمليـــات المخابراتية تسند لهم، وكان يقصد بهم أيضا الجواسيس المعينين من قبل السلطان للتحرك ذهاباً وجيئة داخل أراضي الأعداء[٤].

والقصاد نوعان: أولهما الرسل الظاهرة[٥]، وكانت مهمتهم نقل الأخبار والرسائل فـــي حالـــة تعذر وصول البريد داخل حدود الدولة المملوكية، وأحياناً داخل الأراضي المغولية[٦] وكانوا يســـمون أيضاً حاملي الرسائل لأنهم يحملون الرسائل والأوامر من السلطان إلي باقي الجواســـيس، ثـــم حمـــل التقارير والرسائل من الجواسيس إلي السلطان[٧]، فمثلاً عندما وجـــه الظـــاهر بيبـــرس فـــي ســـنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م قصاداً من قبله إلي الملك بركه خان زعيم مغول القبيلة الذهبية، لم يكن ذلك بقصـــد التجسس عليه على اعتبار أن القصاد ذهبوا إلى بركة لكي يتعرفوا على أخبار المغول الذين لم يكونوا

---

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٥٥.

(٢) الفيومي: نثر الجمان في تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحـــت رقـــم ١٧٤٦ تـــاريخ، ميكـــروفيلم ١٧١٩، ورقة ٧٩.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٠.

(4) **Amitai** : Mamluk Espionage, p.174 ; Amitai : Mamluks and Mongols , p.140.

(٥) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ١٥٤.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥١١ ؛ سند أحمد: البريد، ص ٢٢٤.

(٧) أنجيلو كودفيلا: المخابرات وفن الحكم، ترجمة محمد صبري الصاوي، مراجعة الســـيد عطـــا، القـــاهرة، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م، ص ١٠.

على حلف مع المماليك ومعرفة أخباره لكونه حليفاً له آنذاك[١] ؛ ولكن على ما يبدو لمعرفة أخبار المغول من بركه الذي كان يعد من أعوان الظاهر بيبرس في تعريفه أخبار الأعداء.

أما بالنسبة للنوع الثاني من القصاد فكان يطلق عليهم "الرسل الخفية" أو حاملي البريد السري، حيث لم يكونوا مجرد ناقلين للأخبار والمعلومات السرية داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية، ولكنهم كانوا غالباً ما يتوغلون في أراضي العدو ،ويتصلون بأعوانهم هناك ،ويتعرفون منهم الأخبار بها ثم ينقلونها إلي مقر السلطة المركزية بالقاهرة[٢] ونظراً لأهمية القصاد نجد أنهم كانوا لا يتبعون أياً من الوظائف المملوكية عدا رئاسة ديوان الإنشاء[٣] حيث نجد أنه كان يكتب في تقليد وظيفة صاحب الإنشاء "... وليتول أمور القصاد..."[٤] ،ولأهمية القصاد بالنسبة للدولة باعتبارهم مصدراً مهماً من مصادر إمدادها بالمعلومات المهمة عن تحركات الأعداء واستعداداتهم[٥]، قام السلاطين بالاهتمام بهؤلاء القصاد وأجزلوا لهم العطاء نظراً للدور الذي يقومون به والمخاطر التي يضعون أنفسهم فيها أثناء الدخول إلي أراضي الأعداء للحصول على هذه المعلومات[٦].

وزاد من أهمية القصاد لدى السلاطين أن الأخبار الصحيحة والمؤكدة كانت دائماً مقترنة بأسمائهم[٧].

وكان يتم اختيار هؤلاء القصاد من الأشخاص الذين لهم دراية واسعة وخبرة ببلاد العدو، وربما يكون لهم علاقات وثيقة ببعض الأشخاص هناك فيستطيعون من خلال هذه العلاقات الحصول على ما يريدون من معلومات عن الأعداء[٨]، وخير ما يؤكد ذلك ما يرويه لنا ابن عبد الظاهر[٩] "أنه في عام ٦٦١هـ/١٢٦٣م سير السلطان بيبرس الكتب إلي عز الدين الأتابكي، وكان متاجراً بالعراق"، وذلك للتعرف على أخبار التتار منه.

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٥١١.

(٢) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص٥٤ ؛ الهروي: التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ، ١٩٧٢م، ص ١١-١٢ ؛

Amitai : Mamluk Espionage , p. 174..

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي ، ص ٢٢٠.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص٣١٤ ؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية فى مصر على عصر سلاطين المماليك ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الآداب،جامعة القاهرة،١٩٧٥م ، ص٢٣٢.

(٥) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء، ص ٥.

(6) Amiati : Mamluks and Mongols , p. 144 ; Amitai : Mamluk Espionage, p. 176.

(٧) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٥٤.

(٨) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٩.

(٩) على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٩ – ١٤٠.

ومن المرجح أن بعض هؤلاء القصاد كانوا ممن لهم نشاط ثقافي وعلمي، ومثل هذا النشاط كان يتيح لهم الاتصال بالعديد من المشتغلين بهذه المجالات، ومن خلال اللقاءات التي كانت تتم يستطيعون الحصول علي المعلومات التي تهم دولتهم، هذا إلي جانب احتمال قيامهم بجمع المعلومات المطلوبة من خلال المشاهدة والملاحظة التي تتيحها لهم فرصة التنقل بين البلدان المختلفة[1]، وخير ما يؤكد هذا ما يرويه لنا ابن أيبك الدواداري [2]من أن الشيخ شهاب الدين أحمد عندما حضر من البيرة عام ٦٩٨هـ/١٢٩٨م أخبر السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن غازان بن أرغون بن أبغا بن هلاوون ملك التتار على عزم لقصد الشام بجنوده فاستعد السلطان لذلك.

وكان أيضا للقصاد مهمة أخرى تتمثل في الحفاظ على الصلات مع الأمراء والحكام المسلمين المحليين في الأراضي المغولية، وذلك لجمع المعلومات منهم وتوصيلها إلي السلطنة وكذلك تشجيع الحكام على التمرد والثورة والهروب إلي أراضي السلطنة[3]،وهو ما قام به الأمير علاء الدين على بن عبد الله البغدادي، الذي كان قاصداً من طراز فريد، حيث اختلط بالمغول كثيراً، وتقرب إليهم، وأخذ يطلع على أخبار المغول وينقلها إلي سلاطين المماليك أولاً بأول[4].

ونجد أن القصاد كانوا لا ينقطعون أبداً عن بغداد وخلاط[5]وغيرها من بلاد الشرق والعجم[6]. ثم بعد ذلك زاد انتشارهم على حدود بلاد المغول وتوريز والعراق وماردين[7]والموصل [8]وبلاد الروم والكرج[9] ،وكان ذلك من أجل نقل أخبار الأعداء واستعداداتهم[10]، حيث حرص سلاطين

---

(١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الناصر، تحقيق ونشر سيدة صادق، باكستان، ١٩٥٦م، ص ١٩٤-٢٠٨.

(٢) الدر الفاخر، جـ٨، ص ٢٥٢.

(3) Amitai : Mamluks and Mongols , p. 144.

(٤) الدواداري: الدرة الذكية، ص ٩٢ ؛

Amitai : Mongols and Mamluks , p.143.

(٥)خلاط : هى مدينة من أعمال أرمينيا ، وهى بلد صغيرة ، كثيرة الخير ، خصبة التربة ، وهى أجل مدينة بإرمينيا . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٣٩٥ .

(٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٥٨ ؛

Amitai : Mamluk Espionage, p.176.

(٧) ماردين : هى حصن من حصون بلاد الجزيرة الفراتية ، تقع بالقرب من نصيبين . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٢٧٩ .

(٨) الموصل : هى مدينة تقع على نهر دجلة ، وهى من الأقاليم الواقعة بين دجلة والفرات . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٢٨٥ .

(٩)الكرج : هى مدينة تقع بين همذان وأصفهان . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٣٢٣ ؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٥٤.

(١٠) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٣١، تحقيق السيد الباز العريني، مراجعة عبد العزيز الأهواني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٠١.

الأيوبيين والمماليك على الاستعداد جيداً للمغول والصليبيين عن طريق بث القصاد داخــل صــفوفهم وداخل مدنهم، وفي أطراف ممالكهم، لموافاتهم باستمرار بما يتجدد من أخبارهم، من قبيل استعداداتهم الحربية واتصالاتهم السياسية[1] فكانت التحذيرات تصل من قبل القصاد، بصدد أية غارات متوقعة من قبل المغول والصليبيين، بل أنها تؤدي في بعض الأحيان إلي القبض على بعض جواسيسهما[2]، وهــو ما قام به الأمير شمس الدين الفارقاني الذي أرسله السلطان الظاهر بيبرس مع جماعــة مــن أمرائه لكشف أخبار بلاد الجزيرة وما حولها – ولكن تصادف في ذلك الوقت ارتفاع فيضان نهــر الفــرات فرجع الأمراء إلا هو، حيث أصر على إنجاز مهمة السلطان، ومن ثم عبر النهر على حالتــه تلــك وظفر بأحد جواسيس المغول وبكتبه، ثم اجتمع بجماعة من قصاد المماليك وعرف مــنهم متجــددات أخبار المغول ثم عاد فأخبر بيبرس بما حدث[3].

وقد أرسل السلطان الأشرف برسباي قاصداً إلي الشرق عام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م لكشف أخباره؛ فعاد وأخبر أن أصبهان بن قرا يوسف، لما ملك بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف، أساء السيرة، فأخرج جميع أهل بغداد منها بعيالهم، بعد أن أخذ جميع أموالهم[4]، ونجد أنه في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م انتصر المسلمون على المغول في موقعة حمص بسبب يقظة القصاد ونقل أخبار الأعداء إلي السلاطين فأنشد أحد الشعراء:

وجزْنَا الشَّامَ فِي جَيْشٍ عَظيمٍ ... سَوى جَيْش الأعَاربِ والْحشُودِ
فقصَّ القَاصِدونَ حَديثَ قَوْمٍ ... بِأَرْضِ الرُّومِ مع خَيْلِ البريدِ[5]

وعن طريق القُصَّاد كان يتم القبض على جواسيس الأعداء فنجد أنه في عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م استطاع أحد القصاد القبض على جاسوس كان قد تسلل إلي مدينة البيرة، فتم القبض عليه وأرسله إلي السلطان فأنكر أنه أحد جواسيس المغول، ثم اعترف بعد ذلك[6].

وإلي جانب عمل القصاد في الخارج نجد أنهم كانوا يبلغون السلاطين بأخبــار الأمــراء فــي الداخل فنجد أنه في عام ٨٥٢هـ/١٤٤٨م جاء أحد القصاد من الصعيد وأخبر بحدوث مقتلة عظيمــة

(1) شافع بن علي: حسن المناقب السرية ، ص١٠.

(2) Amitai : Mamluk Espionage , p. 176.

(3) اليونيني: ذيل مرآه الزمان، جـ٣، ص ٢٩٩ ؛ الصقاعي: تالي وفيات، ص ١٢.

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص ٤٤-٤٥ ؛ الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمــان، جـ٣، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٧٣م، ص ٢٨٩.

(5) مأمون فريز جرار: الغزو المغولي أحداث وأشعار، الرياض، دار البشير، ١٩٨٤م، ص ١٢٩.

(6) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٧٣ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١١٧.

بين الأمير إسماعيل الهواري وبين بني بكران ولهيان وغيرهـا وانتصـر فيهـا الأمير إسماعيل الهواري[١].

١- المناصحــون:

أما المناصح والجمع "مناصحون ونصاح" من نفس أصل الكلمة. فيعني معجمياً صديق أمين أو شخص ما يقدم النصيحة أو المساعدة الحقة. أما هنا فمصطلح مناصحين يشير إلي السكان المحليين الذين كانوا يقطنون المناطق التي كان يحكمها ويسيطر عليها العدو وغالباً كانوا لا يدينون بالإسلام لكن كان لديهم تعاطفاً تجاه المسلمين ومن ثم مدوا أيدي العون لهم عن طريق إرسال معلومات عن العـدو إلي القصاد وكانوا يسمون مكاتبين أو مراسلين أيضا[٢].

ونجد أن هؤلاء المناصحين قد لعبوا دور الوسيط الفعال في نقل الأخبـار والمعلومـات إلـي القصاد السريين ليقوموا بدورهم بتوصيلها إلي السلاطين في القاهرة[٣].

وكان يتم الحصول على المناصحين عن طريق إقامة علاقة سرية مع شباب العـدو النـابهين ،وكانوا يتحرون بعض الأشياء عند اختيارهم وهى أن يكونوا متفقين مع مبادئهم ،وأن يكونوا كتومين للأسرار ، ويفضل أن يكون عندهم تماثل عرفي أو ديني [٤]حتى يكون عندهم ولاء طويل [٥].

ولأهميتهم فكان لا يتبع أياً من وظائف الدولة عدا رئاسة ديوان الإنشاء "فيقول... وليتـولى – أمور النصحاء..." [٦].

ولقد اهتم بهم السلاطين أيضا وقاموا بتأمين طرقهم، وجعل العقاب الشديد لكل من تسول لـه نفسه باعتراض طريقهم ففي سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م قام الأرمن بقطع الطرقـات علـى المناصـحين والاستيلاء على رسائلهم فقام السلطان بتأديبهم[٧].

وكان من مظاهر اهتمام السلاطين بهم أيضا أنهم جعلوا لهم رسوماً جزيلة لا تنقطـع عـنهم وأموالا جمة تحمل إليهم[٨] ومن مظاهر اهتمام السلاطين بالمناصحين أنهم كانوا لا يـدفعون كلامهـم وأخبارهم هكذا ،ولكن كانوا يقابلونه بالبشاشة والاهتمام وذلك حتى يحافظوا عليهم وكـان إذا جـاءهم

---

(١) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص ١٦٤.

(2) Amitai : Mamluk Espionage, p. 175 ; Amitai : Mongols and Mamluks, p.143.

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٢٥ ؛

Amitai : Mamluk Espionage , p.175.

(٤) أنجيلو كودفيلا: المخابرات وفن الحكم، ص ٥٨٣.

(٥) شافع بن على: الفضل المأثور، ص ٦٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص ٣١٤.

(٧) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل،(د.ن) ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٦٧.

(٨) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٥٤.

متنصح لا يؤخرون عرضه ولكن كانوا يقومون بعرضه بسرعة على السلاطين ؛ وظل هذا الاهتمام قائماً حتى تقلصت أعدادهم منذ منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، نظراً لإبعاد أمراء المماليك لهم، وتقريبهم للسفهاء والأوباش وغيرهم من عامة الرعاع[1] وكان هؤلاء المناصحون متواجدون ومنتشرون في بلاد الأعداء لمطالعة السلاطين بأخبارهم أولاً بأول ، ومن أمثلة هؤلاء الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا وكان مقدما كبيرا لدى المغول وكان يقيم ببلاد آمد، ويناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات المغول[2].

وكما كان للمسلمين مناصحون في أراضي أعدائهم كان لأعدائهم مناصحون في أرضهم ؛فنجد أن الملك السعيد حســن بن عبد العزيز[3] الذي كان يملك الصبيبة وبانياس كان أحد المناصحين للتتار ضد عسكر المسلمين في معركة عين جالوت[4].

وفي مجال رعاية الدولة للمناصحين أنه عندما ينكشف أحد المناصحين الموجودين عند الأعداء ويهرب إلي بلادهم ويحتمي بهم كانوا يستقبلوه ويوفرون له الحماية ومثال ذلك ما حــدث فــي عــام ٦٧٢هـ/١٢٧٢م عندما هرب الأمير شمس الدين بهادر ابن صاحب سميساط[5] من التتار، وذلك لأنه كان مناصحًا للسلطان ضد المغول ولكنهم كشفوا أمره فهرب إلي السلطان الظاهر لكــي يــوفر لــه الحماية[6].

١١- البراجـــــون:

كان البراجون يقومون على رعاية الحمام الخاص بالمراسلات، وكانوا يسكنون جنباً إلي جنب مع السواس القائمين على خدمة خيل البريد ،أو في أبراج الحمام نفسها التي شيدها لهم السلاطين[7].

وكان لكل برج رئيس مقدم، وتحت تصرفهم البغال لحمل ما يخص الحمام والبراجين القائمين

---

(1) ابن منكلي: الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز محمــود عبــد الــدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٨٠-١٨١.

(2) صبحي عبد المنعم: سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام، ط٢، القــاهرة، دار العربــي، ٢٠٠١م، ص ٨١.

(3) الملك السعيد : حسن بن عبد العزيز بن الملك العادل. كان الملك السعيد هذا صاحب الصبيبة وبانياس ، ووقعت له أمور ، وحبس بقلعة البيرة ، حتى أخرجه التتار وقاتل المسلمين معهم، ثم ظفر به فضربت عنقه بين يدي الملــك المظفر قطز في سنة ٦٥٨هــ / ١٢٦٠م ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي ، جــ١ ، ط٢ ، تحقيق وتقديم فهيم محمد علوي ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م ، ص ٢٦٤.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، جــ١٣، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث ، ١٣٥٨هــ، ص٢٥٣.

(5) سميساط : هى من بلاد الشام ، وتقع على نهر الفرات ، وهى مدينة حصينة ، تقع فى الغرب من قلعة الروم وفى الشمال من حصن منصور . ابن شاهنشاه : تقويم البلدان ، ص ٢٩٧.

(6) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص ٧٨ ؛ العيني: عقد الجمان، جــ٢، ص ١١٣.

(7) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، تحقيق واعتناء أحمد حطيط، فيسبادن، ١٩٨٣م، ص ٣٥٧.

من الطعام[1].وكان هؤلاء العمال إلي جانب رعايتهم واهتمامهم بالحمام كانوا يقومون بعمل آخــر وهو أنهم كانوا عيوناً للسلاطين على الأعداء فنجد أنهم إذا رأوا أو سمعوا أمراً كتبوه بورقة وعلقوها بالطائر وأطلقوه في الحال لكي يقف السلطان على الخبر[2]، لذا ليس بغريب أن القائمين علـــى تلــك الخدمة كانوا يمنحون رواتب جديرة بالاحترام ، لأنهم كانوا يسهرون على مراقبــة العــدو ورصــد تحركاته أولاً بأول، ثم يرسلون بأخباره إلي السلطان كي يتخذ الاحتياطات اللازمة ضدهم[3].

وكان رئيس ديوان الإنشاء يتولى الإشراف عليهم[4]، ويجب على البـــراج أن لا يغفــل عــن المراقبة حين تكون الحمامة مرسله، حتى إذا ما أقبلت ودخلت وكرها أحضرها والبطاقة إلي الدوادار الذي يقوم بنزعها من جناحها، تمهيداً لقراءتها على السلطان[5].

وكان يجب على البراج أن لا يفض البطاقة من جناح الطائر، حتى وإن كان لا يعرف القراءة أو الكتابة، فيضع نفسه بذلك موضع الشك لدى السلطان[6] وكان يجب على البراج أن ينتخب الحمــام الجيد لاستخدامه في نقل الأخبار [7].

١٢- المنـــــاورون:

وكان هؤلاء العمال مرتبين في المناور التي شيدها السلاطين على قمم الجبال وذلك لمراقبـــة تحركات الأعداء أيضاً على الحدود وإبلاغ السلطان أولاً بأول عن طريق اســـتخدام النـــار أو إشـــارة الدخان [8].

وكان رئيس ديوان الإنشاء بمصر يتولى الإشراف على المناورين والديادب والنظارة[9]، فمن "يعلم به العلم اليقين إذا رفع دخانه أو ناره، وهم في جنبات حيث لا يخفى لأحد منهم نار، ولا يزال كل

---

(1) حسن فزحات: الدواوين في مصر، ص ٩٢.

(2) سيد على الحرير: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط٣ ، القاهرة، الزهراء للإعــلام العربـــي، ١٩٨٥م، ص ١٤٩.

(3) العمري: التعريف، ص ٢٥٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣٩٨ ؛ محمود خليل: نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت،(د. ن)، ١٩٨٦م، ص ١١٧.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١١٩ ؛ نيقولا: مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام، بـــاريس، (د. ن) ، ١٨٠٥م، ص ٧١.

(5) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص ٩٢.

(6) نيقولا: مسابقة البرق والغمام، ص ٧١-٧٣.

(7) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ١٢٠.

(8) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ١٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص٣١٤-٣١٥ ؛ كمال بـــدور: حلب في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، ٢٠٠٢م، ص ١٦١.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص ٩٢.

نبأ بتنويرهم كأنه جبل في رأسه نار"[1]، وكان نواب السلطنة أيضاً يتعهدون المنورين بالرعاية ويلزمونهم بالبقاء في قمم الجبال لرصد طوارق الصليبيين والمغول، بل وفي بعض الأحيان كان النواب يتفقدون هؤلاء العمال، فقد ورد في تقليد نائب السلطنة بالشام "... وإلزام المناورين بالديدبانات والمناظر، والمناور في الأماكن المعروفة وتعهد أحوالها وتفقدها... " [2].

وكان يكفي جلوس المناورين في ظل صخرة وبجوارهم كومة من الحطب الجاف جداً لإشعالها في الوقت المناسب، حالما يرصدون ظهور نار أو دخان في الأفق[3]، وليس بالغريب أيضاً أن القائمين على تلك الخدمة كانوا يمنحون رواتب جديرة بالاحترام، لأنهم كانوا يسهرون على مراقبة العدو ورصد تحركاته أولاً بأول، ثم يرسلون بأخباره إلي السلطان كي يتخذ الاحتياطات اللازمة ضده[4] وبالتالي استطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك عن طريق هؤلاء العمال معرفة أخبار دولتهم وهم مقيمون بقلعة الجبل، لدرجة أن متجددات الأخبار التي تحدث حول الفرات في وقت الصباح كانت تصل إليهم بحلول المساء، ومتجدداتها في وقت المساء تصل بحلول الصباح[5]، أي أن الأخبار كانت تصل من تخوم الدولتين إلي العاصمة القاهرة في يوم واحد[6].

١٣ - الفداوية:

من الممكن أن نضم الفداوية إلي مجموعة العاملين في التجسس ،وكان يتم انتقاؤهم في بلادهم ويتم تأهيلهم عن طريق تحديد أعمارهم، وأساليب تدريبهم ومهامهم، وطرق انتقائهم واصطفائهم[7] وكان هذا البرنامج يستهدف إعداد كوادر نشطة لتكون قادرة على أداء مهامها التي توكل إليهم على أكمل وجه.

فكان يتم تربيتهم منذ نعومة أظفارهم بحيث كان يشترط فيهم ألا تزيد أعمارهم عن عشرين سنة ولا تقل عن اثنتي عشرة سنة[8]،وكان يتم تدريبهم على الجاسوسية وعلى استعمال المكاتبات السرية في اتصالاتهم الداخلية والخارجية مع السلاطين[9]. ،وعلى استخدام كافة أنواع الأسلحة

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص ٣١٥.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٧، ص ٢٠٤ ؛ جـ٨، ص ٥٩.

(3) Sadeque : Development of Al- Barid or Mail – Postduring the Reign of Baybars Iof , JASP , XIVm 1969 , p. 183.

(٤) العمري: التعريف، ص ٢٥٩.

(٥) العمري: التعريف، ص ٢٥٩؛

Hartman : Politische Geographie des Mamluks enreiche , ZDMG , 70 , 1916 , S.504.

(٦) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٣ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٤، ص٤٠٠.

(٧) محمد عبد الله المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ص٦٧.

(٨) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٧.

(٩) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، بيروت، (د. ن)، ١٩٦٥م، ص٧٦-٧٢

المعروفة في ذلك الزمن ولاسيما الخناجر لإجادة فنون الاغتيال وطرقه وأساليبه، و إتقان وسائل الرصد والتنكر والتخفي حيث كانوا يترصدون لضحاياهم في ثياب الزهاد والعباد أو في هيئة المتسولين والمعدمين أو يرفعون أصواتهم كمستضعفين ومستغيثين ومظلومين، كما تنكروا في ثياب الخدم والنساء وسائس الخيول، وتخفوا كجمالين وحمالين، وتقمصوا شخصيات التجار وتزيوا بزي الجند ولعبوا دور التلميذ الباحث عن العلم، والناسك المعتكف في مسجده، والراهب المتقوقع في صومعته[١].

وقد سهل لهم ذلك عملية الانخراط في جميع فئات المجتمع على اختلاف أصولهم وعقائدهم مما مكنهم من التمويه على أنشطتهم وتنفيذ عملياتهم الفدائية بيسر وسهولة، إذ يتعذر تمييز الشخص الباطني من غيره فهو؛ شيعي مع الشيعة، وسني مع أهل السنة، ونصراني مع النصارى، ويتظاهر غالباً خلاف ما يبطن. ونتيجة لذلك كان الفداوي يتربص بضحيته شهوراً وربماً أعواماً من أجل الانقضاض على فريسته في اللحظة الملائمة، وهو طوال تلك الفترة يكيف نفسه مع حياة المجتمع الذي يعيش فيه، فيعيش عيشه طبيعية منسجماً مع عاداته ومؤدياً شعائره وعباداته ومتحدثاً بلغة أهله[٢].

وقد تعرض سلاطين الأيوبيين والمماليك إلي العديد من محاولات الاغتيال من قبل هؤلاء الفداوية[٣] مما دفع السلاطين إلي مصالحتهم والتحالف معهم واستخدامهم والاعتماد عليهم في التجسس، وذلك للقيام بتنفيذ المهام السرية المتعلقة بعملية اغتيال أعداء الدولتين.

وكان يتم استدعاؤهم من قبل رئيس ديوان الإنشاء، وكان يعبر عنهم بالصقور، وكان يتم منعهم من مخالطة الناس عند الحضور إلي ديوان الإنشاء، وكانوا لا يمكنون الغرباء من الدخول عليهم حتى لا يطلعون على مكانهم، وإذا حضروا إلي الأبواب الشريفة، يكونون بمعزل عن الناس عند كاتم السر، ولا يدخل عليهم، غير القائم بمصالحهم ويكون موثوقًا به في الأمانة والعقل، وكان كاتم السر يختبرهم عن طريق قيامهم بتمثيل الخطة التي سيقومون بتنفيذها مع العدو، فإن وجد كاتم السر تمثيل الخطة مقبولاً سمح لهم بالتوجه إلى العدو، ولكن إن وجدها غير مقبولة وضع لهم خطة أخرى يقومون بتمثيلها ليصلوا إلى الخطة المناسبة لقتل العدو[٤].

ولا بد أن يكون كاتم السر واثقاً منهم لأنهم يتولون خدمة السلطان الخاصة[٥]، ولهذا يجب أن

---

(١) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٨.

(٢) محمد المقدم: الاغتيالات في بلاد الشام، ص ٦٨.

(٣) وهو ما سنتحدث عنه فى الفصل الرابع

(٤) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٤-٧٥.

(٥) رجاء علي: النظام الإداري، ص ١١١.

تتوافر فيهم شروط، منها الطاعة العمياء والانقياد الكلي لصاحبهم[١]،وكذلك الأمر كان على صاحب ديوان الإنشاء أو كاتم السر كلفتهم في مضيفتهم ومدة إقامتهم وتوجههم[٢].

وبالتالي نجد أن سلاطين الأيوبيين والمماليك استخدموهم في عمليات التجسس على الأعداء وكذلك القيام باغتيال الأشخاص المناوئين للسلاطين سواء في الداخل أو الخارج[٣]، ولم يقتصر عملهم على ذلك فقط ولكن نجد أنهم كانوا يستخدمون في تكوين شبكات سرية داخل بلاد الأعداء لجمع الأخبار كما ذكر أو تنفيذ الاغتيالات.

وليس أدل على ذلك مما يرويه لنا المقريزي من أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل تاجراً يدعى يونس إلي توريز[٤] لكي يأوي إليه الفداوية وليكونوا شبكة سرية للتخلص من المناوئين للسلطان وكذلك إرسال أخبار الأعداء إلي السلطان وقيامهم بقتل نائب بغداد وإخبار السلطان الناصر بذلك[٥].

ثالثاً:- الشروط والصفات الواجب توافرها في عمال التجسس:

نظراً لاحتياج سلاطين الأيوبيين والمماليك وحرصهم الشديد على تفقد أحوال أعدائهم وأحوال رعيتهم، من أجل تثبيت دعائم المملكة[٦]، دفعهم ذلك إلي الاهتمام بعمال التجسس وأسندوا إدارتهم إلي ديوان الإنشاء[٧].

ولأن عمال التجسس يعدون بمثابة قلب هذا التنظيم فبصلاحهم يصلح وبفسادهم يفسد كل هذا جعلهم متفردين عن باقي عمال الدولة وذلك لأن عملهم يعد من أشق الأعمال وأصعبها مما دفع السلاطين إلي وضع شروط لمن يقوم بالعمل في هذا الجهاز[٨]، وعلقوها على رئيس ديوان الإنشاء الذي وقع على عاتقه إسناد المهام المتعلقة بهذا الجهاز لشخص معروف عنه الكفاءة التامة، ويمتلك من الصفات والشروط ما يؤهله لذلك، وإن لم تتوافر فيه فلابد وأن تودي بحياته[٩].

---

(١) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، ص ٧٢.

(٢) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٥.

(٣) ميشيل لباد: الإسماعيليون بمصياف، ص ٧٦.

(٤) تبريز : أشهر بلدة بأذربيجان ،والعامة تسميها توريز وكان بها كرسي ملك هولاكو ملك التتارر ،وكان قاعدة أذربيجان فى ذلك الوقت ــ أبو الفداء : تقويم البلدن ،ص٤٠٠

(٥) السلوك، جـ٢، ق٣، ص ٥٥٥-٥٥٦.

(٦) الأسدي: التيسير والاعتبار، ص ١٥٣ ؛ ابن منكلي: الأحكام المملوكة، ص ٣٤.

(٧) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ٤٦-١٢٣.

(٨) إبراهيم على محمد: المدخل إلي علم الاستخبارات رؤية إسلامية، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، (د.ت) ، ص ٥٨.

(٩) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٦ ؛ الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٣-٨٥.

لذا اشترط في العاملين بالتجسس عدة شروط منها:

١- **أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه**[1]: فكان يشترط فيهم أن يكونوا صادقين في كل عملهم ونصائحهم وأخبارهم التي يرسلونها من بلاد العدو، وكان السلاطين يحرصون على توافر هذا الشرط في العمال، وذلك عن طريق إعطائهم المال الكثير "فيقال: إن أهل التجربة والحروب كانوا يستدعون صدق جواسيسهم بأنهم كانوا يعطون المال الكثير للجواسيس الذين يأتون بالأخبار المكروهة أكثر من الجواسيس الذين يأتون بالأخبار المحبوبة لديه"، كما أنهم كانوا يعهدون بها لمن لا يساء الظن بهم وبألسنتهم وأقلامهم، ولا يجرون وراء أغراضهم ومصالحهم الخاصة، ولا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب وحرص المكاسب، وأن يكونوا ممن يعرف عنهم الثقة والدين والأمانة[2].

٢- **قوة الذاكرة والفراسة**:- حيث نجد أن نجاح المهمة التجسسية تتوقف على قدرة الجاسوس وتمتعه بمواهب كثيرة لا بد أن تتوافر منها[3]، أن يكون ذا فراسة تامة ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال الأعداء بالمشاهدة ما كتموه عن النطق به، وأن يكون كثير الذكاء كاتماً للأسرار، وأن يكون قوى الملاحظة حتى لا تفوته تفاصيل الأشياء، وأن يكون ذا حدس صائب ليصل إلي استنتاجات تعينه على عمله وتنقذه من الخطر، كما يجب أن يكون قوى الذاكرة لتعينه على حفظ المعلومات بدقة شديدة، وتمكنه من ربط ملاحظاته، ومعلوماته ببعضها البعض ليخرج بنتائج محددة[4].

وهو ما حدث عام ٥٨١هـ/ ١١٨٥م عندما أراد السلطان صلاح الدين فتح خلاط فنجد أنه ندب أحد الجواسيس إليها لكي يتعرف أخبارها، فاستطاع الجاسوس أن يعرف بتفرسه وقوة ملاحظته أنهم يريدون الصلح وليس الحرب[5].

٣- **معرفة جغرافية البلاد وطرق الوصول إليها** : وذلك ليكون أغنى له عن السؤال عنها وعن أهلها، فربما كان في السؤال تنبيه وتيقظ لأمره فيكون سبباً في هلاكه، بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن

---

(1) الماوردي: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت ، دار العلوم العربية ، ١٩٨٧م، ص ٢٦٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٣ ؛ جـ ١٠، ص ٢١٤.

(2) نظام الملك: سياسة نامه، ص ١٠٠ ؛ الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م،ص٢٤ ؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية ، ص ١٧ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(3) أنجيلو كودفيلا: المخابرات وفن الحكم، ص ٣٩.

(4) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٦ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، جـ١، ص ٢٣ ؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٣٠٤ ؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٤ ؛ وفيق الدقدوقي: الجندية في عهد الأمويين، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥م، ص ٢٧٧ ؛ إبراهيم على: المدخل إلي علم الاستخبارات، ص ٦٣.

(5) البنداري: سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م، ص ٢٥٦.

حال ملكه فدل عليه وكان عيناً عليه لا له[1].

ومعرفة الطرق والمداخل والمسالك ضرورية للجاسوس وذلك حتى لا يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندما يتنبه له، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري[2].

٤- إتقان لغات أهل البلاد التي يتوجه إليها : ليستطيع أن يجمع الأخبار ممن يخالطهم من أهل الدولة الذاهب إليها، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ويجب أن لا يكون ذلك الجاسوس ممن يتهم بممالأة أهل ذلك اللسان، حتى لا يميل إليهم[3]، وأن يكون شبيهاً بأهل البلد التي يرسل إليها من حيث الصفات الجسمانية والشكل ولون البشرة والملامح المميزة[4] وذلك حتى يلبس لبسهم، ويتكلم لغتهم، ويتدرج بينهم دون أن يعرفه أحد[5]، وإن عرف لغات عدة فيكون ذلك شيئاً عظيماً[6].

٥- قوة الجسم والصبر : ليكون قادراً على الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لأي اعتداء، كما أنه يجب أن يكون من المخلصين لعملهم[7]، كما أنه يجب أن يتحلى بالصبر حتى إذا قبض على الواحد منهم لا يتفوه بأخبار مُرْسِلِهِ ولا يعترف بأنه جاسوس أصلاً لأن في ذلك هلاكه[8]، وفي ذلك يقول الرشيدي "... ويجب أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إذا ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على وهن في مملكته، فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلاً ؛ فإن ذلك مما يحتم هلاكه ويقضي إلى حتفه... إلي غير ذلك من الأمور التي لا يسع استيعابها"[9].

٦- القدرة على التنكر وكثرة الدهاء والخديعة : ولا بد أن تتوافر فيه لأنه سوف يمر ويتعرض لمواقف حرجة وخطرة، وكانت هذه الصفة تؤمن رجل المخابرات أثناء تأدية واجباته، وتنفيذ مهامه المسندة إليه، وتمنعه من أن يكشف أمره، أضف إلي ذلك أنها تحافظ على حياته، والتنكر لكل مهمة

---

(1) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤ ؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩ ؛ محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه ص ٩٧ ؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، جـ١،القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٢١٨.

(2) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٩٦، سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٦.

(3) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤-١٢٥.

(4) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(5) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٥.

(6) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(7) المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة ، ١٩٨٤م، ص ٣٢٩-٣٣٠ ؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٦.

(8) علي السيد: الإسهام العسكري المصري، ص ٣٧١.

(9) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧-٢٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٢٤.

حال ملكه فدل عليه وكان عيناً عليه لا له[١].

ومعرفة الطرق والمداخل والمسالك ضرورية للجاسوس وذلك حتى لا يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندما يتنبه له، فيقع في قبضة العدو وهو لا يدري[٢].

٤- **إتقان لغات أهل البلاد التي يتوجه إليها :** ليستطيع أن يجمع الأخبار ممن يخالطهم من أهل الدولة الذاهب إليها، وسكان البلاد العالمين بأخبارها، ويجب أن لا يكون ذلك الجاسوس ممن يتهم بممالأة أهل ذلك اللسان، حتى لا يميل إليهم[٣]، وأن يكون شبيهاً بأهل البلد التي يرسل إليها من حيث الصفات الجسمانية والشكل ولون البشرة والملامح المميزة[٤] وذلك حتى يلبس لبسهم، ويتكلم لغتهم، ويتدرج بينهم دون أن يعرفه أحد[٥]، وإن عرف لغات عدة فيكون ذلك شيئاً عظيماً[٦].

٥- **قوة الجسم والصبر :** ليكون قادراً على الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لأي اعتداء، كما أنه يجب أن يكون من المخلصين لعملهم[٧]، كما أنه يجب أن يتحلى بالصبر حتى إذا قبض على الواحد منهم لا يتفوه بأخبار مُرْسِلِهِ ولا يعترف بأنه جاسوس أصلاً لأن في ذلك هلاكه[٨]، وفي ذلك يقول الرشيدي "... ويجب أن يكون صبوراً على ما لعله يصير إليه من عقوبة إذا ظفر به العدو بحيث لا يخبر بأحوال ملكه ولا يطلع على وهن في مملكته، فإن ذلك لا يخلصه من يد عدوه، ولا يدفع سطوته عنه بل ولا يعترف أنه جاسوس أصلاً ؛ فإن ذلك مما يحتم هلاكه ويقضي إلى حتفه... إلي غير ذلك من الأمور التي لا يسع استيعابها"[٩].

٦- **القدرة على التنكر وكثرة الدهاء والخديعة :** ولا بد أن تتوافر فيه لأنه سوف يمر ويتعرض لمواقف حرجة وخطرة، وكانت هذه الصفة تؤمن رجل المخابرات أثناء تأدية واجباته، وتنفيذ مهامه المسندة إليه، وتمنعه من أن يكشف أمره، أضف إلي ذلك أنها تحافظ على حياته، والتنكر لكل مهمة

---

(١) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤ ؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩ ؛ محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه ص ٩٧ ؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية والمملوكية بمصر، جـ١،القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٢١٨.

(٢) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٩٦، سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٦.

(٣) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ١٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٤ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٨.

(٥) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٥.

(٦) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٣م، ص ٢٨١.

(٧) المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق على سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة ، ١٩٨٤م، ص ٣٢٩-٣٣٠ ؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص ١٧٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٦.

(٨) على السيد: الإسهام العسكري المصري، ص ٣٧١.

(٩) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧-٢٨ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٢٤.

جديدة يجعل من الصعوبة بمكان على جواسيس الأعداء كشفه بسهولة، وإن لم يتصف بذلك لفشل في مهمته ولظفر به عدوه، وفقد الحصول على المعلومة ومن هنا ينبغي أن يراعى ذلك في اختياره[١]، ويقول بعض أهل التجربة.

"... يجب أن يكون كثير الدهاء والحيل والخديعة ليتوصل بدهائه إلي كل موصل ويدخل بحيلته إلي كل مدخل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه، فإنه متى كان قاصراً في هذا الباب، أوشك أن يقع وظفر العدو به، أو يعود صفر اليدين من طلبه"[٢].

فقد كان القادة أحياناً يظهرون لعدوهم ما يجب أن يعلمهم عنهم، ليكيدوا له ويغرروا به، كما أوضح الهرثمي في قوله : "... لقد تحتاج في بعض الأحوال أن يعرف عدوك بعض أحوالك وتدبيرك لما تحاول من مكايدته، فتلطف في ذلك بإظهار لجواسيسه، ليوصلوه إليه على ما يظهر فيه"[٣].

٧- **<u>كثرة الاختلاط مع الناس والتمتع بالذكاء الفطري:</u>** يجب أن يكون كثير المداخلة مع الناس فيحضر ولائمهم ومجالس وعظهم [٤] ويختلط أو يندمج معهم فى الأسواق ،حتى يمكنه أن يطلع على أكبر قدر ممكن من المعلومات والأسرار ،ويتعرف أحوال عامة الناس وأراجيفهم [٥].

وكان من الطبيعي أن يعتمد قادة هذا الجهاز على الاستغلال الأمثل بقدر الإمكان للغريزة الطبيعية التي يتحلى بهًا الإنسان، ونقصد بها الذكاء الفطري لدى الأفراد الذين يستخدمون في هذا المجال[٦]، كما ينبغي أن يبتعد عن شرب الخمر، لأنها تفضح شاربها، وتكشف عما في نفسه من الأسرار[٧].

٨- **<u>الشجاعة والإقدام :</u>** وذلك لأن العمل التجسسي تكتنفه الخطورة، والمخاطرة بالنفس، لذا لابد أن يتصف رجل المخابرات بالشجاعة كي يؤدي عمله على الوجه الأكمل وبالصورة المطلوبة[٨]، وفي ذلك ذلك يقول الأنصاري[٩] "... يجب أن يكونوا شجعان، لأنه لو تسلل الخوف إلي قلوبهم، فلن يستطيعوا نقل الأخبار السيئة خوفاً من أن يصيبهم أذي أو يلحقهم مكروه ".

---

(١) الرشيدي: تفريج الكروب، ص ٢٧ ؛ إبراهيم على: المدخل إلي علم الاستخبارات، ص٦٣-٦٥-٦٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٣ ؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات، ص ١٣٩.

(٣) الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص ٢٥ ؛ عبد الرؤوف عون: الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١م، ص ٢١٥.

(٤) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص ٢٩.

(٥) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ٨٥.

(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ١٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٠٤.

(٧) الحسن عبد الله: آثار الأول، ص ٩٣-٩٤ ؛ إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية إلي أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ رقم ١٧٩ نوفمبر ١٩٥٧م، ص ٣٤.

(٨) إبراهيم على: المدخل إلي علم الاستخبارات، ص ٦٥.

(٩) الأنصاري: تفريج الكروب، ص ٢٢.

٩- **توافر الخبرة والمهارة:** وذلك عن طريق الخبرة المكتسبة من التجـارب الشخصـية، وتجـارب الآخرين والمهارة التي تمكنه من معالجة الأمور وتقييم المعلومات، والاستنتاج الدقيق، والتحليل العميق لكل المعلومات أو التصرف في شتى جوانب العمل الاستخباري بسهولة ويسر[١].

ويقول نظام الملك[٢] "... ينبغي أن يتولاها المعتمدون فقط؛ فقد كان الملوك كلما عثروا علـى أمثال هؤلاء، يرسلونهم في المهام إلي شتى الأنحاء والأطراف باستمرار ".

كما كان السلاطين يقومون بامتحانهم مدة طويلة، قبل أن يرسلوهم في مهام رسمية، ليكونـوا على بينة من أمرهم فيثق بهم ويرسلهم[٣].

وفي النهاية نقول إنه متى توافرت هذه الشروط في العمال، كانوا جديرين بأن يرسـلوا فـي المهمات السلطانية[٤]. وإن لم يتوافر فيهم فإنهم يكونون غير مؤهلين لهذه الوظيفـة، حيـث تجعلهـم يرتكبون بعض الأخطاء التي قد تودي بحياتهم[٥].

رابعاً:- رعاية الدولة للقائمين بأعمال التجسس

كان هناك بعض الواجبات تجاه عمال التجسس من جانب السلاطين بحيث تحثهم على الإقبال على تلك الوظيفة الخطيرة دون خوف خاصة وأنهم كانوا معرضين للهلاك أثناء أدائهم لوظيفتهم؛ إما بسبب العوارض الطبيعية السيئة مثل الصواعق[٦]، أو بشرية كتعرضهم للبطش من قبل الأعداء الذين الذين كانوا جادين في البحث عنهم للقبض عليهم وإعدامهم[٧]، وهو ما جعـل السـلاطين يوجهـون اهتمامهم ورعايتهم لهؤلاء العمال نظراً لما يتعرضوا له، ونظراً لما يمثلوه للبلد من خطورة في جمـع الأخبار ونقلها. [٨]

هذا؛ وقد حثت المصادر ولاة الأمر على الاهتمام بعمال التجسس لما فيه من فوائد جمة تعـود عليهم وعلى الدولة بشكل عام[٩]؛ فمن واجب السلطان تحري أحوال الرعية والجيش وكل بعيد وقريب، وقريب، ومعرفة كل كبيرة وصغيرة في المملكة، فإن لم يفعل ذلك فيكون ذا عيب ومأخذ يأخذه الناس

---

(١) إبراهيم على: المدخل إلي علم الاستخبارات، ص ٦٣.

(٢) سياسة نامه، ص ١٢٢.

(٣) الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك،جـ٢، تحقيق محمد عبد الكريم ، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م ، ، ص ٥٩٦.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ١٢٤.

(٥) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ١٠٦.

(٦) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زيتر شتين، ليدن ،(د. ن)، ١٩١٩م، ص٤٧.

(٧) ابن أبي الفضائل: تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمـه للفرنسية وعلق عليها

E.Blouchet: Patrologiaorientalis,XII ,XIV,XXII, Paris, 1919,P. 719- 720.

(٨) محمود نديم: الفن الحربي، ص١٧١.

(٩) حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص١٨.

عليه، ويحملونه محمل الغفلة والتهاون والظلم، وبالتالي كان يجب أن يكون له مخبرون في كل مكـــان يعرفونه بكل ذلك. (١)

وقد بيَّن ذلك الجاحظ موضحًا ما يجب على الملك إزاء التمييز بين الأولياء والأعداء مستغلاً ما بين يديه من أسرار ،ودقيق الأخبار ، وحث ولي الأمر على التزود بالمعلومات الكافية عمن حوله ، ويسعى لذلك جاهدًا ما استطاع إلى ذلك سبيلاً فقال : (٢) "... ويجب على الملك أن يميز بين الأوليـــاء والأعداء، وهذا التمييز لا يتأتى إلا عن طريق الأسرار ودقيق الأخبار، ويمضي الجاحظ يحث ولـــي الأمر على التزود بالمعلومات عمن حوله حتى بلغ به القول: " إن أمكنه أن يعـــرف مبيـــت أحـــدهم ومقيله، وما أحدث فيها فعل.. وعليه أن يفحص عن أسرار رعيته فحص المرضع عن منام رضيعها " ويعتبر أن التشدد في جمع الأخبار عن الرعية من الأخلاق السعيدة الملازمة لولي الأمر، حتى يكـــون على اطلاع على ما تدبره الخاصة قبل العامة قائلاً بهذا الشأن "

ومن مظاهر رعاية الدولة للقائمين بعملية التجسس إكرامهم والأخذ بقلوبهم وأن يزيد إليهم في الإحسان وأن يقوم بود أهله أثناء غيبته وذلك حتى يبين له أن منزلته ـــ أي منزلة الجاسوس ـــ عالية في الدولة، وأن الواجب الذي يقوم به كبير لصالح الدولة، وإذا مات أو قبض على أحد منهم أحسن إلى من خلفه من أهله مثلما كان يحسن إليه من قبل ليكون ذلك داعياً لغيره من الجواسيس علـــى العمـــل وعدم الخوف. (٣)

و يجب ألا يظهر لجاسوسه كراهة ما يأتيه به من الأخبار المكروهة، حتى لا يخفي عنه أسرار بعد ذلك، حيث نجد أن بعض الملوك كان يعطي من يأتيه بالأخبار المكروهة أكثر مـــن الـــذي يأتيـــه بالأخبار السارة. (٤)

ومن رعاية الدولة لهؤلاء العمال أنها قامت بتشييد بعض دور الضيافة لهم على الطرقات وذلك

للراحة بها أثناء الذهاب والمجيء من تأدية مهامهم. (٥)

ومن مظاهر الرعاية أيضاً أن الدولة كانت تقوم بمعاقبة من يتعرض لهؤلاء العمال بأشد أنواع العقوبات؛ ففي سنة ٦٦٣هـــ / ١٢٦٤م تم اعتقال نور الدين زامل ـــ أمير العربان ـــ لقيامه بـــالقبض

---

(١) نظام الملك: سياسة نامة، ص٣٢.

(٢) التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، القاهرة،(د. ن)، ١٩١٤م ؛ طبعة بيروت، تحقيق فـــوزي عطـــوي ، الشركة اللبنانية للطباعة، ١٩٦٤م ، ص١٧١-١٧٢.

(٣) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٢٨-٢٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـــ١، ص١٢٤-١٢٥.

(٤) الرشيدي: تفريج الكروب،ورقة٣٠ – ٣١ ؛ الهرثمي : مختصر سياسة الحروب ، ص ٢٤ ؛ القلقشـــندي : صـــبح الأعشى ، جـــ١ ، ص ١٢٥.

(٥) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص ٣٥٥.

على قصاد المماليك المتوجهين إلى شيراز، وأخذ الرسائل منهم وإرسالها إلى هولاكو ملك المغول (١)، (١)، وكذلك الأمر حينما كثر اعتداء أهل بلدة كينوك(٢) على قصاد الظاهر بيبرس، لم يتوان عن إرسال إرسال الجيش المملوكي إليهم لتأديبهم فألحق بهم خسائر فادحة.(٣)

والحديث عن ميزانية ومرتبات عمال التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي من الأمور الصعبة والغامضة؛ نظراً لخلو أغلب المصادر الأيوبية والمملوكية من الإشارة إلى تلك النقطة بالتفصيل، وهو ما أدى إلى خلو الدراسات الحديثة أيضاً حول ذلك الموضوع مثل كتاب أشتور Ashtor عن الأجور والمرتبات في العصر المملوكي، والذي لم يتضمن أي إشارة عن مرتبات هؤلاء العمال أبان تلك الفترة.

وتوجد إشارات متناثرة في بعض المصادر الأيوبية والمملوكية عن رواتب القائمين بعملية التجسس؛ فبعضها أشار إلى أنهم كانوا يأخذون رواتبهم عقب إنجازهم لمهامهم المكلفين بها ذهاباً وإياباً ،ولكنه في الغالب كان يمثل "أجراً" أكثر منه "راتباً" ،وأشار البعض الآخر من المصادر إلى نوع آخر من الأجور وهي المنح والهبات التي كان ينعم بها على عمال التجسس عقب قضائهم لإحدى مهامهم، وكانت هذه الهبات إما في شكل ملابس أو أموال أو خلع أو بالإمارة أو ببعض الإقطاعات.

وقد كان سلاطين الأيوبيين والمماليك يمنحون عمال التجسس رواتب جديرة بالاحترام (٤)؛ فكان فكان منها ما هو مالي عبارة عن رواتب شهرية، بالإضافة إلى الأشياء العينية التي تصرف لهم من خبز ولحوم وتوابل وزيت وسكر وشمع وعليق للدواب وحتى الكسوة، بالإضافة إلى ما كان يصرف لهم في المناسبات المختلفة والأعياد. (٥)وكانت هذه الرواتب تدفع من صندوق مالي خاص وغير معروف؛ وذلك لعدم تدوين أسمائهم في الديوان (٦)،وقد أوصت بعض المصادر أولياء الأمور بالإنفاق

---

(١) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص ١١٥ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٥٣٥.

(٢) كينوك: هي بلدة الحدث، وعلى هذا يكون موقعها بين ملطيه وسميساط ويقال لها :الحمراء أيضاً. المقريزي ، السلوك، جـ١ ، ق ٢ ، ص ٦٠٨ ؛ وبناها سيف الدولة علي بن حمدان ، ومعنى تسميتها كينوك أي المحترقة، وكان قسطنطين صاحب سيس قد أخذها من ملوك الروم السلجوقية وأحرقها، وكان سيف الدولة بن حمدان سار لبنائها، وكان أهلها سلموها بالأمان للدمستق ملك الروم، في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، فنزلها سيف الدولة في يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة فحط الأساس من يومه، وحفر أول الأساس بيده، وأقام حتى كمل بناؤها في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب من السنة. النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص ٣٣٦.

(٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٤١٧ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص ٣٣٥.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٢١.

(٥) عبد المنعم ماجد: دولة سلاطين المماليك، جـ١، ص ٥٣.

(6) Amitai : Mamluk Espionge , p. 176.

عليهم فيقول الحسن بن عبد الله[1] "... وأن تجرى عليهم النفقات وتوسع لهم في العطيـات، وتـزاح عللهم فيما يحتاجون إليه من أتباع وأعوان ومراكب وطيور ورواتب، وغير ذلك،... "، ولزيادة نشاط الجواسيس كان القائد يضع الحوافز المادية والمعنوية لتدفع بهم إلى الزيادة في نشاطهم، وكانت هـذه الحوافز المادية تزيد من تمكنهم في التغلب على المعوقات التي تعترضهم فيستطيعون تأديـة عملهـم بمستوى أعلى [2]، ولذا فإن إعطاءهم الأموال في أثناء تجسسهم يعتبر وسيلة من وسائل كشف الآخرين [3] ، وذلك عن طريق استمالة بعض الأعوان بدفع الأموال لهم.

ومما سبق يتضح لنا أن رواتبهم ومخصصاتهم كانت مرتفعة ،وذلك يظهر من خلال توصيات أهل التجربة والرأي لأولياء الأمور بإغداق الأموال عليهم، فقال بعضهم :"إنه ينبغي على ولي الأمـر أن يبذل المال العظيم في مخادعته (أي عدوه) ومخادعة أصحابه واستمالتهم.[4]

وكان العمال يحصلون على بعض الرواتب المادية قبل الذهاب إلى أداء مهمتهم وذلك بسبب توصـية بعض الحكماء بأن يكون مع الجاسوس ما يكفي من الأموال لأنه ربما قد تطول إقامته بين براثن العدو ؛فيلجأ حينئذ للتخفي عن طريق استثمار تلك الأموال في التجارة[5] ،وبعضها الآخر يحصلون عليه بعد عودتهم من أداء مهمتهم، والدليل على ذلك قول الرشيدي [6] :"... ويجب عليه ــ أي على ولي الأمـر ــ إذا قضى على الجاسوس أحسن إلى من خلفه من أهله وجعل لهم من بعده الإحسان ما كان يجعله له إذا عاد ليكون داعياً لغيره على النصيحة ". ويقول في ذلك الكرودي[7] "... يجب على ولي الأمـر أن يرسل لهم التحف والهدايا ويعدهم بالولايات السنية".

فالسلطان صلاح الدين أعطى ابن نجا كل ما طلبه من الأموال والدور مقابل أن يطالعه بأخبار الثوار ومؤامراتهم [8]، وكان الملك المعظم عيسى ــ أيضاً ــ يعطي لجواسيسه جملة كبيرة من المـال بسخاء كبير فكان يرسل لهم الأموال والثياب الملونة، والمقانع والعنبرات لدرجة أن أحد رجال حاشيته

---

(1) أثار الأول، ص ٨٣.

(2) محمد أركان الدغمي: التجسس وأحكامه، ص ٨٩ ؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٥.

(3) عبد الله مناصرة: الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٩١م، ص١٠٩.

(4) ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، خط محمد علي الخرسـاني، القـاهرة، جمعيـة دار المعـارف المصرية، ١٩٦٦م، ص ١٠٧.

(5) ابن منكلي: الأحكام المملوكية، ص ١٨٣.

(6) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٢٩.

(7) الكرودي: كتاب كشف الغمة في بيان حرب النظام حق على هذه الأمة، مخطوط بدار الكتـب، تحـت رقـم ٩٥ فروسية، ميكرو فيلم ١٧٧١، ورقة ٢٧.

(8) الفيومي: نثر الجمان ، ورقة ١٠٦.

يتهمه بالإسراف، فقال أنا أعطي الكثير باليسير [1]، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان بعض قادة المسلمين يصيرون جاسوس العدو جاسوساً لهم إما بإعطائه المال أكثر مما يعطيه عدوهم[2]، ومثال ذلك : ما حدث في أيام الملك المعظم عيسى من أنه كان يرسل بعض الهدايا إلى فارس صليبي في عكا مما أدى إلى قيام هذا الفارس باطِّلاع المعظم عيسى على كتب الأنبرو التي كانت ترسل له[3]

وفي عصر الدولة الأيوبية قام الملك المعظم بمكافأة الراهب الذي أرسله للتجسس على الصليبيين ومنحه قطعة أرض، وضمن له معاشه وأعطاه علاوة ذلك ألف دينار. [4]

وفي مجال رعاية الدولة لهؤلاء العمال كانت الدولة تحافظ على رواتب هؤلاء العمال لدرجة أنها كانت تعاقب كل من يقوم بقطع رواتب هؤلاء العمال فكان السلاطين يقومون بإغداق الأموال الكثيرة على القصاد ولكن في عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م رفع أحد القصاد ويدعى ضوء ابن صباح شكوى إلى حاكم دمشق الأمير أقوش الأفرم يشكو فيها الموظف المختص برواتب القصاد حيث اقتطع جزءًا من راتبه فكتب الأفرم إلى الموظف وقال له : ويلك يا ابن سعيد الدولة ما أنت إلا ابن تعيس الدولة أوصلت إلى أنك تقطع جوامك (رواتب) القصاد الذين هم عين الإسلام والله إن عدت تعرضت لأحد في الشام بعثت من يقطع رأسك ويجئ بها في مخلاه. [5]

وكان عربان العايد[6] يحصلون على أخباز وجامكيات مقابل قيامهم بحفظ الطرق والمسالك من من تطرق القصاد والجواسيس من جهة العدو المخذول[7]، وإذا نظرنا إلى التراجمة نجد أنهم عاشوا حياة رغدة وتمتعوا بكثير من الثراء، والدليل على ذلك ما يرويه لنا ابن حجر العسقلاني[8] "إنه في عام عام ٧٩٧هـ / ١٣٩٤ م أيام السلطان الظاهر برقوق، حدث خلاف بين ترجمان الإسكندرية شهاب

---

(1) ابن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م، ص ٢٤٥ ؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية الأيوبية، مقال منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م، ص ٧٧.

(2) عبد الرؤوف عون: الفن الحربي، ص ٢١٦ ؛ عبد الغني: العيون والجواسيس، ص ٣٥٦.

(3) النويري: نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ١٤٦.

(4) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص ٣٩.

(٥) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص ٥ ؛

Amitai : Mamluk Espionage , p. p 179 – 180.

(٦) عربان العايد : إحدى بطون إحدى بطون قبيلة جذام ومساكنهم فيما بين بلبيس فى مصر إلى عقبة أيلة إلى الكرك الكرك من ناحية فلسطين ،وأصلهم من جذام ،وكانوا يلتزمون بحماية المحمل الشريف من مصر للعقبة للمزيد عنها انظر القلقشندي : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ،تحقيق إبرهيم الإبياري ص ٣٣٣

(7) ابن أيبك الدواداري: الدر الفاخر، جـ٩، ص ١١٥.

(8) ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأنباء العمر، جـ١، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة الأهرام، ١٩٩٨ م ، ص ٤٩٠.

الدين المالقي وبين المشرف على دار الضرب بها، فعندما وصل الخبر بذلك إلى السلطان فصـادرهما على ألف ألف درهم ".

وبجانب ذلك رصدت الدولة الكثير من الجوامك والمرتبات لمن يقوم بمهمـة المراقبـة فـي المناور والأبراج، وأعطت للوافدين السياسيين الذين كانوا يقومون بأعمال التجسس في بلادهم لصالح السلاطين الكثير من الأموال[1]، وكان يتم تخصيص أجور شهرية ومكافآت للسعاة وذلك لكي يقومـوا بأداء مهامهم في نقل الأخبار على أكمل وجه[2]، وكانوا يحصلون عليها من ديوان الخاص[3]، وقامت وقامت الدولة أيضاً بالإنعام على الفداوية بالمرتبات الجزيلة مقابل ما يقومون به من مهام واغتيـالات لصالح السلطان. [4]

ولم يقتصر الأمر على ما سبق،بل نجدهم كانوا يسقطون الديون الموجودة على هؤلاء العمال والدليل على ذلك ما يرويه لنا ابن طولون[5] "... وفي يوم السبت خمسة جمادي الأولى عام ٨٩٥ هـ هـ / ١٤٩٠م نودي بدمشق بأن من كان له على المستخبرين دين فلا يطالـب بـه أي تـم إعفـاء المستخبرين من الديون التي كانت عليهم.

وكان السلاطين عندما يصلون أو يدخلون المناطق التي بها المناصحين نجد أنهم كانوا ينعمون عليهم بالأموال الكثيرة جزاءً لمناصحتهم[6]، وكان للنجابة – مثل السعاة – رواتب معلومة يتقاضـونها على حسب أسفارهم من ديوان الخاص[7] وكذلك كان للبراجين رواتب معلومة نظير تواصل الأخبـار عن طريق الحمام الزاجل، وأغلب الظن أن هذه الرواتب كانت لا تقل قيمـة عـن التـي يتقاضـاها زملاؤهم. [8]

---

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ١٣٥.

(2) نظام الملك: سياسة نامة، ص ١٢٣.

(3) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٠.

(4) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٩٥.

(5) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، جـ١، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ، منشورات وزارة الثقافـة، ١٩٦٢م، ص ١٢٠.

(6) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص ٧٨.

(7) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠٢.

(8) ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص ١١٧؛ على إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك، ص ٢٨٦. ٢٨٦.

ويضاف إلى ذلك بعض الأجور العينية مثل : "الخلع[1] والمنح والهبات" أوتعيينهم أمراء على عدد معين من المماليك؛ فقد كان الظاهر بيبرس يوجه جل عنايته لهم، ويغدق عليهم الهبـات والخلـع الثمينة، لتواصلهم إليه بالأخبار دائماً ليلاً ونهاراً.[2]

كما قام السلطان المنصور قلاوون بالخلع على عز الدين أيبك الخاص بخلعة ثمينة وذلك عندما أبلغه بخروج الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب الشام عن الطاعـة [3]،ولمـا أراد قتـل سـنجر الأشقراستعان بأحد الفداوية ،وكان راتب هذا الفداوي عبارة عن العديد من ألوان الطعام المختلفة التى تقدم له كل يوم.[4] ،وكان للأشخاص المرتبين في المناور إقطاعات ؛لكي يعيشوا منهـا[5]، والأمـراء الذين جاءوا فارين إلى السلطان الناصر فرج وأخبروه ببعض الأخبار المهمة عن معسكر تيمورلنـك وما يدور فيه قام السلطان بالخلع عليهم[6]، وكذلك اللصوص والحرافشة الذين كانوا يقومـون بتنفيـذ بعض العمليات السرية الخاصة بالسلطان كان السلاطين يقومون بالخلع علـيهم[7]، وكـانوا يجعلـون للعربان في حلب إقطاعات وفرضوا لهم غلالاً من حلب مقابل عملهم كعيون للسلاطين يبلغوهم أخبار الأعداء[8].

([1]) الخلعة : هي ثوب التشريف، وكان قبل العصر المملوكي يلبسه الحاكم، ويعطيه كهدية بعد أن يخلعـه مـن فـوق جسده، وكان بمثابة وعد شخصي بالأمان أكثر منه رمزاً للتكريم، ولكنها صارت في العصر المملوكي وخاصـة القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بمثابة هدية شائعة إلى الحد الذي أمكن لعمال الدولـة فـي الـبلاط اعتبارها حقاً مكتسباً كمرتباتهم سواءً بسواء. ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صـالح الشـيتي، مراجعـة عبـد الرحمن فهمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م، ص ١٠١ ، ويقول بن كنان "... أن الملوك كانوا يجعلون في خزائنهم التي بها القماش الملبوس – سبع بدلات كوامل، تتخذ للجلوس، أو لحامل الملطف...". ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٦ ، ومن الصعوبة بمكان تحديد نوعية القطع التي كانت تتألف منها الخلعة الكاملة. ماير: الملابس المملوكية، ص ١٠٣، وإن كانت في الغالب تتكون من ثوب طويل فضفاض يشبه العباءة وملحق به عمامة صغيرة محلاة بأزهى الألوان. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٩ ؛ البقلي: التعريف بمصـطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨٨.

([2]) Thorau : the lion of Egypt , p.p.104-105.

([3]) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٦٠ – ٦١.

([4]) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق ٣، ص ٥٥٧.

([5]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص ١٢٨.

([6]) ابن عرب شاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ص٢٤٤.

([7]) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٤٠.

([8]) كمال بدور: حلب في العصر المملوكي ، ص٢٠١.

الفصل الثاني

جمع المعلومات

أولا: جمع المعلومات في ميدان المعارك البرية.

ثانيا: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية.

ثالثا: جمع المعلومات خارج ميدان المعارك.

رابعا: وسائل وطرق نقل المعلومات.

الفصل الثاني

جمع المعلومات

يعد جمع المعلومات عن الأعداء من أهم الأشياء التي شغلت ذهن من يقوم بالحرب، وهذا أمر طبيعي مع وجود جيش نظامي له أهداف محددة مثل الجيش الإسلامي المعد لمواجهة الصليبيين والمغول ، وبالتالي لم يستطع هذا الجيش أن يقوم بتحقيق أهدافه دون أن تكون تحت تصرفه كل المعلومات الفعالة في كافة الميادين عن أعدائه، أي لابد من قيام كيان متخصص في إمداد الجيش بالمعلومات اللازمة عن الأعداء في وقت السلم كما في وقت الحرب.

وعمال التجسس لم يكونوا الوسيلة الوحيدة لسلاطين الأيوبيين والمماليك من أجل الحصول على الأخبار والمعلومات التي تحدث في معسكرات الصليبيين والمغول والعثمانيين؛ بل وجدت هناك عدة طوائف أخرى تخصصت في مجال جمع المعلومات عن الأعداء كانت هذه الطوائف تتمثل في بعض فرق الجيش، وكذلك بعض السفن البحرية، وبعض الحجاج وقبائل العربان والتجار والأسرى والرسل والسفراء وأهالي البلاد المفتوحة وغيرهم.

أولاً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البرية:

كان من الضروري بطبيعة الحال أن يكون تحت تصرف الجيش الأيوبي والمملوكي كل ما يمكن جمعه من معلومات ومستجدات عن جيش خصمه؛ وذلك لاستخدامها في كشف خطط العدو الاستراتيجية، ومعرفة مواطن نقاط الضعف فيه، وعدد جنده وحالتهم المعنوية، وما تحت تصرفه من مؤن وذخيرة، وأنواع الأسلحة التي يتسلح بها، وكيفية تحركاته ، وأوقات الراحة التي ينعم بها جيش عدوه. وبالتالي كان لابد من أن تتوفر لجيوشهم الوسائل الفعالة التي يمكنها تحقيق هذا الهدف المهم إذ إنه على ضوء ما يتوفر له من معلومات عن العدو، كان هذا الجيش يقوم بوضع خططه العسكرية دفاعية كانت أو هجومية.

وكانت هذه الوسائل تتمثل في وجود وحدات عسكرية في الجيش الأيوبي والمملوكي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات سميت (بالوحدات الخاصة) التي كان من أهم واجباتها الرئيسية في أثناء المعارك جمع المعلومات عن الأعداء وتضمينها في رقاع (أي تقارير) ترسلها أولاً بأول إلى القادة، وذلك من خلال ما تتحصل عليه من أخبار أثناء قيامها بمهمات عسكرية خاصة تسهل لها عملية اختراق صفوف الأعداء لإماطة اللثام عما اختفى من أخبارهم. ولعلنا نجد أنه من المناسب أن نتحدث عن دور كل وحدة من هذه الوحدات في هذا المجال كل على حده.

(١) دور وحدة طلائع العسكر:

لقد فطن كلٌ من سلاطين الأيوبيين والمماليك إلى أن أساس الفن الحربي هو جمع المعلومات عن العدو وذلك بواسطة فرقة الطلائع[١]، والطليعة : عبارة عن الخيالة التي تتقدم العسكر لاستطلاع الأخبار وكشفها وسميت بذلك لإطلاعها على خبر العدو[٢].

والطليعة تسير دائماً في مقدمة الجيش، تتحسس الطريق أمامه وتفحصه[٣]، ولأهميتها بالنسبة للقائد وللجيش نجد أن القواد والسلاطين قاموا بوضع نظم يسيرون عليها منذ خروجهم وحتى رجوعهم بالخبر وكانت هذه التنظيمات تتمثل في:إنه أثناء خروجهم لجمع الأخبار لابد أن يكون على رأسهم مقدم يرجعون إليه ويطيعوه ويأتمرون به لأنه إذا لم يكن عليهم مقدم يرجعون إليه ويقفون عند قوله أدركهم الاختلاف وفاتت المصلحة فيما هم فيه[٤].

أما سيرهم فلابد أن يكون في أرض مستوية ليس فيها غبار إن أمكن لأنه أقرب لرؤية العدو، فإن احتاج الأمر إلى الصعود إلى مكان عال من جبل ونحوه صعد البعض وبقي البعض في الأرض المستوية، ولابد أن لا يسير أكثر من ثلثي الطريق فيما بينهم وبين العدو وعليهم أن لا يسرعوا إلى جهة العدو متوغلين في جهة بل يكون سيرهم بالرفق والتأني مع ملاحظة الكشف يميناً وشمالاً[٥].

ويجب عليهم الاحتراز من العدو عند جمع المعلومات فإذا أظهر العدو هزيمة بين يدي الطليعة فلا يتبعوه فربما كان هناك كمين يخرج عليهم لاسيما إذا كانت هزيمة طليعة العدو في غير جهة عسكر العدو[٦].

وينبغى أن تكون خيولهم سوابق جيدة الظهور سالمة الحوافر ليس بها جماح ولا فيها حرون فالمقصود من الطليعة سرعة رد الخبر وإذا كان في الفرس حرن أو جماح أو نحو ذلك فات المقصود من الطليعة[٧].

---

(١) محمود نديم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي، ص١٧١؛
Amitai : Mamluk Espionag, P. 173

(٢) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٦٧؛ نبيل محمد عبد العزيز: الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦، ص٦٢.

(٣) وفيق الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص١٦٥.

(٤) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٦٨.

(٥) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٦٩.

(٦) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٦٩.

(٧) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٦٨.

وكان لجمع الخبر وإرساله إلى القائد ضوابط منها أنه إذا كانت الطليعة فارساً واحداً فقط كشف الخبر وأتى به وإن كان اثنين بقي واحد في الكشف وأتى واحد بالخبر وإن كانت ثلاثة أتى واحد بالخبر وبقي اثنان لاستبراء الكشف ،وإن كانت أكثر من ذلك وجه المقدم منهم من يريد لتوصيل الخبر وأبقى على من يريد لاستكمال عملية الكشف [1]. وإذا أتى بالخبر صار بحيث يرى العسكر نازلاً أو سايراً خفف جري فرسه على التدريج إلى أن يصل إلى المعسكر فيدخله برفق ويخبر صاحب العسكر بما رأى ولا يخبر أحدًا غيره[2]، ولكن في بعض الحالات لا يستطيع حامل الخبر من أفراد الطليعة الوصول إلى القائد لذا يجب أن يكون بين صاحب العسكر وبين الذي يأتي بالخبر علامات متفق عليها بينهم يخبرون بها عن حالات العدو من خوف أو من قُرْبٍ أو بُعْدٍ، وذلك لسلامة وسرية المعلومات، وكذلك عدم تمكن صاحب الطليعة من الوصول إلى معسكر الجيش، ويخشى فوات الفرصة، ومن رأي من العسكر إشارات الطليعة فعليه أن يخبر بها قواد الجيش فيعرفون الخبر[3].

وقد أورد الرشيدي بعض الإشارات التي كانت تتم بين رجال الطليعة والقائد والتي كان يقصد منها تبليغ القائد بحال العدو من نزوله وسيره وكثرته وقلته "…. مثل أن يكون نزوله عن فرسه إشارة لنزول العدو، وسيره إلى جهة إشارة إلى سيره لتلك الجهة، وركض فرسه إشارة إلى غارة العدو ونحو ذلك"[4].

ولأهمية الطليعة ورجال الطليعة لابد أن تتوافر فيهم العديد من الشروط التي تكفل لهم القيام بالمطلوب منهم على أكمل وجه، ، وقد تم ذكرها في الفصل السابق.

أما المهام التي كان يقوم بها أفراد هذه الفرقة فكانت كثيرة ومتنوعة، لأن الأفراد المجندين في هذه الفرقة كان يتم تدريبهم خصيصاً على القيام بالتجسس عن الجيش المعادي على أرض المعارك التي تقوم بين الفريقين وفي أثنائها فكان ينبغي على أفراد هذه الوحدة جمع أقصى ما يمكن من معلومات عن طبوغرافية الأرض التي يتوقع أن تدور عليها المعارك من حيث المرتفعات فيها ومصادر المياه والبساتين والحقول الزراعية القريبة منها، وكذلك تقديم الصورة التي عليها العدو، وتفسيرها وتقييم الأسلحة، أي تقديم المعلومات الخاصة بتحركات جيوش الأعداء من حيث عددَهَا

---

(1) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٧٠.

(2) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٧٠.

(3) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٧٠؛ ابن منكلي: التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم الميكروفيلم ٢٩٩٩، ورقة ٣٠؛ الأنصاري: تفرج الكروب، ص١٢- ١٣ ؛ إبراهيم حسن: الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ،١٩٧٣م، ص١٥٣؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣١.

(4) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٧١.

وعِدَدِهَا وأسلحتها المختلفة والمعلومات الخاصة بالمناطق الاستراتيجية المحيطة بها[1]، وبالتالي كان دور طلائع العسكر القيام بجمع كل هذه المعلومات وإرسالها في رقاع مفصلة إلى قائد الجيش الذي كان يتخذ على ضوئها الاستعدادات والقرارات المناسبة.

و كان من مهام هذه الفرقة — أيضًا — اختيار الأرض التي ستدور عليها المعركة من خلال المعلومات التي قاموا بجمعها عن العدو[2]، وجمع المعلومات عن الطريق الذي سيسلكه الجيش وتأمين خط سيره سواء من كمين معد له أو من موانع وعوائق في طريقه، ثم دراسة أحسن السبل لتدمير جيش العدو، وأسهل الطرق وأيسرها وأقصرها إلى قيادات العدو والمناطق الخاصة بالشئون الإدارية من مصادر المياه والطعام وخلافه[3].

ويتجلى لنا دورهم بوضوح في معركة عين جالوت الشهيرة، فقد تمكن رجال الطلائع من استطلاع قوات التتار وجمع المعلومات عن مواقعهم وقواتهم وأسلحتهم وقيادتهم وخططهم قبل خوض هذه المعركة معهم، وبذلك تمكن بيبرس من تحقيق أول مرحلة قتالية بتدمير الحرس الأمامي للمغول في غزة —، بجانب أنهم نُصحوا السلطان قطز بضرورة التحرك إلى فلسطين واحتلال مدينة غزة التي كانت قد وقعت في أيدي مقدمة الجيش المغولي لتحقيق الأمن الوقائي للجيش المملوكي عن طريق مبدأ المفاجأة التكتيكية — وهي المفاجأة التي لا يتوقعها العدو— وذلك بالمبادأة بالهجوم على قوات المغول، وقد تحققت هذه المفاجأة التكتيكية بالتحرك إلى غزة والاستيلاء عليها،مما كان له وقع عند المسلمين في كافة مدن الشام[4].

ومن مهامهم — أيضاً — القيام بجمع المعلومات من الواردين إلى الدولة والخارجين منها للتعرف على أحوال الأعداء وتوصيلها إلى السلاطين[5] ، وظهر ذلك عندما عاد أحد أفراد فرقة

([1]) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بن أيوب، جـ١، نشر جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م، ص٨٧؛ جـ٢، ص٣٨؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٤ ؛ أنجيلو كودفيلا: المخابرات وفن الحكم، ص٥١٨.

([2]) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، مخطوط، ورقة٢٥ ؛ الكرودي: كتاب كشف الغمة، مخطوط، ورقة٢٦؛ الهروي: التذكرة الهروية، ص٨٧- ٩٠.

([3]) الأقصرائي: نهاية السؤال والأمنية، ص٥٢٨ ؛ محمود نديم: الفن الحربي، ص١٦٥؛ إبراهيم حسن: الجيش في عصر سلاطين المماليك، ص١٥٢؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٠.

([4]) محمود نديم: الفن الحربي، ص١٣٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣١.

([5]) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٠٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٥- ١٣٦.

الطلائع إلى السلطان طومان باي وأخبره أن السلطان سليم قد أرسل بعض الرسائل إلى أمراء المماليك يحرضهم فيها على طومان باي وقد جاء بهذه الرسائل إلى السلطان.[1]

وإذا نظرنا إلى مهام الطلائع في جمع المعلومات عن العدو نجد أنها لم تكن قاصرة على الأوقات التي تسبق خروج الحملات فقط ؛ولكنها كانت مستمرة أيضاً أثناء المعارك الحربية[2]؛ وتمثل ذلك في تأمين ظهر الجيش أثناء القتال وذلك حتى لا يأتي أحد من خلفه ويهجم عليه بغتة[3]، والقيام أيضاً بمراقبة الأعداء وجمع المعلومات عنهم أثناء قيام الجيش بحصار أحد حصونهم فإذا رأوا واحداً خرج من الحصن بادروا بالإعلام به وذلك حتى يلاقيه العسكر ويقاومه[4]، وكان عليهم القيام بمراقبة ورصد تحركات جنود الأعداء، وإبلاغ أخبارهم إلى قادتهم الذين كانوا يقومون بدورهم باتخاذ القرارات المناسبة لتجنب الخطر[5].

ويدعم ذلك ما يرويه لنا ابن واصل[6] في معرض حديثه عن متجددات الأخبار العسكرية الخاصة بحصار صلاح الدين لحصني صفد وكوكب، فقد أظهر الفرنج بِصُوَرٍ كانوا قد أظهروا قدراً كبيراً من القلق بسبب هذا الحصار، فأرسلوا مائتي فارس من أفضل فرسانهم للقيام بشن هجوم مفاجئ من الخلف ضد المحاصرين الأيوبيين، ولكن هذه المهمة فشلت بسبب يقظة "طلائع العسكر" التي أرسلت أخبار هذا الهجوم "المفاجئ" من طرف الفرنج، إلى السلطان صلاح الدين في الوقت المناسب، وذلك عندما لاحظ جندي من الطلائع تحركات هذه الفرقة الصورية، فأبلغ قائده المباشر صارم الدين قايماز النجمي،وبناءً على هذه المعلومات أصيبت الحملة الفرنجية بفشل ذريع.

وفي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م جاء إلى السلطان صلاح الدين أحد فرقة الطلائع ،وأخبره بتحركات العدو نحوهم فاتخذ صلاح الدين استعداده لكي يواجههم[7]، وفي عام٥٧٨هـ/١١٨٢م توجه السلطان

---

(١)السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، القاهرة ١٩٩٧م، ص٦٠.

(٢) إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص٢٨١.

(٣) نبيل محمد: الخيل ورياضتها، ص٦٤.

(٤) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة١١٦.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٥.

(٦) مفرج الكروب، جـ٢، ص٢٧٢- ٢٧٣؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٥.

(٧)ابن شاهنشاه:مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥، ص٤٢.

صلاح الدين نحو طبرية فعلم الفرنج بذلك فتحركوا نحوه، ولكن فرقة الطلائع قامت بتسيير من عرف السلطان بهذا الخبر فتجهز السلطان لكي يلقاهم[1].

كما ظهر دور الطلائع – أيضاً – عندما توجه السلطان صلاح الدين إلى عكا عن طريق طبرية ؛ فقام بتسيير مجموعة من الطلائع لكي يعلموه أخبار الفرنج ويجمعوا له المعلومات عنهم أولاً بأول ويوافوه بتحركاتهم ونجدهم قد عادوا ،وأبلغوه بنزول الفرنج على عكا[2].

ومن مهامهم – أيضاً – أن الجيش كان لا يتحرك من موقع إلى آخر إلا إذا جاء الخبر من الطليعة يشير إلى سلامة الطريق[3]وظهر ذلك في عام ٦٧٣هـ/١٢٧٥م عندما أرسل السلطان بعض أفراد الطلائع لمعرفة أخبار العدو في عينتاب فعادوا وأخبروا بأنهم موجودون ؛ فتحرك السلطان نحوهم[4].

(٢) دور فرقة اليزك:

واليزك[5]، هي فرقة عسكرية تختص بأعمال المخابرات الحربية وتمارس مهامها في مقدمة الجيش[6]، حيث إنه كان يتم تدريب أفرادها تدريباً خاصاً لكي يقوموا باستجلاب الأخبار من معسكر العدو[7]. ، وقد كانت مهمة فرقة اليزك الأساسية جمع المعلومات عن الأعداء أثناء المعارك وتوصيلها إلى قائد الجيش لكي يتخذ اللازم والاستعداد لمواجهة العدو[8].

وكان تنظيم هذه الفرقة يخضع لأسس وضوابط يسيرون عليها منذ خروجهم لجمع المعلومات وحتى عودتهم بها إلى معسكر المسلمين ،وكانت هذه الأسس والضوابط لا تختلف عن الأسس

---

(١) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٤٩– ١٢٧؛ ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص١٢١.

(٢) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١٦٣.

(٣) وفيق الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص١٦٤.

(٤) جيهان فاروق: القلاع والحصون ، ص١١٠.

(٥) اليزك: هي كلمة فارسية يعني بها مقدمة العسكر أو البصاص أو مقدمة القراول – وتعني أيضاً الجاسوس: انظر محمد معين: فرهنگ فارس، ج٥، طبعة نهران، ١٣٥٧ هـ ش، ص٥٢٥٦؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٦.

(٦) عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر كلية اللغة العربية، ١٩٨٤م، ص٣٧٨.

(٧) صلاح البحيري: المخابرات، ص٢٦.

(٨) صلاح البحيري: المخابرات، ص٢٧.

الضوابط التي وضعت لفرقة الطلائع — والتي أشرنا إليها من قبل — سواء من وجود مقدم عليهم يأمرون بأمره إلى كيفية إرسال المعلومات إلى القائد والشروط الواجب توافرها فيهم أيضاً.

وكانت مهام هذه الفرقة كثيرة ومتنوعة ،فمنها قيامهم بجمع المعلومات عن الأعداء من خلال العمليات العسكرية الخاصة التي كانوا يقومون بها لوضع خططه الاستراتيجية لمجابهة العدو(١)، وتدل الشواهد التاريخية على دور فرقة اليزك في مجال التجسس الحربي ، ففي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م قام اليزك بإمداد صلاح الدين بمعلومات تتعلق بقيام الفرنج بقطع الجسر بين صور وصيدا، وكان ذلك أمر خطير يستوجب من السلطان اتخاذ بعض الإجراءات لمواجهة عواقب هذا الوضع (٢).

كما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي اليزك في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م لكي يجمع أخبار ملك الألمان ويعرف مرساه ويتبصر بأمره وجيشه، فقاموا بإمداده بأخباره وأبلغوه أن أنصار ملك الألمان خذلوه وقد دب الضعف بينهم(٣).

وفي كثير من الأحيان خرج السلاطين لملاقاة الصليبيين والمغول في أماكن متفرقة بناء على معلومات جمعتها فرقة اليزك وأخبرت السلاطين بها ، فعندما نزل الفرنجة على عكا في عام ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م اشتبك السلطان صلاح الدين معهم ولكن الليل فصل بين المعسكرين ،فأمر السلطان صلاح الدين اليزك بالاحتراز ، وألزمهم بمراقبة الأعداء وجمع المعلومات عنهم وتبليغه بها، فظل اليزك يراقب تحركاتهم حتى طلع الصباح فجاء من اليزك من أخبر أن الفرنجة تحركوا للركوب فتحرك السلطان نحوهم لمواجهتهم(٤) ، وقد حدث ذلك أيضاً في الأعوام التالية في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م(٥) ، ٧٠٤هـ/١٣٠٥م(٦) ، ٦٣٦هـ/١٢٣٧م(٧)

ولم يقتصر دور اليزك على المراقبة وجمع المعلومات فقط ولكن كان لهم دور آخر وهو سحب العدو إلى أكمنة مدبرة لهم من قبل المعسكر الإسلامي، ففي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م قام رجال

---

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٧.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٥٦.

(٣)العماد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م ، ص٢٤٨.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية ، ص٢٢٣؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي ، ص٢٢٤.

(٥) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٨٤ – ٢٨٥ – ٣١٠ ؛ ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٧٣ –٢٩٧.

(٦) ابن أيبك الدوادار : الدر الفاخر ، ج٩ ، ص ١٢٠ .

(٧) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١٥ ، ص ٢٤ – ٣٠ .

اليزك بتدبير كمين للفرنج ، وقامت مجموعة من الفرقة بسحبهم إلى هذا الكمين وتم القضاء عليهم[1]، وكان ذلك لا يتأتى إلى عن طريق الجمع الجيد للمعلومات عن العدو.

وفى الأوقات التى كان يقوم الأعداء فيها بتضليل أفراد اليزك لحرمانهم من الحصول على المعلومات كان قواد اليزك يرسلون جواسيسهم إلى داخل صفوف الأعداء للحصول على هذه المعلومات [2].

ولقد عثرتُ – لحسن الحظ – على نماذج من هذه التقارير السرية التي كتبها قائد اليزك ومنها ما كان يتضمن – بشكل يدعو إلى الدهشة – تفاصيل ملفتة للنظر حتى عن النوايا التي يكنها الأعداء، ومن هذه التقارير أذكر تقريرين أوردهما بهاء الدين بن شداد، وهما من وجهة نظري – على جانب كبير من الأهمية، كتبهما عز الدين جورديك قائد يزك الجيش الأيوبي في أثناء الحملة الصليبية الثالثة، وأرسلهما إلى صلاح الدين يوم ٣٠جمادى الآخر سنة ٥٨٨هـ/٣يوليو١١٩٢م[3].

كان التقرير الأول مختصراً جداً، يمكن اعتباره بمثابة برقية عاجلة وسريعة لتحذير بقية الجيش الأيوبى؛ فكان عبارة عن رقعة احتوت على جملتين فقط هما "أن القوم ركبوا بأسرهم، ووقفوا في البر على ظهر ثم عادوا إلى خيامهم، وقد سيرنا جواسيس تكشف أخبارهم"[4]، ويفهم من هذه الرقعة أن اليزك كان يداوم على مراقبة الأعداء، وجمع المعلومات عنهم ، وأنه لاحظ بعض التحركات للجيش المعادي دون أن يعرف الدافع إليها حتى لحظة كتابه هذا التقرير العاجل، وهذا هو السبب في أنه أبلغ قيادته بهذه التحركات، وفي نفس الوقت قام بإرسال جواسيسه إلى صفوف الأعداء ليتجسسوا حول أسباب هذه التحركات ليلقوا الضوء عليها[5].

والتقرير الثاني أرسله عز الدين جورديك[6] إلى صلاح الدين وقد تضمن أخباراً مفصلة عن هذه الواقعة، جاءت بها الجواسيس بعد القيام بمهمتهم بنجاح، واحتوى على مداولات ومحادثات كانت تدور بين القادة العسكريين الصليبيين أنفسهم ،وقد تبين من خلال المعلومات الواردة في هذا التقرير

---

(1) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٦٦-٢٦٧.

(2) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية ، ص٢٧-٢٨.

(3) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٨-٢٩.

(4) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٣٢٣-٣٢٤؛ ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م، ص١١٧.

(5) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٩.

(6) عز الدين جورديك : ويسمى " جرديك " كان من مماليك نور الدين محمود ، ولهذا يلقب بالنوري ، وكان واحدا من القواد الذين رافقوا أسد الدين شركوه في حملته الأخيرة على مصر، وكان مشاركاً لصلاح الدين عند القبض على شاور ، كان قائد فرقة اليزك الأيوبي في أثناء الحملة الصليبية الثالثة. ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٠٧.

كيف أن جواسيس اليزك قد استطاعوا معرفة موقف المعسكر الفرنجي فى عدم مواصلة الحرب وفي رغبتهم في عقد اتفاق سلام مع صلاح الدين، ورحيلهم إلى بلادهم، وسأذكر نص هذا التقرير ليتجلى لنا أهمية الدور الذي كانت تلعبه فرقة اليزك وجواسيسها[١].

فتقول المصادر الأيوبية[٢] :"وصلت رقعة أخرى يخبر فيها أن الجواسيس رجعوا وأخبروا أن القوم اختلفوا في الصعود إلى القدس، والرحيل إلى بلادهم، فذهب الفرنسيسية إلى الصعود إلى القدس، وقالوا: "نحن إنما جئنا من بلادنا بسبب القدس ولا نرجع دونه" وقال الانكتار: "إن هذا الموضع قد أفسدت مياهه، ولم يبق حوله ماء أصلاً فمن أين نشرب؟ فقالوا له: "نشرب من ماء نقوع" وبينه وبين القدس مقدار فرسخ". فقال: "كيف نذهب إلى السقي؟" فقالوا: "ننقسم قسمين: قسم يركب إلى السقي مع الدواب، وقسم يبقى على البلد في المنزلة، ويكون الشرب في اليوم مرة". فقال الانكتار: "إذاً يأخذ العسكر البراني الذي يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلد على الباقين، ويذهب دين النصرانية". فانفصل الحال على أنهم حكموا ثلاثمائة من أعيانهم، وحكموا الثلاثمائة اثنى عشر منهم، وحكم الاثنا عشر ثلاثة منهم، وقد باتوا على حكم الثلاثة، فما يأمرونهم به يفعل. فلما أصبحوا حكموا عليهم بالرحيل، فلم يمكنهم المخالفة، وأصبحوا – راحلين إلى نحو الرملة، وعلى أعقابهم – ولله الحمد – ناكصين، ووقف عسكرهم شاكاً في السلاح إلى أن لم يبق في المنزلة إلا الآثار، ثم نزلوا بالرملة وتواتر الخبر بذلك".

والمعلومات التي ذكرناها توضح أن جواسيس اليزك الأيوبي لابد وأنهم قد اختلطوا بالفرنجة أنفسهم حتى تكون هذه الأخبار على مسمع منهم، لذلك يمكن أن نقول: إن هؤلاء الجواسيس كانوا من الفرنجة أنفسهم حتى لا ينكشفوا حينما يختلطون بهم وحتى يكونون أيضاً على دراية بلغتهم، أو أنهم جواسيس مسلمون تزيوا بزي الفرنج ،وتحدثوا لغتهم بطلاقة[٣].

وكان هناك دور آخر لليزك على درجة كبيرة من الأهمية قاموا به؛ وهو أن الفرنج كانوا يعرفون تماماً دور اليزك في مجال الجاسوسية ولذلك فإنهم كانوا إذا ما أرادوا إجراء مفاوضات مع المعسكر الإسلامي، فإن ذلك كان يتم بواسطة ضباط من فرقة اليزك[٤]، ومثال ذلك ما حدث في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م حينما جاء إلى صلاح الدين أحد أفراد اليزك واسمه قايماز الحراني وذكر له أن العدو

---

(١) صلاح البحيري: المخابرات، ص٢٩.

(٢) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص١٧٤؛ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٣٢٣-٣٢٤؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٨٩؛ أبو شامة: كتاب الروضتين، جـ٢، ص١٩٩.

(٣) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣٠-٣١.

(٤) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٧.

يطلب منه إيفاد من يصل إليهم ليسمع منهم حديثاً في سؤال الصلح وذلك لضعف حل بهم[1]، وتكرر نفس الطلب في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م [2]

وبجانب ذلك تولى اليزك ـــ أيضاً ـــ تأمين تحركات السلطان من وجود أكمنة مدبرة له حيث إن السلطان صلاح الدين كان لا يخرج إلى مكان إلا بعد قيام اليزك بمسح المكان وجمع المعلومات اللازمة عنه والتأكد من خلو المكان من مكايد العدو، ففي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م ركب السلطان كعادته ولكنه بَعُد عن المكان المعتاد ولكن اليزك علم أن هناك كمينا مدبرا للسلطان فحمل اليزك عليهم، وقضوا عليهم[3].

ومن مهام اليزك ـــ أيضاً ـــ أنهم كانوا يخبرون السلاطين كل يوم بما يصنع العدو واستعداداتهم[4]؛ ففي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م أخبر اليزك السلطان صلاح الدين أن الفرنج شرعوا في حفر خندق حول عكا من البحر إلى البحر وإنزال آلات الحصار من على مراكبهم ووضعها في عكا[5].

وفي عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م أمر السلطانُ صلاح الدين عز الدين جورديك بالتوجه على اليزك لكي يكونَ قريباً من يافا ليتعرفوا على أخبار الفرنج عن طريق إرسال الجواسيس إليهم وذلك ليعرف ما بها من الخيالة والرجالة من الفرنج وليقوموا بتبليغ ذلك للسلطان فجاء من أخبر أن جيوش الفرنج خرجوا وعلى رأسهم ملك انجلترا في سبعمائة فارس وألف راجل وألف تركبول[6].

ويضاف إلى مهامهم القيام بالحفاظ على سرية تحركات الجيوش الإسلامية ومنع تسرب جواسيس الأعداء إلى معسكر المسلمين بل والقبض عليهم ومعرفة أخبار العدو منهم، وهو ما حدث عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م عندما عزم السلطان صلاح الدين على فتح قلعة بغراس قام بضرب اليزك على أنطاكية لكي يحافظ على تحركات الجيش ومنع من يخرج من أنطاكية ليهدد المعسكر الإسلامي حتى لا يحدث اتصال بين أنطاكية وبين بغراس[7].

---

(1) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٠.

(2) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٧٣.

(3) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢١٨.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠،تحقيق خيري سعيد ،القاهرة ،مكتبة التوفيقية،٢٠٠٤م، ص١٩٣.

(5) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٣٤٧.

(6) التركبول : مجموعة من الجند الفرنج الذين كانوا يجندون من العناصر المحلية ،وكانوا مسلحين ومدربين على غرار فرقة الخيالة البيزنطية الخفيفة ومن عناصر مسيحية محلية ،ومن المسلمين الذين اعتنقوا المسيحية. العماد الأصفهاني: الفتح القسي،ص٥١ ـــ ٣٤٧ .

(7) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٥٠؛ سيرة صلاح الدين، ص٦٢؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣١.

وعندما توجه السلطان صلاح الدين لفتح الشقيف عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م نجده قد أمر اليزك بالقيام – بمراقبة الشقيف ومنع أي أحد أن يخرج أو يدخل إليها أو يصعد أو ينزل منها وإليها[١]، لكي لا يخرج أحد منها فيتعرف على أخبار المسلمين أو يدخل إليها ويفشي أخبار المسلمين واستعداداتهم، وفي نفس العام أيضاً توجه السلطان لفتح عكا ،فأمر اليزك بمنع من يدخل أو يخرج منها وكان ذلك السبب نفسه [٢].

كما تمكن اليزك من القبض على جماعة من الفرنج في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م كانوا يريدون التسلل إلى معسكر المسلمين لمعرفة أخبارهم – فبصر بهم اليزك ، وقاموا بالقبض عليهم – وعرفوا منهم أخبار الفرنج وما حل بهم من الوهن والضعف[٣].وتم القبض على اثنين من العدو كانا يريدان التسلل إلى معسكر المسلمين واستطاعا أن يعرفا منهم بعض الأخبار عن العدو وأنهم لم يرحلوا[٤]، واستطاع اليزك القبض على امرأة كانت تقترب من معسكر المسلمين ،وأحضرت أمام السلطان[٥]، ويبدو أن هذه المرأة كانت تريد دخول معسكر المسلمين والتسلل إليه لمعرفة أخبارهم وعندما قبضوا عليها ادعت أنها تبحث عن طفلها الرضيع.

ومن مهامهم أيضاً القيام بطم الآبار والصهاريج التي ينتظر وقوعها في أيدي الأعداء وذلك بإلقاء الحيوانات النافقة والمسمومة والمياه القاتلة[٦]، وكانوا يقومون بذلك عن طريق جمع المعلومات الجيدة عن طبيعة المكان والأشياء الموجودة فيه، وهو ما حدث عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م عندما جاء اليزك وأخبروا السلطان أن العدو كان يريد التوجه إلى القدس، ولكنهم رحلوا بسبب قيامهم بطم الآبار الموجودة حول القدس[٧].

ويضاف إلى ما سبق قيامهم بشن هجمات فجائية على معسكر الأعداء وذلك بهدف استكشاف أرض ميدان المعارك لحساب معظم الجيش ؛ فكانوا يستطيعون بهجماتهم الخاطفة أن يستخبروا عن أحوال الجيش المعادي ؛فيكشفون طرقه التكتيكية وأعداده، وأنواع أسلحته المختلفة، ونظامه العسكري أيضاً. وفوق هذا كله تمكن اليزك من اختبار الحالة المعنوية لجنود المعسكر المعادي، والتعرف على

---

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص١٧٩.
(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص١٦٤-١٦٦.
(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٣١٦.
(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٦٧.
(٥) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٢١.
(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣١.
(٧) ابن الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص١٧٩.

معدنهم كمقاتلين[1]، وتدمير الروح المعنوية بين صفوف الأعداء عن طريق نشر الأكاذيب والإشاعات المزعجة بينهم، بل كانوا ينشرون بينهم أخباراً عن مدى قوة الجانب المسلم واستعداده للفداء والقتال وإنه لا قبل للفرنج بهم.[2].

مما سبق يتضح لنا مدى أهمية الدور الذي كان يلعبه اليزك في مجال جمع المعلومات عن الأعداء وتوصيلها إلى السلاطين.

(٣) فرقة الكشافة:

الكشافة جمع كشاف، ومعناها فئة معينة من العسكر وكان عملها الخروج لكشف أخبار العدو[3]، والقيام بجمع المعلومات عنهم ونقلها إلى السلاطين[4]، حيث إنهم كانوا يتلقون تدريباً على أعلى مستوى لكي يقوموا بأداء مهامهم على أكمل وجه ،وكانوا يتدربون على كشف أي مخطط من الأعداء قد يضر بجيوش الإسلام[5].

أما بالنسبة لخيولهم لابد أن تكون على أعلى مستوى ومدربة لأنهم كانوا يرسلون إلى مسافات كانت تصل في أحيان كثيرة إلى ألف ميل لجمع المعلومات وإرسال تقارير منتظمة إلى قادتهم[6].

وكان يتولى الإشراف على هذه الفرقة ــ في أحيان كثيرة ــ صاحب ديوان الإنشاء والدليل على ذلك ما قاله القلقشندي[7]: "... وليتول... تجهيز الكشافة الذين هم ربيئة النظر وجلابة كل خبر..."، وعلى ما يبدو أنهم كانوا يخضعون تحت إشراف صاحب ديوان الإنشاء أثناء قيامهم بالحفاظ على أمن الدولة والصراعات الداخلية بين الأمراء وبعضهم.

---

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣١.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣١.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٩٢.

(٤) Marshall: Christopher, war fare in the latin East, cambridge, 1992, P. 263

(٥) مصطفى علي إبراهيم: أمراء الطواشية ودورهم السياسي والحضاري في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٥م، ص٩٤.

(٦) أحمد عبد الكريم سليمان: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٤م، ص٨٢؛ نور الدين خليل: سيف الدين قطز قاهر المغول، القاهرة ، مؤسسة حورس الدولية ، ٢٠٠٥م، ص١٦١.

(٧) صبح الأعشى، جـ١١، ص١٩٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٩٦.

ولكن في المعارك الحربية كان يتولى الإشراف عليهم قائد الجيش وكان يُعيّن عليهم مقدم يأمرون بأمره ويسيرون على أساس توجيهاته والدليل على ذلك أن الأمير الطواشي صارم الدين قايماز النجمي كان يطلق عليه لقب "رئيس فرقة الكشافة"(1).

وكانوا يستعينون في أداء مهامهم وواجباتهم الموكولة إليهم بعدد من قصاصي الأثر للتعرف على تحركات أفراد العدو – الذين يخترقون مناطق الحدود، واتجاهاتهم وأعدادهم وكذلك الاستعانة بأهالي المناطق الواقعة على الأطراف عن طريق استمالتهم وبذل العطايا لهم والأموال وترهيبهم تارة أخرى(2).

واعتمدوا – أيضاً – على التراجمة في عملهم إما بالتجسس على الأعداء أو بالقيام باستجواب الداخلين إلى البلاد والخارجين منها(3)، ولأن عملهم كان يحمل نوعاً من الخطورة ؛ فقد كانوا يلجأون إلى التخفي وهو ما حدث عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م عندما طلب الأمير عز الدين أيبك الرومي ثلاثين سراقوجاً(4) وذلك لكي يلبسها أفراد فرقة الكشافة عندما يتوجهون إلى بلاد العدو لجمع الأخبار حتى لا يعرفهم أحد ولا يُعرفَ منْ هم(5).

وكانت مهام هذه الفرقة كثيرة ومتنوعة منها : القيام بمراقبة تحركات الأعداء وجمع المعلومات عنهم وإخبار السلاطين بها ؛ فكانوا يرسلون للحصول على معلومات عن العدو ومواقعه وعدده ويختبرون البلاد ، ويعرفون أحوالهم ثم يعودون إلى بلادهم ويطلعون قادة الجيش على كل الأخبار التي تساعد الجيش في قتاله للعدو(6) ؛ ففي عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م علم المسلمون بأخبار تحركات

---

(1) مصطفى علي: أمراء الطواشية، ص٩٤.

(2) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٣؛ الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص٣٨٦-٣٨٧ ؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر، ص٥٨.

(3) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٥٨.

(4) السراقوج: عبارة عن قلنسوة لها شكل مخروطي طويل بحافة مقلوبة إلى أعلى ، كانت تشبه الطاقية أو الغطاء الذي يوضع على الرأس ، وكان مميزا لجند المغول ، وقد ارتداها عسكر المماليك بقصد جعل جواسيسه غيرمميزين عن التتر ويتمكنوا من دخول بلادهم. صلاح الدين نوار : الطوائف المغولية في مصر ، الإسكندرية ، دار المعارف ، (د. ت) ، ص٧٨ – ٧٩.

(5) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج ٨ ، ص٧٨ – ٧٩ ؛ صلاح الدين نوار : الطوائف المغولية في مصر ، ص ٧٨ – ٧٩.

(6) فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٤، ص٣٣ – ٣٤.

الصليبيين فقاموا بتيسير كشافتهم لرصد تحركاتهم وجمع المعلومات عنهم ومن خلالها تم وضع الخطة وعمل كمين لهؤلاء الصليبيين(١).

وعندما كان السلطان الظاهر بيبرس بدمشق في عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م وصلت الأخبار إليه بأن فرقة من التتر قصدت الرحبة ،فسار السلطان إلى حلب وعندها بعث فرقة الكشافة لكشف أخبارهم عادوا وأخبروه أن طائفة من التتر مقدارها ثلاثة آلاف فارس على شط الفرات مما يلي الجزيرة فتوجه السلطان نحوهم لملاقاتهم(٢) ، وتكرر هذا الأمر في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م(٣) ، ٦٩١هـ/١٢٩١م(٤)، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م(٥)

ومن مهامهم ــ أيضاً ــ القيام بالحفاظ على سرية تحركات الجيوش الإسلامية، وهو ما حدث عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م عندما أراد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون منازلة عكا، فأمرَ جماعة من الكشافة مقدمهم الأمير علم الدين سنجر الوصابي الجاشنكير بالتوجه إلى صور لحفظ الطرق، وتعرف الأخبار، ومضايقة صور ليوحي للصليبيين بأن هدفه هو صور وليس عكا في حين أن القوات الرئيسية كانت تتوجه ناحية عكا(٦).

وقد لعبت فرقة الكشافة دوراً كبيراً في النزاعات التي كانت تنشب بين الأمراء مع بعضهم البعض ، وظهر دورهم في النزاع الذي دار بين الأمير يلبغا الناصري والسلطان الظاهر برقوق فنجد فقد اعتمد كلا الطرفين على فرق الكشافة بصورة كبيرة للتعرف على أخبار الآخر من أجل حسم النزاع لصالحه ، واستطاع السلطان الظاهر برقوق حسم النزاع لصالحه وقضى على الأمير يلبغا

---

(١) إبراهيم خميس: دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة فرسان الداوية)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م، ص٢٦٥.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٥٨- ١٥٩؛ الكتبي: عيون التواريخ، جـ ٢١، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، بيروت، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٤م، ص٩؛ ابن أيبك الدوداري: الدرة الزكية، جـ٨، ص١٦٩؛ مأمون فريز جرار : الغزو المغولي، ص٩٥.

(٣) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية ، ص ١٣١ ؛ العيني : عقد الجمان ، جـ٣ ، ص ١٢٠.

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٩٨؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص٣٤ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص ٦٩٠ – ٦٩١ – ٦٩٢؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص٢٧٠.

(٥) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٢٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٧.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٨؛ علي السيد: الإسهام العسكري في معركة عين جالوت، ص٣٩٠.

الناصري بفضل المعلومات الوافية التي أمدته بها كشافته[1] ، وقامت الكشافة بنفس الدور بنجاح في أعوام تاليه [2]

كما كان للكشافة دورٌ كبيرٌ في التصدي لخطر العربان ومحاربتهم وتبليغ السلاطين بانقلاباتهم؛ ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أبلغتْ الكشافة السلطان بخروج مجموعة من العرب عن طاعته وأنهم أفسدوا وقطعوا السبيل ؛ فندب السلطان بعض الكشافة لتخرج وتقوم بالكشف عنهم فعادت وأخبرت أن طائفة من السودان تسمى هلنكه قد اجتمعوا لقتال العسكر السلطاني، وهم خلق كثير، فتوجه العسكر إليهم[3].

(٤) فرقة السرايا:

وهي طائفة مختارة من الجيش كانت ترسل قبل الاشتباك لقتال العدو وإرهابه، أو استعلام خبره، وقد تكون مشاة أو ممتطية للخيل[4]،وقد أرسل السلطان صلاح الدين هذه الفرقة وهو بدمشق إلى معاقل الفرنج كل يوم؛ليطلع على أخبار الفرنجة، وانتهاز الفرصة عندما تسنح، وبمجرد أن علم من الفرقة بخروج الفرنجة إلى منطقة "الوالة"[5] هاجم مدينة نابلس، وعرج على سبسطيه وجنين[6].

ثانياً: جمع المعلومات في ميدان المعارك البحرية:

كانت الحروب التي دارت بين الأيوبيين والمماليك وأعدائهم حروباً برية وبحرية ؛لذا استوجب الأمر أن يكون هناك فرق مخصصة للتجسس وجمع الأخبار مماثلة للفرق البرية التى تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات في البر.

وقد اعتمد السلاطين على هذا النوع عندما يصعب عليهم إرسال الجواسيس براً لمعرفة أخبار الأعداء وعندما لا يستطيع أحد أن يدخل البلاد عن طريق البر ،وعندما يكون الهجوم على بلد ساحلي.

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٧٥- ٢٧٦- ٢٧٧.

(2) وذلك فى عام ٧٩٢ هـ/١٣٩٠م ، ٨١٢هـ / ١٤٠٩م ، ٨٤٢هـ /١٤٣٨م انظر المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٦٩٢ ؛ جـ٤، ق١، ص١٠٩. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ١١، ص ٣٥٤ -٣٦٧ ؛ جـ١٥، ص٣١٧- ٣١٨ .

(3) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢، ص٢٤٠.

(4) الأقصرائي: نهاية السؤال والأمنية، ص٥٢٩؛ إبراهيم حسن: الجيش في العصر المملوكي، ص١٥٣؛ البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص٢٨١؛ نبيل محمد: الخيل ورياضتها، ص١٦٢-١٦٣.

(5) "الوالة": هي منطقة موجودة بالأردن اليوم. البنداري : سنا البرق الشامي، ، ص١٢٥؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص٣٩٩

(6) البنداري : سنا البرق الشامي، ، ص١٢٥.

فيقول العماد الأصفهاني[١] :"وعندما انقطعت أخبار عكا عن السلطان ولم يستطع أحد أن يدخلها، انتدب السلطان العوام للسباحة وكان يدخل إلى عكا"، وكذلك يقول ابن شداد[٢]" وعندما انقطعت عن أهل دمياط من كان يدخل إليهم من جواسيس المسلمين وذلك بسبب تشديد الفرنج للحصار على دمياط ومنع الطيور من الطيران ندب السلطان الكامل أحد العوامين للدخول إليها".

١- الغواصون:

وهم عبارة عن عدد من السباحين المهرة الذين يخترقون الحصار البحري للعدو حتى يحصلون على أخبار العدو ويعرفوا أحوال المحاصرين وما يمرون به، وكان هؤلاء الغواصون يشبهون ما يطلق عليهم اليوم في الجيش "الضفادع البشرية".

ونظراً لخطورة عمل هؤلاء الغواصين والدور الخطير الذي كانوا يقومون به كان لابد أن يتوافر فيهم العديد من الشروط التي تساعدهم على تأدية عملهم، من هذه الشروط أن يكون ناصحاً أميناً يحفظ الأسرار ضميناً، يمتلك العديد من المهارات سواء في السباحة أو التنقل بين مراكب الأعداء[٣].

وكان تأديتهم للعمل يخضع لتنظيم خاص منذ خروجهم من معسكر المسلمين وحتى عودتهم حاملين أخبار العدو؛ فكان الغطاس يوجد على ظهر مركب من مراكب المسلمين ويقوم هذا المركب بإلقائه إلى أقرب نقطة من المكان المراد جمع المعلومات عنه ، ويقوم هذا الغطاس بدهن نفسه بالشيرج، ويسد مناخره بالشمع، ومعه مخطافان، وحبل يساعده على التنقل بين مراكب العدو وكان يسبح ليلاً، وعندما يقترب وصوله من البر الآخر يغطس حتى لا يراه أحد[٤].

أما مهام هؤلاء الغواصين فكانت متمثلة في قيامهم بتتبع أخبار الحصون وما يحدث بها من أخبار واستعدادات الأعداء وما يقومون به أيضاً وتبليغ السلاطين بذلك؛ ففي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م وذلك أثناء حصار حصن بيت الأحزان وانقطعت أخبار الحصن فندب السلطان أحد العوامين ؛ليدخل إلى الحصن ويتخبر له أحوال الحصن وما يحدث به[٥].

---

(١) الفتح القسي، ص٢٢٠.

(٢) النوادر السلطانية، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٣) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٥١؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص٧٤.

(٤) ابن أيبك الدواداري: الدر المطلوب، ج٧، ص٢٠٠ ؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٥١؛ إبراهيم حسن: البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص٣٠٠.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي، ص١٦٩.

وفي عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م انقطعت أخبار عكا عن صلاح الدين وانقطعت أخبار صلاح الدين عن الموجودين في عكا. فقام أهل عكا بإرسال أحد العوامين وأخبره أن الفرنج يحاربون المدينة حرباً عواناً وقد ابتنوا أبراجاً شاهقة تطل عليها وأمسى من في داخل الحصن في ضيق شديد(١).

وفي العام نفسه أيضاً وصل عوام من البلد معه كتب تتضمن أن العدو قد طم جزءًا من الخندق وقد قوى عزمه على منازلة البلد ومضايقتها(٢).

ومن مهامهم أيضاً تتبع أحوال وأخبار المحاصرين ومعرفة أخبارهم ومعرفة مدى قوة عزيمتهم وبتشجيعهم وبث الحماسة فيهم، والدليل على ذلك ما حدث عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م وصل عوام من عكا ومعه كتب يذكر فيها تمسك أهل البلاد بالجهاد والصبر وذكر أيضاً أنه لما وقع بالليل الصوت ظن الفرنج أن عسكراً عظيماً قد عبر إلى عكا وسلم، وصار فيها، قال: "وجاء إنسان فرنجي فوقف تحت السور، وصاح إلى بعض من على السور، وقال له: بحق دينك ألا أخبرتني كم عدد العسكر الذي دخل إليكم البارحة – يعني ليلة السبت – وكان قد وقع في الليل صوت، وانزعجت الطائفتان، ولم يكن له حقيقة، فقال: "ألف فارس" فقال: لا، لكنه دون ذلك أنا رأيتهم وهم لابسون ثياباً خضراً(٣).

وقد خرج العوام من الثغر في جمادي الآخرة عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وأخبر بضعف البلدة ومراسلة أهل البلد للفرنج ،وطلب الصلح معهم مقابل تسليم البلد لهم (٤)، ولكن عندما وصلت هذه الكتب إلى السلطان وما فيها من التسليم عزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه(٥).

ويضاف إلى مهامهم الدخول إلى المناطق المحاصرة وعلى وسطهم الكتب والنفقات والمؤن للمحاصرين (٦)، وهو ما حدث عام ٦١٥هـ/١٢١٨م عندما اشتد حصار الصليبيين حول دمياط، وقلة الأقوات وغلت الأسعار، وفتكت بأهل دمياط الأمراض، أراد السلطان أن يرسل إلى الحامية الموجودة

---

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢٣ ؛ ابن العبري: تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرمله، بيروت ، دار المشرق، ١٩٩١م، ص٢١٧.

(٢) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٦٢.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٥٦.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن أيبك الدواداري: الدر المطلوب، جـ٧، ص١٠٧.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٥٨.

(٦) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٦؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢٠.

هناك يطلب منها المقاومة، ويخبرهم بموعد وصول القوارب المحملـــة بـــالمواد التموينيـــة وأمـــاكن وصولها، فاستعان برجل يسمى علم الدين شمايل للقيام بذلك(١).

وبالتالي نجد أنه أصبح هناك كثير من الغواصين تمتعوا بالعوم وذلك لسلامهم مراراً من أيدي العدو(٢)، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عيسى العوام والذي كان معاصراً لفترة الســلطان صلاح الدين ويعتبر عيسى العوام من أشهر السباحين الذين كانوا يخترقون الحصار البحري للصليبيين مراراً وتكراراً، فكان بذلك همزة الوصل بين صلاح الدين الأيوبي والمدينة المحاصرة (عكا) ، ولكنه عَامَ مرة ليلاً نحو عكا وعلى وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار وكتب للعسكر، ومضت أيام وقد أبطأ في العودة والمسلمون يرتقبون على الشاطئ أن يروه كالعادة يغالب الموج في عودته ظـــافراً بأخبـــار المدينة والبشرى والفرح يطفحان على وجهه ،ولكنه لم يعد، وتقول عليه البعض وتناولته الظنـــون أن يكون قد خان جيشه ودينه، ولكن عيسى كان أنبل نفساً وأقوى روحاً، فقد قضى عليه البحر ومات شهيد الواجب والجهاد وظلت الأمواج تتقاذفه حتى ألقته بعد أيام على ساحل عكا والأموال والرسائل على وسطه كمـــا هي لم يمسها إنسان(٣).

ومن أشهر العوامين علم الدين شمايل وكان من جملة الجندارية في عساكر الملك الكامل ونجد أنه كان يسبح ليلاً ويأتي بأخبار الفرنجة، وبعد انتصار الأيوبيين على الفرنجة صار هذا الأمير والياً على القاهرة، وإليه نسبت "خزانة شمايل"(٤).

ونظراً لهذا الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء السباحون فإن الفرنجة فطنوا لـــذلك وحـــاولوا أن يفسدوا على المسلمين طريقتهم في استطلاع أخبارهم، ويقضوا على هـــؤلاء الجواســـيس ؛ فنصـــبوا

---

(١) ابن أيبك الدواداري: الدر المطلوب، جـ٧، ص٢٠٠ ؛ محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاســع علـــى مصـــر وهزيمته في المنصورة، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١م، ص٥٢.

(٢) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢١.

(٣) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٦٥ ؛ جمال الدين الشـــيال: الجاسوســـية فـــي حروب بني أيوب، ص٧٤-٧٥؛ فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمـــال اليـــازجي، مراجعـــة جبرائيل جبور، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩م، ص٢٣٩-٢٤٠.

(٤) ابن وصيف شاه: جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بـــ **(فضائل مصر وأخبارها)**، تحقيق محمد زينهم محمد عزت، القاهرة ، دار الثقافة ، ٢٠٠٤م، ص٩٨؛ جمال الدين الشـــيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب ، ص٧٦؛ منى محمد بدر: أثر الحضارة السلجوقية، جـ١، ص٢١٦.

الشباك في البحر، فكان إذا خرج سابح وقع فيها، فقبض على البعض بهذه الطريقة وتخوف البعض الآخر؛ فامتنعوا عن السباحة وأحجموا عن المخاطرة بأرواحهم[1].

٢- السفن الاستطلاعية:

كانت هناك العديد من السفن الاستطلاعية التي تم استخدامها في أغراض التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء [2]، والتي كانت ترسل بصورة مستمرة إلى بلاد الأعداء إما في صورة سفن منفردة أو في صورة حملات استطلاعية مكونة من عدد من السفن.

وكانت هذه السفن أو الحملات تخرج بأمر من قائد الأسطول، وتقوم بجمع المعلومات وتوصيلها إلى السلاطين، وكان رجال الاستطلاع يتحيلون في إرسال معلوماتهم إلى مقدم الأسطول ليأخذ حذره من عدوه، وليتصرف وفق ما يصله من معلومات عن استعدادات العدو ونواياه[3].

وبعد ذلك كانت تصل المعلومات إلى مقدم الأسطول يقوم بجمع مقدمي المراكب ويشاورهم فيما يصنعون استناداً إلى المعلومات التي وصلت إليه عن تعداد أسطول العدو وتشكيله وتسليحه[4].

وكانت هذه السفن أو هذه الحملات تحرص كثيراً على الاختفاء عن أعين العدو، فكانت لا تشعل في المراكب ناراً أو مصباحاً، ولا يحملون معهم حيواناً أو طيراً يحدث صوتاً مثل الديكة، ويستخدمون قِلاعاً زرقاء توافق لون الماء، حتى لا تظهر المراكب من بعيد[5].

وعندما يكون القتال بالقرب من البر والسواحل أو الجزائر كان قائد الأسطول يقوم بإرسال عيونه وطلائعه إلى البر ليتمكنوا من كشف كمائن العدو أو أي مباغته تحدث من جانبه[6]؛ فعندما قامت أحد الأغربة الجنوية عام ٦٩٤هـ/١٢٩٥م بالإغارة على ثغر الإسكندرية قام قائد الأسطول الإسلامي بإذكاء العيون والرصاد لكي يراقبوا هذه الأغربة وعثروا على أحدها وقاموا بالاستيلاء عليها

---

(1) الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص١٧٢؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية في حروب بني أيوب، ص٧٥.

(2) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٣٦.

(3) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨١-٢٨٢.

(4) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨٣.

(5) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨٥.

(6) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص١٩٦؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٠م، ص٧٧.

ودمروها[1]. وأشهر أنواع السفن التي تخصصت في مجال التجسس والاستطلاع على العدو هي:

١- الأغربة:

والغراب والجمع أغربة وغربان، وهي نوع من السفن يسير بالقلع والمجاديف ومنه الصغير والكبير، إذ يتحدد حجمه بضخامة عدد مجاديفه، فأحفله ما كان يجره مائة وثمانون مجدافاً وأصغره تجدف بعشرة مجاديف، وهي مركبة حربية شديدة البأس، ولعل تسميتها بذلك لأن مقدمة رأسها تشبه الغراب إلى حد كبير[2].

وقد كانت من أهم القطع البحرية التي اعتمد عليها الأيوبيون والمماليك في كثير من المهام القتالية الخاصة كالاستطلاع والتجسس، وغيرها من المهام التي تحتاج إلى بحارة على درجة عالية من المهارة والتدريب على مثل هذه العمليات[3].

وهو ما أشار إليه ابن شاهين الظاهري عندما قال[4]: "... وكان سلاطين المماليك يرسلون الأغربة لكشف أخبار المسلمين في جزيرة قبرص وكيف يعاملهم صاحب قبرص"، والحملات التي أرسلها السلطان برسباي عام ٨٢٧هـ/١٤٢٤م لكشف حقيقة الأمر وما يعتمده ملك قبرص مع المسلمين[5].

٢- الشياطي:

الشياطي: جمع شيطي أو شيطية أو شطية وهي سفينة استطلاعية مهمتها كشف المواني واستطلاع الطريق أمام السفن القتالية، والوقوف على أخبار العدو وإبلاغها لهذه السفن. وقد احتوت السفينة من هذا النوع على ثمانين مجدافا[6].

٣- دغيص:

وكان هناك سفن تسمى بدغيص وهو نوع ذو صف واحد من المجاديف و استخدم هذا النوع في أغراض الاستطلاع[7].

([1]) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص١٤٢.

([2]) ابن تغري بردي: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جـ١، ص٩١.

([3]) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٣٣ ؛ علاء طه رزق: القطع البحرية المصرية في عصر سلاطين المماليك، مجلة الإنسانيات، ع ٩،دمنهور ،٢٠٠١م، ص٣٣.

([4]) زبدة كشف الممالك، ص١٣٨.

([5]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٥٨٠.

([6]) عبد المنعم ماجد: نظم دولة المماليك، جـ١، ص١٩٣ ؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية، ص١٠٢.

([7]) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص١١٠.

- الزوارق:

مفردها زورق وتجمع على زوارق، والزورق : لفظ فارسي معرب وتفسرها المعاجم بأنها سفينة صغيرة" أو قارب صغير وتستخدم في التجسس؛ لأنها سريعة الجري خفيفة الحركة سهلة الانقياد تسير بعدة من المجاديف يبلغ عددها "من أربعة وعشرين إلى ثلاثين"[1].

ومن أشهر الحملات الاستطلاعية التي أرسلت في العصرين الأيوبي والمملوكي – على سبيل المثال لا الحصر– ما يلي: عندما حاصر الفرنج عكا برا وبحراً عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م ، واشتدوا في حصارها وضيقوا عليها الخناق، ولاقى المسلمون داخل حصونها المحن والشدائد وهم يجاهدون في سبيل الله. وقلق صلاح الدين إذ كان دائم التفكير في أخوانه سكان عكا من أهلين وجنود، فكان يرسل إلى مصر يأمر رجاله بها أن يبعثوا إلى عكا بالسفن محملة بالقوت والذخيرة، وخرجت هذه السفن تحميها شواني الأسطول المصري، وحملت إلى المحاصرين الزاد والمؤونة وعادت محملة بأخبار المحاصرين[2] والدليل على ذلك قول ابن شداد[3] : "..... هذا والكتب متواصلة من عكا ومنا إليها – على المراكب اللطاف، تخرج ليلاً، وتدخل سرقة من العدو......"

ولكن عندما انقطعت أخبار عكا مرة ثانية لجأ صلاح الدين إلى طريقة أخرى تعد من أحدث طرق الجاسوسية؛ وهي أن السلطان أعد بطسه (سفينة) كبيرة وملأها بنفر من نصارى بيروت الذين أسلموا، فأمرهم فتزيوا بزي الفرنج، وحلقوا لحاهم، ووضعوا الخنازير على ظهر البطسة ورفعوا الصلبان، وخرجت السفينة بهم، فاعترضتها سفن الفرنج وحسبوها من سفنهم فقالوا: "تراكم قاصدين البلد؟" – قالوا: "أو ما أخذتموه بعد؟" قالوا: "لا"، قالوا: "وراءنا بطسة أخرى ردوها"، فذهبوا عنهم فردوا القلاع إلى البلد ودخلوا الميناء (عكا)، وكبر المسلمون[4].

ولقد أرسلت عدة سفن إلى جزيرة قبرص لكشف أخبارها ،ومدى استعدادات العدو ومن هذه الحملات الحملة التى أرسلت عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م وهي أن بركوساً[5] للمسلمين ذهب إلى هناك

---

(1) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص١١١.

(2) جمال الدين الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص٧٤.

(3) النوادر السلطانية، ص٢٠١.

(4) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٦؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص١٤٥؛ ابن أبي جرادة : زبدة الحلب من تاريخ حلب، جـ٢ ، حققه وقدم له سهيل زكار، دمشق، دار الكتب العربي، ١٩٩٧، ص ٥٩٤ ؛ جمال الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص٧٥-٧٦.

(5) البركوس : نوع من السفن التي كانت تستعمل في الحروب بين الشرق والغرب في مياه البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى، وهي أصغر حجماً من البطسة؛ وكانت حمولة البركوس الواحد حوالي من خمسة وعشرين

واستطاع أن يدخلها وقت عيدهم وقاموا بقتل بعض أهلها وأسر البعض وأخذ الغنائم الكثيرة منهم ومعرفة أخبار من بقبرص،والحملة التي أرسلها السلطان الملك الأشرف شعبان عام ٧٦٩هـ/١٣٩٨م بقيادة الريس إبراهيم النازي، والحملة التي أرسلها السلطان برسباي عام ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م [1]

كما أرسل السلطان جقمق عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م حملة إلى رودس بعد إخفاق حملته الأولى، وكانت الحملة مكونة من خمسة سفن لتأتيه بالأخبار الدقيقة عن مدى استعداد أهلها للدفاع عنها، وما اتخذوه من وسائل التحصين. وبعد أن عادت سفن الاستطلاع تمت التجهيزات وأقلع الأسطول متجهاً إلى رودس[2].

وكانت هذه الحملات الاستطلاعية تعتمدُ بصورة أساسية على الاختباء والتمويه لتنفيذ مهامها، وهو ما حدث في أغلب هذه الحملات، فنجد أن السفن التي كانت تدخل إلى عكا كانت ترسم الصلبان على الأعلام وتحمل الخنازير[3]. وهذا ما حدث في عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م عندما أرسل الظاهر بيبرس حملة لغزو قبرص نجد أن قائد الحملة قام برسم الصلبان على أعلامها ليشبه بذلك الفرنج بشوانيهم، وطلاها بالقار، "يريد بذلك أنها كانت تختفي إذا عبرت البحر على الفرنج، حتى تطرقهم على غفلة"[4].

رجلاً. انظر ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مج٤ ، ج١ ، تحقيق ونشر حسن محمد الشماع، البصرة، نشر جامعة البصرة، ١٩٧٠م، ص ٢٣٤؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢١٨.

(1) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢١٨.؛ ٢٣٨. المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص١٥٩؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٠؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨٢.

(2) جمال الدين الشيال: الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جقمق، بيروت ، دار الثقافة، ١٩٨١م، ص١٤٤؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨٢.

(3) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٠٦.

(4) إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٨٤-٢٨٥.

ثالثاً: جمع المعلومات خارج ميدان المعارك:

١- الرسل والسفراء:

كلمة السفير: مأخوذة من سفر، وأسفر، والسفير هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء[١]، فالرسول (السفير) يدل على عقل مرسله، إذ هو عينه فيما لا يرى، وأذنه فيما لا يسمع،ولسانه عندما غاب عنه[٢]، وكان ديوان الإنشاء هو المهتم بتدريب الرسل والاعتناء بهم[٣].

وقد كانت الدولة الأيوبية والمملوكية على إطلاع ووعي بشئون الدبلوماسية، والأهداف التي يتخذها جيرانهم من وراء إرسال السفراء إليها، فكانت على علم أن الملوك والأمراء بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة فقط، بل إن هناك مئات الأغراض التي يبغونها[٤] فكان من أهم أغراض السفير أو الرسول (التجسس) ومحاولة جمع المعلومات بطرق وأساليب شتى ونقلها لدولته وذلك في صورة تقارير يرفعها إلى السلاطين عند عودته من البلد التي أوفد إليها[٥].

وهذا الغرض يلازم الرسالة دائماً، فيود المرسل أن يطلع على كل ما عند المرسل إليه من خير وشر ليحمله إلى مرسله[٦]، وقد بين نظام الملك هذا الأثر بياناً دقيقاً في وثيقة مهمة أودعها في كتابه "سياسة نامة"[٧] فقال: "ويجب أن يعلم الملوك بإرسالهم السفراء لا يقصدون تسليم رسالة أو نقل سفارة فقط، بل إن هناك مئات الأغراض يبغونها، فهم في الحقيقة يريدون أن يعلموا حالة الطرق، ويعلموا إذا كانت الطرق معبّدة تستطيع الجيوش أن تمر بها... وأن يعلموا قوة الجيش ومئونته في العدد والعدد في الدفاع والهجوم... حتى إذا رغبوا في مهاجمة مملكته يوماً كانوا مطلعين مدركين يضعون المحاسن والمساوئ نصب أعينهم وينهجون بحسبها".

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج٤، ص٣٧٠ ؛ الرازي: مختار الصحاح، ج١، تحقيق محمود خاطر، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٩٥م، ص١٢٦.

(٢) ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة ، ص٣٤٣؛ صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية، الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م، ص١٠٨.

(٣) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، ص٢٩٥.

(٤) ابن الفراء: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م، ص١٤٦؛ سلامة محمد الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص١٧١.

(٥) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٤؛ سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص٣٢٢.

(٦) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٤٦؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٥؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٢.

(٧) سياسة نامة، ص١٣٤؛ ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٤٦-١٤٧؛ صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية والسفراء، ص١٤٧؛ إبراهيم العدوي: السفارات الإسلامية إلى أوربا، ص١٦- ١٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٢.

وإدراكاً من الأيوبيين والمماليك بخطورة مهام السفير كانوا يحرصون أن يكون السفراء على قدر كبير من الذكاء والعلم وسرعة البديهة وقوة الذاكرة والقدرة الفائقة على ضبط النفس وحفظ الأسماء وقدرة على استرجاع المعلومات التي حصلها خلال إقامته في البلد الموفد إليها[١]، وأن يكون جهير الصوت، حسن الرداء والمنظر، مقبول الشمائل، حسن البيان، جيد العبارة[٢]، كما يجب أن يكون الرسول شديد الاحتيال وقوي الفراسة في أقواله وأفعاله ويجب أن يكون قد اختبر عقله وفصاحته، ويجب أن يكون حافظا للأسرار وذلك حتى لا يفشي سرًا علمه[٣]

كما يجب أن يكون الرسول ضليعاً في لغة العدو[٤]؛ والدليل على ذلك ما حدث في عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م عندما أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون رسولاً إلى "بوسعيد" خان مغول فارس فنجد أن الرسول سأل الناصر محمد أنه إذا سألوه أن يتكلم بلسان المغل، فهل يتحدث معهم، أم ينكر معرفته به[٥].

وإذا استوفى الرسول هذه الشروط وما في معناها كان جديرًا بأن يرسل في المهمات ويمشي بالرسالة ومتى فات فيه شرطٌ من ذلك لا ينبغي أن يستعمل في رسالة أصلاً[٦].

ويجب على السفير ألا يشرب خمراً لأن الخمر تفضح شاربها وتطلع على ما في نفسه من الأسرار وأنها عندما تدور في رأس صاحبها تجعل اللاشعور ينطلق من مراقبة الشعور فيأخذ بالتحدث عن معظم أسراره التي يحفظها في صدره وتفضح نواياه وما استودعته دولته من أسرار مما يكون له نتائج سلبية على دولته[٧]، وألا يميل إلى النساء، لأن للنساء حيلاً بارعات يستخرجن بها الأخبار[٨].

كما أنه كان يتم عمل اختبارات لهم لانتقاء من يصلح منهم للرسالة[٩] فيقول الرشيدي في

---

(١) ابن الفراء: رسل الملوك ، ص ١٥ – ٢٢؛ سلامة الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص١٧٢؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٢.

(٢) الرشيدي : تفريج الكروب، مخطوط، ورقة ٣١ – ٣٢ – ٣٣؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٢.

(٣) الكرودي: كتاب كشف الغمة ، مخطوط، ورقة ٣٠ – ٣١؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص٣٩٦.

(٤) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص٣١٣.

(٥) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤١.

(٦) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٣٦.

(٧) ابن رضوان المالقي: الشهب اللامعة في السياسة النافعة، ص٣٤٣؛ نظام الملك: سياسة نامة، ص١٣٧؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص٩٤؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٢.

(٨) صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية والسفراء، ص١١٦؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص٩٤.

(٩) سعيد عبد الله: العلاقات الخارجية، ص٢٩٥.

...ك(1): "وينبغي للمرسل أن يمتحن رسوله مدة طويلة قبل أن يوجهه في رسالة ليعلم حقيقة حاله فيكون على يقين من أمره فيثق به فيما يرسله فيه قيل : إنه كان من شأن الملوك فيما سلف أنهم إذا أرادوا إرسال شخص قدموا امتحانه بإرساله إلى بعض خواص الملك ممن هو في قرار داره في بعض المهمات ثم يجعل عليه عيناً فيما يرسله فيه من حيث لا يشعر فإذا أدى الرسول رسالته ورجع بجوابها إلى الملك الذي أرسله في أثره للكشف عنه فإن طابق ما أتى به كلام الآخر صار عند الملك مميزاً لأن يكون رسولاً له إلى الملوك".

ويجب ألا يكون هذا العين أو الرقيب ممن يحسده أو يطمع في منصبه فربما حمله الحسد والطمع على أن ينعته بما ليس فيه، ويتقول عليه ويؤذيه، وكذلك الأمر كانوا حذرين من أن يرسلوا برسول إلى عدوهم مراراً متوالية" فربما حصل بين الرسول والمرسل إليه مؤانسة وصداقة فيصير بطانة لعدوه عنده، فيضره من حيث لا يشعر ويأخذه من مأمنه، بل يجعل له في كل رسالة رسولاً يثق به ويعتمد عليه، ويستند إليه إلا إن وثق من صاحبه ثقة لا يداخلها ريب ولا يمازجها عيب، فيقيمه مقام نفسه في مصالح دولته، وبقاء مملكته، وثبات سلطانه(2). وهذا حدث عندما أرسل السلطان الناصر محمد بن السلطان قايتباي (٩٠١ – ٩٠٤ هـ / ١٤٩٦ – ١٤٩٨م) الرسول خايربك إلى السلطان العثماني بايزيد عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٨م لإخباره بنبأ اعتلائه العرش ، واستطاع السلطان العثماني التأثير على خايربك ، ومناه بوعود ومكافآت ليكون عيناً له على السلطنة وأحوالها(3).

ولقد استغل سلاطين الأيوبيين والمماليك الدبلوماسية أيما استغلال في التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء ، ليكونوا بمنأى عن مفاجآت أعدائهم، فعندما بلغ الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تورانشاه بن أيوب أخ صلاح الدين أن ملك النوبة غار هو وكنز الدولة على أسوان ، فأرسل تورانشاه رسولاً إلى بلاد النوبة ليكشف له خبر البلاد،قال: "وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم؛ ويخرج الملك وهو عريان على فرس عري، وقد التف في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى وأمر بي فكويت على يدي هيئة صليب، وأنعم علي بنحو خمسين رطلاً من دقيق،

---

(1) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٣٦- ٣٧.

(2) الهروي: التذكرة الهروية، ص٧٥- ٧٦.

(3) ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور،حـ٥،القاهرة ،ط بولاق ١٣١١هـ ، ص ٦٢٥ – ٦٣٢؛ عادل عبد الحافظ : دور خايربك في موقعة مرج دابق ، المجلة التاريخية ، ع ٣٦،القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٤٤، لبيبة إبراهيم: الفتن والقلاقل الداخلية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة، ٢٠٠٠م ، ص ٢٢٦.

وليس هناك عمارة فى دنقلة سوى دار الملك، وباقيها أخصاص"[1]، وتكرر إرسال مثل هذه السفارات في الأعوام الآتية ، في عام ٥٨٧ هـ/١١٩١م[2]،٥٨٨هـ/١١٩٢م[3]٦٦٩هـ/١٢٧١م[4] ،٦٨٥هـ/١٢٨٦م[5]، ٦٩٩هـ/١٢٩٩م[6]، ٩١٣هـ/١٥٠٨م[7].

وقد استعان سلاطين الأيوبيين والمماليك بالسفارات التي ترد إليهم من الموالين لهم في البلاد المجاورة والمناطق الحدودية للتعرف على أخبار الأعداء وجمع المعلومات عن البلاد المحيطة بهم[8].

ومن أمثلة هذه السفارات السفارة التي وردت عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م من الفرس تخبر السلطان صلاح الدين بعدد الألمان وتخبره بالضعف الذي هم عليه وقلة عددهم وأقواتهم[9]، وكذلك السفارة التي وصلت من عند أحمد بن أويس صاحب بغداد يحذر السلطان برقوق من تيمورلنك[10].

وسفارة صاحب ماردين التى وصلت إلى السلطان برقوق تبلغه أن تيمورلنك قد استولى على تبريز، وأنه يريد من صاحب ماردين أن يدخل إلى طاعته[11]، وفي عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م وصل رسول من بايزيد بن مراد العثماني صاحب بلاد الروم، ليحذر السلطان فرج بن برقوق من تيمورلنك لأنه يريد أن يأخذ مصر[12].

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص٥١.

(2) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص١٣٢.

(3) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص١٨٨؛ صابر محمد: العلاقات بين الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية، الفيوم ، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٣م، ص١١٩.

(4) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٤٥.

(5) كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي،رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،١٩٩١م، ص٧٨.

(6) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٨٨٥.

(7) عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٣٣.

(8) منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨٠؛ علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، ص١٥٩.

(9) ابن شاهنشاه: سيرة صلاح الدين، ص٩٠.

(10) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص١٤٢؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٢٦٥؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨٠.

(11) ابن الصيرفي: نزهة النفوس، جـ١، ص٣٦٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص٤٣؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٢٩٩؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨١.

(12) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٣٩٩؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٨١.

أما بالنسبة للأعداء فلم يغفلوا الدور المهم الذي يمكن أن يلعبه الرسل والسفراء في التعرف على أخبار وأحوال الدولة الأيوبية والمملوكية فقاموا بإرسال العديد من السفارات والرسل للقيام بهذه المهام، ولقد توافد على الدولتين الأيوبية والمملوكية العديد من هذه السفارات ، ومن أمثلة ذلك : السفارة التي أرسلها ريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م إلى صلاح الدين الأيوبي أثناء مرض ريتشارد لكي يحصل على الفاكهة[١]، كانت تريد التعرف على ما يجري داخل المعسكر الإسلامي تماماً فأدركوا عن كثب قلق وتذمر رجال الحامية الإسلامية داخل عكا من طول الحصار الصليبي لها. كما أدركوا انقسام كلمة المسلمين واختلاف أمرائهم مع صلاح الدين في الرأي، ورغبة بعضهم في العودة إلى أوطانهم وأهلهم، ودليل نجاح أولئك الرسل في تجسسهم على المسلمين هو مصالحة حامية عكا العربية للعدو دون علم السلطان صلاح الدين واستشارته[٢].

كما تتابعت على الدولة العديد من هذه السفارات نذكر منها السفارة التي أرسلها السلطان غازان عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م[٣] ، والسفارة التي أرسلها تيمورلنك عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م[٤]، والسفارة التي أرسلت عام ٨٠٣هـ/١٤٠١م والتي أرسلها تيمورلنك إلى دمراش نائب حلب[٥] ، والسفارة التي أرسلها السلطان سليم العثماني إلى طومان باي عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م[٦].

وقد سعت الدولة جاهدة للحيلولة دون حصول سفراء أعدائها وأصدقائها على أية معلومات ذات قيمة من الدولة ومخططاتها وأهدافها التي تسعى إليها؛ فكان الحكام يوصون كبار قادة جندهم إذا قدم عليهم سفراء من أعدائهم أن يمنعوا الناس من محادثتهم حتى يخرجوا جاهلين[٧]، ولا ينبغي لأحد أن يعلم بأمر السفراء عند ورودهم من البلاد حتى يصلون إلى دركاء السلطان ويجب ألا يصاحبهم أحد من العامة أو يقدم لهم الأخبار طوال رحلتي الذهاب والإياب[٨]، وأن يجعلوا عليهم من يراقبهم

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٣٤٣؛ نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة ، مكتبة النهضة العربية، ١٩٦١م، ص٣٥.

(٢) نظير حسان سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، ص٣٥.

(٣) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر،القاهرة ،مكتبة الأنجلو،١٩٨٨م، ص١٩٢.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى، جـ٧ ، ص ٣١٦؛ ابن الفراء : رسل الملوك، ص ١٤٧ – ١٤٨.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٣١– ١٠٣٢.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٨١– ٨٣؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٦– ٣٧.

(٧) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٤.

(٨) نظام الملك: سياسة نامة، ص٨٧ ؛ ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٤؛ صلاح الدين المنجد: فصول في الدبلوماسية، ص١٢١؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص١٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٣.

ويحرص على عدم اجتماعهم بأخذ من الناس[1]، وقامت الدولة بتخصيص بعض الأفــراد لاستقبال الرسل الوافدين بمجرد دخولهم إلى أطراف الدولة ويقومون بتضليلهم بالمسالك والــدوران بهــم فــي الطرق[2] ، وقد حدث ذلك مع السفارة التي أرسلها السلطان أحمد تكدار ملك المغول إلــى الســلطان المنصور قلاوون عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م فنجد أن أخبار هذه السفارة كانت تصل إلى الســلطان لحظــة بلحظة ومنزلة بمنزلة، وأنباؤها مرحلة بمرحلة وعدتهم وصورة هيئتهم وهيبتهم وكل شئ عنهم منــذ خروجهم من بلادهم، وعندما دخلوا إلى حدود الدولة ، وقام السلطان بتخصيص أحد الأمراء لكي يقوم باستقبالهم- وتم تكليفه بأن لا يمكن أحد من أفراد هذه السفارة بأن يخرج من المنزل الذي نزله، وذلك احترازاً من تحايلهم – وكذلك الاحتياط منهم، فربما تخفى بعض الجواسيس في صورة رسل بينهم[3].

ولقد استغل سلاطين الأيوبيين والمماليك الرسل والسفراء المتوافدين من عند أعدائهم من أجل انتزاع المعلومات التي قد تفيدهم في أثناء المعارك أو حتى أثناء المفاوضات، وقد أوضح ذلــك ابــن شداد بقوله[4]: "... وكذلك قوبل رسل الصليبيين أيضاً للتعرف على ما عندهم أيضاً...".

" وذكر الهروي أن الرسول يعبر عن عقل الملك الذى أتى من عنــده ،وعــن عقلــه وقوتــه وعجزه، ومن السهل معرفة كل شيء عن الملك الذى أرسله من خلال استشارته ،ويجــب أن يطيــل الجلوس معه ،ويعرف منه كيف يعيش ،ويظهر له أن قدره كبير،وأن بلاده لا تقدره،ولا تعطيه حقــه ،ويسأله عن دخل بلاده،وإن استطاع أن يقنعه بذلك عرف منه كل شيء ،وتمكن من عدوه ، وليحــذر من الرسول الذين لا دين لهم ؛فإنهم يضللون الملوك بأجوبة خاطئة .[5]:

ومن أمثلة ذلك ما حدث عام ٥٦٩هـ/١١٧٤م عندما أرسل عموري رسولاً من عنده إلى صلاح الدين لتوطيد العلاقة معه – ولكن نجد أن صلاح الدين قام بإحاطة هذا المبعوث بعملاء له يثق فــيهم من بين المسيحيين الذين حصلوا بصفتهم هذه على ثقة المبعوث الفرنجي الذي كشف لهم عن تفاصيل المؤامرة فقاموا هم على الفور بإبلاغ صلاح الدين بها[6].

---

(1) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٦٤؛ الحسن عبد الله: آثار الأول، ص١٠٨- ١١٠؛ منى إبراهيم: الســفارات الأجنبية، ص٣٥- ١١٣؛ أنجيلو كودفيلا: المخابرات وفن الحكم، ص٥٩٣.

(2) الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص٩٥؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٦.

(3) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١١٤؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص١٤١.

(4) النوادر السلطانية: ص٢٥١.

(5) التذكرة الهروية، ص٧٧- ٧٨.

(6) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ١، ص٢٤٥ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٣٤.

كما استطاع صلاح الدين استغلال المبعوث الفرنجي الذي أتى إليه من ريتشارد لمعرفة نوايا ريتشارد من خلال أسئلة معينة كان يوجهها إلى المبعوث الفرنجي. وتبين فعلاً كيف نجح صلاح الدين في الوصول إلى هدفه حينما أجبر المبعوث من خلال مفاوضات طويلة ومضنية على أن يكشف عن أن مليكه إنما يهدف بادعاءاته الخاصة بالقدس، إلى تحقيق مكسب سياسي تكتيكي وهو الحصول على أقصى ما يمكن من المفاوضات، وأن الملك الإنجليزي كان يخفي رغبته في العودة على عجل إلى إنجلترا التي كانت ظروفها الداخلية تستلزم العودة السريعة للملك إليها[1]، فيقول ابن شداد في ذلك[2]: "... أخبرنا الرسول من عند نفسه مناصحه: أنهم قد نزلوا عن حديث القدس ماعدا الزيارة، وإنما يقولون ذلك تصنعاً، وأنهم راغبون في الصلح وأن الانكتار لابد له من الرواح إلى بلده"، واستطاع معرفة أن المعسكر الفرنسي عزموا على عبور البحر[3].

واعتمد سلاطين المماليك على بعض عادات وتقاليد الأعداء واستخدموها في جمع المعلومات المهمة منهم، فقد كان المغول مولعين بشرب الخمر حتى الثمالة، حتى بعد إسلامهم، ولم يجد سلاطين المماليك أية غضاضة في تزويد رسل المغول القادمين إلى البلاد بهذه الخمور وربما بكميات تفوق الحد، للحصول على ما يهمهم من معلومات، وقد حدث في عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م عندما أرسل تيمورلنك رسوله إلى البلاد، فقدموا له الخمر فشرب حتى فقد وقاره وإدراكه لتصرفاته، ويرجح – قولنا هذا ما اتخذه تيمورلنك من إجراء عقب عودة الرسول بأن أحضره إليه، وأخذ يعنفه بالكلام ثم أمر بضرب عنقه[4].

ومن ناحية أخرى نجد أن السلاطين قاموا بإرسال البعثات العلمية إلى بلاد الأعداء وذلك للقيام بجمع الأخبار والتجسس على البلاد المرسلين إليها[5]، ومن أمثلة هذه السفارات السفارة التي أرسلها السلطان صلاح الدين عام ٥٨١هـ/١١٨٥م بقيادة الفقيه عيسى إلى البهلوان[6] للتجسس على أحواله فأرسل الفقيه عيسى كتابه إلى السلطان يعرفه صورة الحالة عند البهلوان[7].

---

(1) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية ، ص٣٦– ٣٧.

(2) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٢٧– ٣٤٣.

(3) ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٧٤.

(4) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤٢.

(5) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٧– ٣٢٨.

(6) البهلوان : هو أتابك شمس الدين محمد بن أتابك أيلدكز المعروف بالبهلوان ، وكان قد نزل على خلاط، وكانت حياته متصلة بالجد والجد، واضطربت من بعده تلك الممالك، واضطربت أصفهان، وكان قد توفى عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م، وتولى بعد موته أخوه قزل أرسلان" انظر ، العماد الأصفهاني: الفتح القسي ، ص ٣٤٣.

(7) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص٢٤٨.

ومن ذلك أيضا السفارة التي قام بها العالم محمد بن جمعه القاهري المعروف بأبيه علّى الروم وكان الغرض منها استطلاع أحوال بلاد الروم ونقلها إلى سلاطين المماليك[1]، وكذلك السفارة التي قام بها العالم بدر الدين العيني عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م وقد أرسله الملك المؤيد رسولاً إلى بلاد الروم، وذلك ليكشف أحوال هذه البلاد وينقل أخبارها للسلطان، وكانت هذه السفارة غاية في الأهمية لأن السلطان أراد من العيني أن يستطلع أخبار هذه البلاد لأنه فيما يبدو كان يتوقع خروج حاكمها على طاعته[2].

وفي النهاية لعب الرسل والسفراء دوراً كبيراً في جمع المعلومات ونقلها إلى السلاطين مما كفل لهم سهولة التعرف على أخبار هذه المناطق وما يحدث فيها ومواجهة الأعداء.

٢- المستأمنون والوافدون السياسيون:

ويقصد بهم العناصر التي وفدت إلى معسكر الإسلام هرباً من معسكر العدو واحتموا بالأيوبيين والمماليك، ونجد أن بعضهم أعلن إسلامه والبعض الآخر بقي على دينه، ولكن نجد أن هؤلاء الوافدين والمستأمنين كان نزوحهم في بعض الأحيان عن بلادهم من أجل التجسس على أحوال الأيوبيين والمماليك وجمع المعلومات عن بلادهم وإعلام دولهم بما يدور داخل أراضي الأيوبيين والمماليك[3].

وهو ما قاله ابن العبري[4]: "... إن ملك الإنكليز لم يتوخ في إرسال الوفود مرة بعد مرة بأخبار فارغة وذلك لأنه كان يريد أن يقف حقيقة على ما عند صلاح الدين والملوك الذين معه من الجيوش، وكذلك الأمر في عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م نجد أن نائب الشام قبض على رَجُلٍ تُركِيٍّ غَجَرِيٍّ كان مقيماً في الشام وكان أحد الوافدين السياسيين وعندما شك في أنه جاسوس من قبل تيمورلنك قبض عليه: ورحل إلى مصر، وبعد أن جاء الرجل إلى القاهرة وعوقب ،فأقر على اثنين قدما صحبته إلى دمشق فأرسلت القاهرة بطلبهما[5].

---

(1) رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا ،١٩٩٢م، ص٢٠٥.

(2) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٢، ص٤٦٩- ٤٧٠ ؛ رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر، ص٢٠٦.

(3) بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص٥٢٩- ٥٩٢ ؛
Amatai: Mamluk and Mongols, P. 144.

(4) تاريخ الزمان، ص٢١٩.

(5) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص١٥٥؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص٥٢٩.

كما كُشف عن وافد تتري آخر كان قد جاء إلى أراضي الدولة المملوكية للتجسس لحساب تيمورلنك وتحت وطأة المعاقبة أقر أن بالقاهرة جواسيس قبض على سبعة أنفس ما بين تجار وغيرهم من العجم[1].

ولهذا نجد أن السلاطين قاموا بوضع ضوابط رقابية وهي حرصهم الشديد في عدم تقريب كل ما أتاهم هارباً من عند ملك من الملوك، والحذر من إفشاء الأسرار أمامهم ومراقبتهم، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالجند، مع فرض نوع من العزلة عليهم، وإنزالهم في أماكن مخصصة بحيث يجعلون عليهم بعض عيونهم الذين لا ينقطعون عن زيارتهم، والتحدث إليهم، والتودد إليهم بكل السبل التي تمكنهم من التعرف على هويتهم، ثم يخبرون السلطان بحقيقة أمرهم[2].

وهو ما حدث مع الأمير سيف الدين ايتمش المحمدي ،وكان أحد الوافدين المغول إلى أراضي الدولة المملوكية والذين دسوا عليه من صادقه وتودد إليه واستطاع أن يحصل منهم على معلومات كثيرة وأخبار عن المغول[3].

ولكن نجد أنه كان يتم إعطاء عقود أمان للمستأمنين بشرط ألا يكون طليعة أو جاسوساً، وفي حالة ثبوت ذلك يقتل ولا يبالي بأمانه[4]، كما أن الأيوبيين والمماليك استعانوا بالمستأمنين والعناصر الوافدة للعمل في مجال التجسس وجمع المعلومات عن العدو، وكذلك كمرشدين لمعرفة خبايا الطرقات إلى بلادهم وبالتالي كانوا بمثابة مصدر للمعلومات عن تلك الجهات، وكان يساعدهم في ذلك معرفتهم للغة الأعداء وبلادهم أيضاً[5]، فيقول في ذلك العماد الأصفهاني[6]: "كان السلطان صلاح الدين قد أنفذ بعض المستأمنين من الفرنج على براكيس، ليغزو في البحر ويكونوا جواسيس للسلطان في البحر على الفرنج، فعاد المستأمنون بأسلاب وغنائم كثيرة من بعض التجار الفرنج الذين قابلوهم في البحر – وكان هؤلاء المستأمنين عبارة عن مناصحين للمسلمين" ، ولقد قام المستأمنون بهذا الدور في الأعوام

---

(1) المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص٨٠٢؛ منى إبراهيم: السفارات الأجنبية، ص٣٧.

(2) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٥٨– ٦٤؛ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٨– ٥٩؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٣؛ الهجرات المغولية، ص٧٠.

(3) علي السيد: الهجرات المغولية إلى مصر، ص٧٠– ٧١.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص٣٢٢.

(5) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٢٩ ؛

Amatai: Mamluk and Mongols, P. 144.

(6) الفتح القسي، ص٢٧٢– ٢٧٣ .

الآتية في عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م[1]،٥٨٧هـ/١١٩١م[2] ، ٦٦٠هـ/١٢٦٢م[3] ، ٦٩١هـ/١٢٩١م[4] ٧٠٤هـ/١٣٠٥م[5] ، ٨٠٣هـ/١٤٠٠م[6].

وفي إطار الهجوم الذي شنه تيمورلنك على الأراضي المملوكية توافد العديد من المستأمنين والوافدين إلى أراضي الدولة المملوكية يخبرون بأحوال تيمورلنك وما هي حالته وحالة جيشه، فقد أخبروا بأن تيمورلنك يكثر من استخدام الحيل والخديعة في حربه، كما أخبروا أيضاً بأن نصف عسكره لديهم الرغبة في القدوم إلى طاعة المماليك، وأن ولد تيمورلنك كان في الجاليش الذي اشتبك مع جاليش السلطان وقد قتل، وكذلك قتل صهر تيمورلنك، وأنه عندما وصلت هذه الأخبار إلى تيمورلنك حزن كثيراً على ولده.[7]

٣- الأسرى:

الأسرى[8] من أهم المصادر الأساسية لجمع المعلومات عن الأعداء والوقوف على أحوالهم وأسرارهم العسكرية وغيرها[9]، هذا وقد أدرك الأيوبيون والمماليك دور الأسرى كمصدر مهم من مصادر الحصول على المعلومات، لأنهم يقدمون قدراً هائلاً من المعلومات، وذلك عن طريق استجوابهم بأسئلة بريئة المظهر، وبخاصة عندما توجه هذه الأسئلة من أشخاص يتمتعون بخبرة عالية في عمليات الاستجواب أو الاستدراج[10]، هذا إلى جانب إمكانية العثور معهم على بعض الوثائق التي قد تحتوي على معلومات على درجة عالية من الأهمية من الناحية العسكرية. فضلاً على أنها يمكن أن

---

(١) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٥٨-٢٧٣.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٣٨-٢٧٠-٢٧١؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٨١.

(٣) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٦٣.

(٤) الدوادار: الدر الفاخر،جـ٩ ، ص ١٢٨؛ بيومي الشربيني : الوفود السياسي.، ص ٥٦١.

(٥) علي السيد : الهجرات المغولية ص ٤٨.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٣٩؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص٥١٦.

(٧)المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٣٩؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور ، ص ٢٤٤؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي لمصر والشام، ص٥١٦.

(٨) الأسرى: جمع أسير ويجمع على أسراء أيضاً، والأسير: المقيد والمسجون، سمي بذلك عادة لأنه عادة ما يقيد بسير من الجلد ونحوه من كل ما يربط به، ثم صار يطلق على الشخص الذي يقع في يد الأعداء سواء أكان مقيداً أو غير مقيد. ابن منظور: لسان العرب، جـ٤، ص٢٠- ١٩.

(٩) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٢٨.

(١٠) الاستدراج: هو الحصول على معلومات من شخص أثناء المحادثة معه دون إدراك منه لأهمية ما يدلى به من معلومات بالنسبة للمستدرج أو الغرض الحقيقي من وراء جمع هذه المعلومات. إبراهيم علي محمد: المدخل إلى علم الاستخبارات، ص٩٢.

يزود المستجوب بفكرة واضحة عن أهمية هذا الأسير، وبالتالي تساعد على الاستفادة منه أثناء عمليات الاستجواب[١].

ففي عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م استطاع المعسكر الإسلامي معرفة الحالة الاقتصادية التي يمر بها معسكر الفرنج من خلال الأسير الذي وقع في أيدي المسلمين وأخبرهم بأنه وحيد أمه ولا يملكون من الدنيا غير بيت باعته وجهزته بثمنه، وسيرته لاسترداد بيت المقدس[٢].

وعندما توجه الصليبيون لمحاربة المسلمين في قلعة كوكب عثر أحد عيون المسلمين على واحد منهم فأسره وذهب به إلى صارم الدين قايماز الذي قام باستجوابه وعرف منه أن بالوادي مكمن الفرقة فركب صارم الدين وقام بالقبض عليهم[٣].

كما أُسِر فارسٌ من الصليبيين عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وهم متوجهون إلى عسقلان بعد استيلائهم على عكا، وكانت هيئة الفارس توضح أنه فارس قوي وله مكانته بين الفرنج، فأحضر هذا الأسير إلى السلطان فسأله بعض الأسئلة وهي: " كيف يسوى الطعام عندكم؟". فقال: "أول يوم رحلنا من عكا كان الإنسان يشبع بستة قراطيس، ثم لم يزل السعر يغلو حتى صار يشبع بثماني قراطيس". وسئل عن سبب تأخرهم في المنازل فقال: "لانتظار وصول المراكب بالرجال والميرة". فسئل عن القتلى والجرحى في يوم رحيلهم فقال: "كثير". فسئل عن الخيل التي هلكت في ذلك اليوم فقال: "مقدار أربعمائة فرس". فأمر بضرب عنقه، ونهى عن التمثيل به[٤] وأثناء مسيرة الصليبيين نحو عسقلان أخبر أحد الأسرى بحال تنظيم الجيش الصليبي ومن على الميمنة ومن في الوسط ومن على الميسرة[٥]، فخرج السلطان نحوهم إلا أن الملك الإنجليزي قرر العودة إلى عكا فانقطعت أخبار الصليبيين عن السلطان فأتى بأحد الأسرى وسأله عن أحوال الصليبيين ، فأخبره بضعف أهل عكا وقلة الميرة عندهم، وأبلغه أن مراكب خرجت من عكا وفيها الملك الإنجليزي لقصد عسقلان أو القدس[٦]

وفي عام ٦٦٠هـ/١٢٦٢م أُسرت جماعة من التتار، وعند استجوابهم علموا منهم أن هولاكو قاصد دمشق[٧]؛ وكذلك الحال عندما أسر أحد المغول ؛ فأفصح عن قيام الخان المغولي بشن هجوم

---

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤٠؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية الإسلامية، ص٣٧- ٣٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص١٨٨.

(٣) إبراهيم خميس: جماعة الفرسان الداوية، ص١٦٧- ١٦٨.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٦٧- ٢٦٨؛ سيرة صلاح الدين، ص١٣٧.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٧٠- ٢٧١؛ سيرة صلاح الدين، ص١٣٩.

(٦) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٩؛ سيرة صلاح الدين، ص١٥١.

(٧) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٦٣.

على سوريا وأن عدد الجيش يبلغ ١٢٠ ألف جندي[١].

أما الأمير طرنطاي النائب فقد قام بأسر جماعة من أصحاب منكوتمر عـام ٦٨٠هـ/١٢٨١م وكان فيهم "حامل حرمدانة"[٢]، فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء – مثل سنقر الأشـقر، وأتـيمش السعدي، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر – إلى التتار، يحرضونهم على دخول الشام، ويعـدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاي السلطان عليها فأمر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد[٣].

وفي نفس العام أُسر شخص يسمى جلتار بهادر أمير أخور أبغا، كان قد توجه لكشف المروج والمراعي، فضربوه ضربة سيف في أذنه، وأمسكوه، وأحضروه إلى السلطان المنصور قلاوون إلـى مدينة دمشق، فوانسه وسايسه، وأمر أن تحمل له الفرش والحكماء ويداوي، وأن يقرر له من الإقامـة كفايته وزيادة وأحسن له ، ولما حضر مولانا السلطان إلى القلعة في الميدان سأله عن أخبـار القـوم، فذكر أنهم في عدد عظيم يزيد على ثمانين ألف فارس من المغول والحشود، وأنهم يقصدون البلاد قولاً جازماً، ويركبون من منزلتهم في أول شهر رجب، فسمع السلطان كلامه، وحمل إلى مصر هو ومـن أسر معه[٤].

وكان وصول معلومات تفيد بأهمية بعض الأسرى عند الصليبيين سبباً في عدم فك أسرهم إلا بما يتناسب مع قَدْرهم وقد حدث ذلك عندما حضر رسول من عند الريدراكون ملك الفرنج البرشلوني يطلب من السلطان فك أسير من عندهم فأفرج عنه، ولكن سأل السلطان بعض الأسرى الذين كانوا معه فأخبروا السلطان أن هذا الأسير الذي أفرج عنه هو ابن ملك كبير، ولو أراد السلطان مقابل فك أسـره مركباً مليئًا بالذهب لحمله إليكم في فكه" فأمر السلطان بإعادته[٥].

وفي أثناء النزاع مع العثمانيين وقع أسيرٌ في يد المماليك فأخبر بأن الجيش العثماني في حالة إرهاق شديد لأن معظمهم قد جاء ماشياً على قدمه من الشام، كما أنهم وخيولهم عاجزون عن الحركة بسبب نقص الإمدادات[٦].

---

(١) Amatai: Mamluk Espionage, P. 170.

(٢) "حامل حرمدانه": وهي الحرمدان – أو الخرمدان – وهو لفظ فارسي معناه المحفظة الخاصة، التي يحمل فيها الفرد أوراقه ونقوده، ويقال لحقيبة الحلاق ـــ أيضاً ـــ حرمدان – المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٦٩٧.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٦٩٧.

(٤) بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية، ص٩٨؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٧١؛ العيني: عقد الجمـان، جـ٢، ص٢٧٠؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص٣٢؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٨٦؛ جيهان فـاروق: القـلاع والحصون، ص١١٧– ١١٨.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٩٥٠.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٩١؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٦١.

كما استخدمت الأسرى في تبليغ استعدادات جيوش المسلمين وتبليغهم بأخبار انتصار المسلمين عليهم كنوع من إحداث الرهبة في قلوب الأعداء وهو ما حرص عليه السلطان الظاهر بيبرس الذي كان يحرص كل الحرص على أن تصل أخبار استعداداته وتجهيزاته إلى العدو عن طريق أسراهم الذي كان يأسرهم جيشه أثناء المعارك، مثلما حدث عندما استعرض الجيش أمام قسطلان – أو متولي قلعة يافا الذي أطلق سراحه بعد ذلك(١).

وعندما دخل المماليك إلى دمشق منصورين عام ٧٠٢هـ/١٣٠٣م ، قاموا بتسريح واحد من أسرى المغول إلى بلادهم ليخبرهم بما تم من انتصار المماليك ودخولهم إلى دمشق(٢) كما استخدمهم السلاطين في تلمس أخبار الأعداء، وحدث ذلك عندما عفا السلطان الظاهر بيبرس عن أحد الأسرى الصليبيين الذي تم أسره من صفد، واستخدمه في التعرف على أخبار الجيوش الصليبية(٣).

وكان أسرى المسلمين ـــ الذين كانوا مأسورين لدى الأعداء واستطاعوا الفرار منهم أو الهروب والرجوع إلى معسكر المسلمين ـــ مصدراً مهماً من مصادر جمع المعلومات لدى سلاطين الأيوبيين والمماليك وذلك من خلال ما رأوه وشاهدوه عند الأعداء.ففي عام ٥٨٧هـ/١١٩١م وصل الأمير شيركوه بن باخل الزرزاري الذي كان مأسوراً في عكا عند الفرنج ولكنه استطاع الهرب وجاء إلى السلطان وأخبر السلطان ببعض الأشياء البالغة الأهمية ، وهي أن سيف الدين المشطوب ضيق عليه، وأنه قطع عن نفسه قطيعة عظيمة من خيل وبغال وأنواع أموال، وأن ملك الانكتار أتى عكا، وأخذ كل من كان له بها من خدمة ومماليكه وأقمشته، ولم يبق له فيها شيئاً، وأن فلاحي الجبل يمدونه بالميرة مداً عظيماً، وأخبر أن طغرل السلاحدار أحد خواص مماليك السلطان – قد هرب قبل هروب شيركوه(٤) ، كما قام الأسرى بهذا الدور في الأعوام الآتية :في عام ٥٨٧هـ/١٢٩١م(٥) ، ٦٠١هـ/١٢٠٤م(٦)، ٦٦٠هـ/١٢٦٢م(٧).

---

(١) حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م، ص٢٩٤.

(٢) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٤٦.

(٣) أنور زقلمة: المماليك في مصر، القاهرة ، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م، ص٤٤.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٩١.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية،ص٢٩٤.

(٦) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد داود، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠م، ص٥٢.

(٧) ابن أيبك الدواداري: الدرة الزكية، جـ٨، ص٩٢- ٩٣؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٧٤.

٦٦٤هـ/١٢٦٦م[١]، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م[٢]، ٧٩٦هـ/١٣٩٧م[٣]،٨٠٣هـ/١٤٠٠م[٤] ٨٢٨هـ/١٤٢٥م[٥]، ٩٢٢هـ/١٥١٦م[٦].

واعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على أسرى الأعداء في التعرف على أخبار بلادهم واستخدم الصليبيون والمغول أسرى المسلمين في التعرف على أخبار المسلمين أيضاً، وهو ما حدث عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما أُسر برهان الدين المنجم من معسكر المماليك ، فأحضروه إلى قازان واستطاع قازان أن يعرف منه بعض أخبار المعسكر المملوكي[٧]،وقد تمكنوا من التعرف على المعلومات من الأسرى في الأعوام التالية :عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م [٨]،٧٠٢هـ/١٣٠٣م [٩].

٤- التجار والمسافرون:

يعد التجار من أهم مصادر جمع المعلومات عن الأعداء ونقلها إلى سلاطين الأيوبيين والمماليك وذلك لأنهم كانوا يترددون على سواحل البحر الأبيض المتوسط والأسواق الموجودة في بلاد الأعداء، وكذلك العديد من المراكز التجارية التي كانت لهم في مصر وأرمينيا الصغرى والمواني يعودون ومعهم أخبار جديدة مفيدة عن الأحداث والتطورات التي تجرى في بلاد الأعداء، والبلاد الصليبية على ساحل البحر المتوسط، كما أنهم كانوا يتجولون في أسواق المقاطعات المغولية، ثم يحصلون على هذه المعلومات في سهولة ويسر لأنهم لا يثيرون شبهة لدى الناس[١٠].

---

(١) العيني: عقد الجمان، جـ١، ص٤٢٤- ٤٢٥.

(٢) المقريزي: جـ١، ق٣، ص٩٣٥- ٩٣٦؛ العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٤٠.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج٤، جـ٧، ص١٢٤.

(٤) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص٢٨٨.

(٥) ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص٨٢.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٧٤- ٨٤؛ رزق محمد: دور العلماء في مصر، ص٢٣٨.

(٧) العيني: عقدا الجمان، جـ٤، ص٢٨- ٢٩.

(٨) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص١٥٢.

(٩) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٣٧.

(١٠) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص٥٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٢٧؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص٣٣ ؛

Abdul – Aziz Khowaiter: Baibars the first, London 1978, P.41
Amita: Mongols and Mamluks, P. 144

وقد وصلت أخبار واستعدادات الحملة الصليبية السابعة ــ التي اتجهت إلى مصر ــ إلى السلطان الصالح أيوب ــ في بعض الأقوال ــ عن طريق أحد التجار الذي جاء إلى السلطان وأعلمه عن تحركها نحوهم وقصدها لسواحل دمياط(١).

كما وصل بعض التجار من عكا في عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وأخبروا السلطان بأحوال عكا أحوال المسلمين بها وكيف يعاملون فقرر السلطان ــ بناءً على هذه الأخبار التحرك صوب عكا(٢)،أما الاستعدادات التي قام بها بطرس لوزجنان بقبرص، وذلك للقيام بغزو الإسكندرية كانت قد وصلت إلى مصر عن طريق التجار الذين كانوا يترددون على قبرص ويعودون إلى الإسكندرية(٣).

وفي عام ٨٧٦هـ/١٤٧١م وصلت أخبار من التجار إلى نائب ملطية المملوكي الأمير قرقماس الصغير تفيد بأن "سوار" في عدد قليل من عسكره، مما دفع الأمير قرقماس إلى مهاجمة سوار والقتال معه وتمكن من هزيمته وفر سوار(٤).

وكان للتجار دورٌ آخر غير جمع الأخبار عن الأعداء وهو استخدامهم في تكوين شبكات سرية داخل أراضي الأعداء وهو ما سوف نتحدث عنه في هذا الفصل في نقطة الشبكات السرية والأعوان، ونذكر هنا ما قاله المقريزي(٥): "... إن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أعطى يونس التاجر مالاً كثيراً، وبعثه إلى توريز ليتخذ له بها أصحاباً يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية فيأووا عنده، وعرف يونس بمقاصده..."

أما الصليبيون والمغول فقد استخدموا التجار الذين كانوا يترددون على الشرق بغرض التجارة في عملية التجسس وكتابة التقارير الوافية عن أحوال الشرق وما يدور في الشرق من أحداث، فنجد أن جنكيزخان كان قبل أن يتوجه إلى مكان ؛ليغزوه كان يجمع المعلومات من التجار عن أحوال هذه المنطقة وأحوال الطرق والجسور وكل شئ عنها(٦) ، وفي عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م قدم إلى القاهرة تاجر جنوي يدعى كليام، وكان عيناً للفرنج يطالعهم بأحوال الأيوبيين وما يحدث بها(٧).

---

(١) جميل جمول: مصر والحروب الصليبية،رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة دمشق،٢٠٠٤م، ص٢١٤.

(٢) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٣٢٥.

(٣) سعيد عاشور: مصر والشام، ص٢٣٨- ٢٣٩؛ قبرص والحروب الصليبية، ص٥٣- ٥٤.

(٤) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، رسالة ماجشستير غير منشورة، آداب حلوان، ٢٠٠٢م، ص٧٧.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٥٤.

(٦) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عهد السلطان برسباي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٥٩م، ص٢٧٦؛ نور الدين خليل: سيف الدين قطز، ص١٦١.

(٧) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص٦٤؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٧٣.

والبعثة التجارية التي جاءت إلى مصر عام ٨٠٤هـ/١٤٠١م، والبعثة الثانية التي جاءت عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م والتي كانت بقيادة جلبرت دي لانوى، دوّنَ قائدها كل ما شاهده في الشرق من معلومات دينية واستراتيجية(١).

ونتيجة لاحتكار المماليك للسلع التجارية كان التجار الأجانب – أحياناً – يعودون إلى بلادهم دون أن يشتروا شيئاً منها لارتفاع ثمنها. مما جعلهم يفكرون فى الاتصال بالحبشة وتقوية الرابطة معها والقيام بعملية التجسس على الشرق ومحاول إرسال تقارير عن الشرق رغبة منهم في السيطرة على مصر(٢)،وهو ما قام به التاجر الكارمي علي التبريزي في عهد السلطان المؤيد شيخ من الذهاب إلى الحبشة ثم إلى أوروبا وقام بالاتفاق معهم على غزو مصر حتى أنه حدد ملابس الجنود وكل شئ معهم ولكن عندما عاد إلى الإسكندرية تم القبض عليه(٣).

أما المسافرون فقد لعبوا دوراً مهماً في تزويد الدولتين بالمعلومات عن أخبار الأعداء واستعداداتهم، وقد تيقن السلاطين من خطورة هذه الفئة ؛فأصدروا نداءات بمنع المسافرين من السفر إلى أي منطقة وذلك أثناء النزاعات التي كانت تدور وذلك حتى يحدث نوع من تعمية الأخبار عن المخالفين والأعداء، ففي عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م نودي بالقاهرة وظواهرها بأن لا يسافر أحد إلى البلاد الشامية، وهدد من يقوم بالسفر إليها بالقتل، وكان القصد بذلك تعمية أخبار مصر وأحوالها عن الأعداء(٤).

٥- قبائل العربان والتركمان:

اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على قبائل العربان عربان الطاعة (العربان الذين كانوا فى طاعة السلطان) في عمليات التجسس لحسابهم على الأعداء، والذين كانوا يقومون بالتغلغل داخل دول الأعداء والقيام بالتعرف على أحوالهم وجمع المعلومات عنهم وإبلاغها إلى السلاطين(٥).

وإدراكاً من السلاطين بأهمية العربان قاموا بعقد اتفاقيات معهم للقيام بهذه المهام، ونذكر منها – على سبيل المثال – الاتفاق الذي أبرمه السلطان الظاهر بيبرس مع شيوخ قبائل الخفاجة والعايد عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م وكان الاتفاق من أجل أن يضعوا أعينهم على المغول ويقوموا بمراقبتهم، لأن موقعهم

---

(١) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص٢٧٧.

(٢) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص٢٧٦.

(٣) سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص٣٠٦.

(٤) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٤٧؛ المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٥٧٤.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية ، ص٤٠؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص٣٨٨.

كان يسمح لهم بالتوغل في بلاد الأعداء، دون أن يشتبه فيهم، وكذلك الأمر موافاته بالأخبار، وكانوا حلقة وصل بين جواسيسه في الشام وبين جواسيسه في بلاد إيران وكان عن طريقهم يتصل بحاكم شيراز في إيران[1].

وكانوا يأخذون عهوداً على أمراء العربان بمعرفة أخبار العدو ، فقد ورد في وصية لأمير من العربان :" ...واستعلم أخبار الأعداء في طليعة كل صباح..."[2] ، وجاء في تقليد آخر لفضل بن عيسى أمير عرب آل فضل عام ٧١٢هـ/١٣١٢م" ...وليكن لأخبار العدو مطلعاً ، ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعاً "[3].

وقد قامت قبائل العربان بمراقبة أخبار العدو وتحركاته وإبلاغ السلاطين بها[4]؛ ففي عام ٥٧٥هـ/١١٧٩م جاء أحد العربان إلى السلطان صلاح الدين ، وأخبره أن الصليبيين قد عبروا نحوه وهم يقصدونه[5]، وفي عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م وصل أحد التركمان إلى السلطان الظاهر بيبرس وأبلغ أن أبغا عاد إلى بلاده خائفاً عندما علم بخروج السلطان بيبرس لملاقاته[6] ، وتكرر حدوث ذلك في عام ٦٩١هـ/١٢٩١م[7]، ٦٩٩هـ/١٢٩٩م[8] ، ٧٠٢هـ/١٣٠٣م[9] .

وكما كان هؤلاء العربان يقومون بجمع أخبار الأعداء وإرسالها إلى السلاطين لمواجهتهم نجد أنه كان لهم دورٌ آخر وهو القيام بتبليغ السلاطين بأخبار الأمراء الخارجين عليهم والذين ينوون القيام ضدهم بثورات ، في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م أثناء النزاع الذي كان بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون والمظفر بيبرس الجاشنكير عهد السلطان الناصر إلى العربان بمهمة تتبع أخبار المظفر منزلة بمنزلة

---

(1) عبد العزيز خويطر، الملك الظاهر بيبرس، ص٥٦ ؛
Amatai: Mamluks and Mongols, P. 145.

(2) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف، ص ١٤٧؛ أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٧م، ص ١٨٨.

(3) القلقشندي : صبح الأعشى، جـ١٢، ص ١٢٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي ، ١٤٩.

(4) أكرم حسن: نيابة دمشق، ص٢٦٥؛ كمال بدور: حلب في العصر المملوكي، ص١٣٠.

(5) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق وسر الخلائق، ص٤٢.

(6) الكتبي: عيون التواريخ، ج٢١، ص١٣١.

(7) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١١٤.

(8) المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٨٨٦.

(9) العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٢١٨- ٢٢١- ٢٢٢.

فقام العربان بمهمتهم على خير وجه وأبلغوا السلطان بكل تحركاته[١] ، وقام العربان بهذا الدور في الأعوام الآتية في عام ٧٢٤هـ/١٣٢٥م[٢] ، وفي عام ٧٤٣هـ/١٣٤٣م[٣].

ومثلما استخدم الأيوبيون والمماليك العربان كعيون على المغول والصليبيين ليقوموا بتبليغهم بأخبارهم وجدنا المغول والصليبيين استخدموهم للتعرف على أخبار الأيوبيين والمماليك. وهو ما حدث في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م عندما ذهب اثنان من البدو إلى ملك الانكتار بعكا وأخبروه بقلة عدد جند المسلمين[٤]، وكذلك أعلموه بتحركات عسكر المسلمين لحظة بلحظة و أخبروهم أن عسكر المسلمين قد تفرق للشرب، فسار الانكتار الملعون نحوهم وتفقد أحوالهم في صورة عربي ثم أغار عليهم[٥].

ونظراً للدور الذي قام به العربان كجامعي معلومات للدولتين الأيوبية والمملوكية ، قام السلاطين بمنحهم الكثير من الأموال والهدايا والإقطاعات الكثيرة[٦]؛ وهو ما قام به السلطان صلاح الدين في عام ٥٨٢هـ/١١٨٦م عندما قام بتخفيض ما كان يجبى من العربان إلى العشر وتخفيض عدد فرسانهم[٧]، وقد أنعم السلطان الظاهر بيبرس على عرب خفاجه بالإقطاعات الجزيلة نظير ما كانوا يقومون به وكذلك عندما يفدون إلى البلاد كان يتم الترحيب بهم[٨].

٦- رجال الدين:

كان رجال الدين المسلمين والمسيحيين واليهود مصدراً مهماً من مصادر جمع المعلومات، ونقلها سواء للمسلمين أو لأعدائهم، وقد تم الاعتماد عليهم مستغلين صفاتهم الدينية حتى لا ينكشف أمرهم[٩]؛فقد استطاع السلطان صلاح الدين عن طريق أحد رجال الدين المسلمين ــ ويدعى الواعظ زين الدين علي بن نجا ــ معرفة ما كان يحاك ضده من مؤامرة، واستعان بأحد النصارى للذهاب إلى

---

(١) ابن أيبك الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص١٧٧- ١٩٨؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٤٩.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٨١.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٦٣٠.

(٤) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١٤٠.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٧٢-٣١٧.

(٦) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٤.

(٧) ابن الفرات: تاريخ بن الفرات، مج٤، جـ٢، ص٦٦؛ محمد فتحي عوض: إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة ١٩٧٦م، ص٤٧.

(٨) Amatai: Mamluk and Monolgs, P.145.

(٩) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٩؛ المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة، القاهرة ١٩٩٥م، ص١١-١٢؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص٦٢.

رياضي العدو لكي يتعرف منهم على أخبار المؤامرة في الخارج، كما استطاع عن طريق كاتب يهودي أن يتعرف على مؤامرة مؤتمن الخلافة ضده [1].

وفي عام ٦٢٣هـ/١٢٢٦م استطاع أحد الرهبان أن يدخل إلى بلاد الفرنج ويجمع المعلومات ويتجسس على الإمبراطور فريدريك الثاني ويخبر الملك المعظم بأنه يريد غزو الشام [2]، وفي عام ٩٠٢هـ/١٤٩٧م جاء الشيخ عبد المؤمن العجمي وأخبر أن السلطان ابن عثمان عدل عن حرب مصر [3].

واستعان الصليبيون والمغول والعثمانيون برجال الدين للوقوف على أحوال وأخبار الأيوبيين والمماليك، وهو ما حدث في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م عندما قُبِضَ على أحد النصارى ومعه كتاب من والي القدس إلى صلاح الدين يذكر فيه أعواز البلاد للغلة والعدة والرجال وكان هذا النصراني يريد حمل هذه الرسالة إلى العدو ؛فقبض عليه[4].

وفي عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م أخبر أحد النصارى المقيمين في دمياط ـــ ويدعى جرجس بن ضو ـــ الفرنج بأن هناك مجموعة من أهل دمياط قد ركبوا البحر يريدون جهادكم وعلى أساس هذه الأخبار استعد الفرنج لهم وقاموا بالقضاء عليهم وأخذ المراكب منهم[5].

وبالتالي أدرك سلاطين الأيوبيين والمماليك خطورة رجال الدين وخاصة المسيحيين واليهود منهم وذلك لعملهم كجواسيس للأعداء فنجدهم كانوا يعطون عقود أمان لأهل الذمة بشرط ألا يعملوا جواسيس للعدو وكذلك لا يؤووا جواسيس في منازلهم وكنائسهم. وفي حالة ذلك يتم نقد عهد الأمان لأهل الذمة.

٧- العبيد والرقيق والخدم:

كان العبيد والرقيق والخدم يقومون بأعمال التجسس ويعدون ضمن مصادر جمع المعلومات، فهم يقعون في نهاية السلم الاجتماعي، وأعمالهم في الغالب تقتصر على توفير الراحة لأسيادهم، وربما كان ذلك لوجودهم داخل القصور، فهم أقرب إلى الحصول على المعلومات الخاصة.

---

(1) فاطمة عبد اللطيف أحمد: معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب إسكندرية ١٩٩٧م، ص٢٨٦؛ أ. س.ترتون : أهل الذمة في الإسلام، ط٣، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م ، ص ٢٩.

(2) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣٩.

(3) عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٢٥- ٢٢٦.

(4) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤.

(5) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٧٠- ١١٧١؛ قاسم عبده: أهل الذمة، ص١٨٧.

وكانت مهمتهم الأساسية إحاطة السلطان بما يجري داخل القصور وما يدبر من مؤامرات وكل ما يهمه مما يتصل ببلاده من خير أو شر[١]، وهو ما حدث عندما تولى السلطان صلاح الدين الوزارة قام بدس خصي أبيض يدعى بهاء الدين قراقوش، حيث كان لا يجري شئ في قصر الخلافة الفاطمية إلا ويطلع صلاح الدين عليه[٢].

واستطاع الناصر محمد بن قلاوون أن يتعرف أخبار سيف الدين ألماس[٣] الحاجب من خلال عبد دسّه عنده ،فأخبره بالذين يحضرون إليه ،وكان معظمهم من أولاد الأمراء وكان يفعل معهم الفواحش[٤].

إلى جانب ذلك كان بعض الأمراء يستغلون وجود بعض الجواري لدى السلاطين كعيون لهم على هؤلاء السلاطين، وذلك للوقوف على كل ما يحاك في القصر السلطاني من مؤامرات ضدهم ورصد حركات السلاطين وأتباعهم[٥]، وهو ما حدث عام ٧٦٢هـ/١٣٦٠م عندما بلغ السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون أن الأمير يلبغا الخاصكي كان يريد قتل السلطان، وأنه لا يدخل إلى خدمة السلطان إلا وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه. فاستدعاه السلطان ونزع عنه ثيابه كلها، ثم كتفت يداه، فشفعت فيه إحدى جواري السلطان وكانت من حظايا السلطان، فأخلى سبيله وخلع عليه، فلم يكن من الأمير يلبغا إلا أن أشتد حنقه على السلطان وأظهر العصيان، وألبس مماليكه آلة الحرب، فلما علم السلطان بذلك قرر أن يخرج إليه في طائفة من مماليكه ليكبسه على غرة ويأخذه من مخيمه، إلا أن الخبر وصل بذلك إلى الأمير يلبغا من تلك الجارية التي شفعت فيه، مما كان سبباً في زوال ملك هذا السلطان[٦].

---

(١) محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص١٥٧– ١٥٨.

(٢) صلاح مهران: الحركات السياسية والدينية في مصر خلال العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنيا، ١٩٨٢م، ص٣٢٥.

(٣) سيف الدين ألماس الحاجب : هو الأمير سيف الدين ألماس الناصري الحاجب أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ترقى فى الخدم حتى صار من أحد كبار أمراء الدولة ،وأصبح حاجباً ثم بعد ذلك ترقى إلى منصب نائب حلب ،ولكنه لم يسم بالنائب ،حنق عليه السلطان وحبسه بقلعة الجبل ، وظل بها حتى توفي عام ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م ،وكان لا يعرف العربية .المقريزي : المقفى الكبير ؛ تحقيق محمد البعلاوي ،بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،١٩٩١م، ص ٢٩٢_ ٢٩٣.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص١٩٦.

(٥) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٥٠٢.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٦٠– ٦١ ؛ علي السيد: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م، ص٦٤– ٦٥.

وكان في خدمة الملك الظاهر برقوق غلام من أهل الكرك يقال له عبد الرحمن فنـزل إلـى جماعة من أوغاد المدينة، وأعلمهم أن الشهاب حضر لقتل الملك الظاهر، فأنفوا من ذلك، وقاموا إلـى القلعة، وهجموا على الشهاب وقتلوه[1].

ويضاف إلى ما سبق ما قام به أحد العبيد ــ الذين كانوا موجودين مع تاجر يدعى التبريـزي وذلك فى عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م ــ ويأتى دور هذا العبد فى إخبار السلطان بأن هذا التاجر توجـه مـن الحبشة إلى بلاد الفرنج لكي يحرضهم على حرب المماليك وأرشد هذا العبد السلطان على كل ما قـام به فأحيط بمركبه، وحمل هو والراهبان وجميع ما معه إلى السلطان[2].

٨- المتطوعة وعامة الناس:

قد يتحول أفراد المجتمع بفعل الشعور بالمسئولية إلى عيون متطوعة ترصد أخبـار الأعـداء والمتآمرين، وتكشف عن أعمالهم الخفية، وقد كان هؤلاء يزودون القيادة بمعلومات مهمة عن العـدو وكذلك عامة الناس كانوا أحد المصادر التي تستقى منها المعلومات عن القوى والجماعـات والأفـراد الذين يراد الاطلاع على أخبارهم وأحوالهم.

ففي عام ٧٢٠هـ/١٣٢٠م أخبر أحد العامة والي القاهرة بوجود بعض الفداوية؛ فاكتشفوا أنهـم جاءوا لقتل السلطان فتم القبض عليهم[3].

٩- الشبكات السرية والأعوان:

لقد أدرك سلاطين الأيوبيين والمماليك مدى أهمية التغلغل داخل أجهزة العدو للحصول علـى كل ما يهمهم معرفته عن أعدائهم سواء المغول أو الصليبيين، كما أنهم نوعوا في وسائل التغلغل حتى يضمنوا تدفق المعلومات إليهم[4].

ومن الأساليب التي لجأوا إليها، تشكيلهم "شبكات سرية" من رعايا الدولـة التـي تعـد هـدفاً لعملياتهم هذه، حيث تجئ هذه الشبكة بالمعلومات وتقدمها للأشخاص الذين يقومـون بتوصـيلها إلـى

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٦٥٧.

(2) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٧٩٦؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص١٤٩- ١٥٠

(3) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق١، ص٢٠٨- ٢٠٩؛ علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ٢٠٠٢م، ص١٩؛ سمير حامد محمد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا ٢٠٠٦م، ص١٢٩.

(4) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر، ص٦٠.

السلاطين، وهؤلاء الأعوان أو العملاء قد يقيمون إقامة دائمة أو مؤقتة في هذه الدولة(1)، حيث إنهم كان لهم أعوان من بين الصليبيين يراسلونهم باستمرار، ويخبرونهم بكل ما يحدث عندهم من استعدادات، بل إن الأمر تعدى ذلك فكان هؤلاء الأعوان يخبرونهم بكل ما يستجد من أحوال أمراء الغرب الأوربي(2).

وكان من هؤلاء الأعوان الفرس الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي كله، والذين لاقوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد والتشريد، فقوى موقفهم مما ساعدهم على الاتصال بالمماليك في مصر وإخبارهم أولاً بأول بكل تحركات المغول(3)، ومنهم أيضاً أهل العراق الذين عملوا لهم كأعوان بالإضافة إلى تأييد ومؤازرة الكثير من أمراء البلاد الذين كانوا مكرهين على طاعة المغول والذين كانوا يعتقدون أن خلاصهم من هذا الحكم لن يتم إلا بالتعاون مع الأيوبيين في بلاد الشام والمماليك في مصر(4)، كما اهتموا أيضاً بإرسال أعوان مسلمين إلى أراضي العدو للقيام بتكوين شبكات سرية عندهم لاطلاعهم على تحركات العدو وأخبارهم(5).

وقد ظهر دورهم في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما قام أحد عملائه وأعوانه في بلاد الفرنج وأعلموه بالهدف الحقيقي من وراء زيارة رسل أموري إلى بلاده وهو الاتصال بالمتآمرين(6)، وكذلك الأمر عندما قام الملك المعظم عيسى بتكوين شبكة سرية من الجواسيس النساء في أرض العدو وكانت تكشف له كل تحركات ومخططات العدو حيث إن (فريدريك الثاني) لما عزم على غزو الشام بغتة أرسل فارساً من لدنه يستطلع له الأخبار، فقامت أحدى نساء هذه الشبكة بالاتصال بهذا الفارس ،وأخذت تقيم معه علاقة وتلاطفه وتتودد إليه حتى جعلته عميلاً معها داخل الشبكة، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من الإمبراطور حمله إليها فترسله إلى المعظم مختوماً كما هو(7).

---

(1) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص140؛ علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص387.

(2) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص145.

(3) علي السيد: الإسهام العسكري المصري، ص387- 388.

(4) محمود إبراهيم شلبيه: علاقات المغول بسلطنة المماليك في مصر والشام، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة 1979م، ص78.

(5) وفاء محمد إبراهيم: ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب المنيا 1998م، ص68.

(6) نيكتا أليسيف: السلطان نور الدين محمود بن زنكي، ترجمة سليم قنديليب، دققه وراجعه علي القيم، دمشق، ألف باء – الأديب ، 1998م، ص402.

(7) النويري: نهاية الأرب، ج29، ص145- 146؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص77.

واستطاع السلطان الصالح نجم الدين أيوب أن يجعل من فردريك الثاني أحد أعوانه في الأراضي الصليبية ليخبره بتحركات الحملة الصليبية السابعة وكذلك الاستمرار في نقل أخبار الحملة وتحركاتها إليه[1]، وفي عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م بلغ هلاون أن بلاد العراق فيها جماعة من الأجناد والأتراك قد استخفوا، وتزيوا بزي الفقراء والفقهاء، وانقطعوا بالمدارس والروابط، وأنهم في كل مدة يتسللون الجماعة بعد الجماعة إلى الديار المصرية[2].

كما عمل سلاجقة الروم كأعوان للمماليك ضد المغول فكانوا يقومون بموازرة المماليك ويطلعونهم على أخبار تحركات المغول والوقوف إلى جانبهم بالعدة والعتاد، وكان الأمير معين الدين سليمان البروناه أحد أعوان المماليك أيضاً ،وكان يزودهم بأخبار المغول وحركات جيوشهم التي كان قد أعدها أبغا لمهاجمة الشام، كما دعا هؤلاء الأمراء السلطان الظاهر بيبرس للهجوم على بلادهم ووعدوه بكل عون ومساعدة، وكان ثمرة ذلك معركة الأُبلستين في آسيا الصغرى التي أبيد فيها الجيش المغولي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م[3].

وكان مجد الدين السلامي رئيساً لشبكة سرية للدولة المملوكية داخل الأراضي المغولية في فارس لإيواء العملاء من الفداوية لتنفيذ المخططات المملوكية ضد الأعداء ولجمع الأخبار عنهم[4].

أما الدور الآخر للشبكات السرية والأعوان الموجودين في بلاد الأعداء كان مساعدة الدولة على كشف جواسيس الأعداء الموجودين داخل الأراضي الإسلامية، وذلك عن طريق المعلومات التي يرسلها أفراد هذه الشبكة التي تقيم بصفة دائمة بين صفوف العدو، وفيها كل ما يختص بالمعلومات التي تسهل القبض عليهم من خلال أوصافهم ورصد تحركاتهم واتجاهاتهم. ، وهو ما حدث أيام السلطان الظاهر بيبرس عندما قام بالقبض على شبكة جواسيس للمغول تتكون من ثلاثة عشر أميراً كانوا يراسلون المغول ويحرضونهم على غزو البلاد[5]،ولإدراك المغول لخطورة هؤلاء الأعوان كانوا يبطشون بكل من حامت حوله الشكوك والشبهات في الاتصال بالمماليك[6].

---

(1) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٤، ص٢٤٧ ؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص٢١٤- ٢١٥.

(2) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٢٠٨ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٩.

(3) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٥، ص٣٢٣- ٣٢٤؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٨- ٧٩.

(4) تشارلز ميلفيل: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق ، دار المدى للثقافة ، ١٩٩٩م، ص٢٦٤.

(5) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٣، ص٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢١٥؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة١٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٦٨؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص١٣٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٠.

(6) محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٩.

ولكن على الجانب الآخر كان الأعداء عندما يدخلون أي منطقة يتخذون جماعــة مــن أهلهـا أعواناً لهم داخل شبكات سرية تمدهم بالمعلومات عن الأيوبيين والمماليك[1]، وهو مــا حــدث عـام ٦٤١هـ/١٢٤٣م عندما استطاع الفرنج من جعل الأميرين الناصر داود والصالح إسماعيل أعواناً لهم على الملك الصالح نجم الدين ،وقاما بمساعدتهم على أخذ القدس[2].

واستطاع سليم الأول العثماني من جعل الأميرين خايربك وجان بردي الغزالي أعوانــاً لـه يخبرونه بأحوال المماليك وينفذون خططه داخل أراضي المعركة ضد المماليك لصالح العثمانيين[3].

رابعاً: وسائل وطرق نقل المعلومات:

أما بالنسبة للمعلومات التي جُمعت على يد عمال التجسس وغيرهم من جــامعي المعلومـات سواء في ميادين المعارك البرية أو المعارك البحرية أو المصادر الأخرى الموجــودة خــارج ميــدان المعارك فكانت لابد وأن ترسل هذه المعلومات المجموعة إلى السلاطين في أسرع وقت ممكن، ولهذا تم الاعتناء من قبل سلاطين الأيوبيين والمماليك بهذه الوسائل عناية فائقة بل أكثر من ذلك أنهم قــاموا بتنويعها وتطويرها والاهتمام بها وذلك حفاظاً منهم على سرعة وصول هذه الأخبار في أسرع وقــت ومن هذه الوسائل ما يأتي:

١- سفن البريد والسهام:

أما سفن البريد فكانت إحدى وسائل نقل المعلومات إذ كانت تنقل الأخبار في الأنهار والمجاري المائية فإذا كانت البلاد بحرية فكان يتم استخدام مراكب خفيفة سريعة[4]، حيــث إن الرســائل كانــت توضع أحياناً في ورقة تعلق بقصبة، وتغرس القصبة في باقة من حشيش (عشب) وتلقى فــي المــاء، فيعوم الحشيش، ولا يزال جارياً بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه[5].

وفي بعض الأحيان كانت توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الغلق، ويجعل ثقله متوازنــاً، بحيث لا يطفو على وجه الماء، ولا يغرق في قاعه، بل يكون متوسطاً بينهما منعاً لظهوره، ثم يلقــى

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٣٢؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٦.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٣١٤- ٣١٥.

(٣) عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩١.

(٤) محمد ضيف الله بطاينه: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ١، ص١٥٣؛ عارف عبد الغني: نظم الاستخبارات، ص١٣١؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٥.

(٥) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، جـ٢، ص٣٠٧؛ جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي جـ١، بيروت ، دار مكتبة الحياة ،١٩٦٨م، ص٣٠٧؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٥- ٣٠٦.

في النهر فيندفع بالماء نحو المركز التالي، حيث يقع في شباك أعدت خصيصاً له[1]، وكان الاعتماد على هذا النوع ضعيفاً، ولا يلجأ إليه إلا إذا كانت الطرق البرية صعبة الاجتياز أو خطرة طويلة[2].

ومن هذه الوسائل أيضاً السهام وهي أن تكتب الأخبار على السهام وترمى إلى المكان المراد إرسال الخبر إليه، ويغلب أن يكون ذلك في أيام الحصار وانقطاع السبل[3].وكان الورق الذي يعلق بالسهم يسمى بـ "الملطفات"؛ وهي عبارة عن أوراق، تكتب بخط رقيع، ويشملها الخط الشريف، بقلم الملطفات، ويكون مكتوبًا فيها ما يقصده السلطان من الأمور، ويلف كالبطاقة -، ويربط الملطف على سهم في نشاب، ويرمى به إلى أعلى القلعة، فيقع عليه من يأخذ السهم الموجود على جدار القلعة، والكتاب الصغير المربوط به، فيوصله لنائب القلعة، فيعرف مضمونه ويعمل به[4].

واستعمل ذلك في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م عندما حضر إلى السلطان المنصور قلاوون بعض أجناد الحلقة، ومعهم نشابه فيها بطاقة مربوطة فحل رباطها – وكان مضمونها تحذير للسلطان بأن التتار قد علموا أن لديه خزنة كبيرة ويريدون السطو عليها – فشكر السلطان المرسلِ – هذا السهم المسرح، وأثنى عليه ثناءً جميلاً ،وتمنى أن يعرفه لكي يكافأه على ذلك [5].

وفي عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م أثناء حرب المسلمين مع الأفرنج على عكا رمي بسهم من القلعة وفي نصله ورقة مشدودة عليها بخيط، فوقع السهم في وسط المعسكر فأخذوه وأحضروه إلى السلطان، ففتح الورقة فوجد فيها مكتوب بالعربي، وكانت رسالة تحذير من أحد النصحاء لمعسكر المسلمين[6].

٢- الخيل والهجن والإبل:

تعد الخيل من وسائل نقل الرسائل لما تمتاز به من سرعة في سيرها للمسافات البعيدة ، ويقوم النقل بواسطتها بالتناوب على مراحل حيث تسير بسرعة قصوى في مرحلة وتسلم إلى آخر؛ فينطلق بها بسرعة أيضاً مسافة أخرى – وهكذا فتصل بمدة قياسية[7]، هذا وقد اهتم الأيوبيون والمماليك بالخيل والهجن، وأولوهما عناية فائقة ، وقد برعوا في اختيار الهجن الأصلية السريعة العدو، للاعتماد عليها

---

(1) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص١٤- ١٥؛ سعداوي: البريد، ص١٥٧؛ سعد أحمد: البريد المملوكي، ص٢١٠.
(2) أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ص٨٩- ٩٠.
(3) الكرودي: كتاب كشف الغمة، مخطوط، ورقة٢٩ ؛ جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، جـ١، ص٢٣٤.
(4) ابن كنان: حدائق الياسمين، ص٧٦.
(5) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٧٥- ٧٦.
(6) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٥٨- ٥٩.
(7) صبحي الصالح: النظم الإسلامية، ص٣٣١ ؛ سلامة الهرفي: المخابرات في الدولة الإسلامية، ص٢٤٤.

في نقل الأخبار[1]، فيقول شافع بن على[2] "... خيل البريد هي المقربة ما بين المسافتين، والطاوية لما طال من الشقتين والمحضرة غائبة أخباره، والمبينة عن كنة أسرار الملك وأسراره فليتقدم أمره العالي بأن لا يخل المراكز منها ولا طرفة عين، وأن تكون من الخيول المقصر سيرها بطول خطوته خطو البين"، هذا وقد أكد السلطان المنصور قلاوون على ضرورة اختيار الخيل الجيدة لكي تسير بالأخبار ولا يحضرون فرساً عجفاء ولا عاجزة[3].

أما الهجن فهي أسرع من الخيل وأصبر على السير من السعاة، وغالباً ما كان يجهز اثنان منهم في الأوقات الضرورية حتى يسهل وصول الأخبار بأقصى سرعة[4] فيقول في ذلك الرشيدي[5] "... كان الأيوبيون يستخدمون الهجن المنتخبة السابقة في نقل الأخبار وتوصيلها"، هـذا؛ وقـد سار المماليك على نهج أساتذتهم الأيوبيين؛ حيث نجد أن عدد الهجن المستخدمة في عصر دولة المماليك بلغت حوالي من ثلاثمائة هجين كانوا يخضعون لإشراف أمير أخور كبير[6].

وقد اعتنى السلاطين بهم ؛ فزودوا الطرق بمنازل ومحطات لهم، تتألف كل محطة في الغالب من خان ومسجد وسقاية وفيها دواب من بغال وخيل وإبل، ومن يتعهد بالخدمة والعناية بهم[7].

٣- التراسل بالنار والدخان:

جال المسلمون بنظرهم إلى الأمام قليلاً، وحاولوا متطلعين إيجاد طريقة أسرع من الحمام الزاجل وأسرع من الخيل والهجن وأسرع من سفن البريد لنقل الأخبار فلجأوا إلى نظام التراسل بالنار والدخان عن طريق بناء المناور وهي الأماكن التي توقد فيها النيران على قمم الجبال للإعلام بحركة المغول، وخاصة إذا كان الوقت ليلاً، أو عن طريق إثارة الدخان في نفس المكان إذا كان الوقت نهاراً، مما يعطي حق المبادرة للسلطان في استدراك تلك الحوادث الطارئة قبل حدوث ما لا يحمد عقباه[8].

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٤، ص٣٧٠؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٤٦- ٤٧.

(٢) الفضل المأثور، ص١٣٢- ١٣٣.

(٣) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٢١.

(٤) بطاينه: تاريخ الحضارة العربية، جـ١، ص١٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٩٤- ٩٥.

(٥) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٢٤.

(٦) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١٢٦.

(٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ٦، ص٥٦٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٤، ص٣٢٧؛ بطاينـه: تـاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ١، ص١٥٢؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٦.

(٨) العمري: التعريف، ص٢٥٩؛ الأنصاري: تفريج الكروب، ص١٢ ؛ سعداوي: البريد، ص١٥١؛ سند أحمد: البريـد المملوكي، ص٢١٤.

ولعل السبب الرئيسي في اهتمام سلاطين الأيوبيين والمماليك بهذا النظام هو أن الصليبيين والمغول عندما بدأوا في تهديد حدود الدولة، شرعوا منذ ذلك الحين في تخصيص بعض الأماكن العالية على رؤوس الجبال لإشعال النار فيها ليلاً، ولإثارة الدخان نهاراً لإعلام السلاطين بحركتهم إذا ما عاودوا دخول البلاد مرة أخرى سواء لحرب أو إغارة، وهذه المناور تارة ما تكون على قمم الجبال وتارة أخرى في مباني عالية كالأبراج ولها أماكن محددة اعتاد المسافرون المرور عليها، وهي من أقصى حدود دولتهم على نهر الفرات، ومروراً في سلسلة متصلة الحلقات حتى قلعة الجبل بالقاهرة(١).

وهذه المناور كانت لا تتطلب تقنيات فنية عالية؛ إذ كان يكفي جلوس المنورين في ظل صخرة، وبجوارهم كومة من الحطب الجاف جداً لإشعالها في الوقت المناسب، حالما يرصدون ظهور نار أو دخان في الأفق كشفرة سرية متفق عليها، فيقومون في الحال بنقلها إلى رأس الجبل التالي، وهكذا إلى أن تصل إلى أقرب نقطة لقلعة الجبل(٢).

وعلى هذا النحو كانت هناك رموز وإشارات متفق عليها بين جماعة المنورين عند نقل الأخبار من جهة إلى أخرى كاختلاف حال النار بين شدة توهجها وضعفه، وكتعدد مشاعلها في المكان الواحد، وطول وقصر فترة إشعال النار أو الدخان، فكانت الحالة الأولى تخصص للأخبار الحربية، والثانية للأخبار الداخلية وهكذا(٣).

وليس أدلُّ على أهمية المناور ــ كوسيلة من وسائل نقل الأخبار وتوصيلها بأقصى سرعة دوناً عن غيرها السابقة الذكر ــ من أن السلاطين كانوا يعرفون أخبار دولتهم وهم مقيمون بقلعة الجبل، لدرجة أن متجددات الأخبار التي تحدث حول الفرات في وقت الصباح كانت تصل إليهم بحلول المساء، ومتجدداتها في المساء تصل بحلول الصباح(٤)، أي إن الأخبار كانت تصل من حدود الدولة إلى العاصمة في يوم واحد(٥).

ولهذا نجد أن رئيس ديوان الإنشاء بمصر كان يتولى الإشراف عليهم، وكان نواب السلطنة يتعهدون برعايتهم وهو ما ذكرناه في الفصل السابق (٦).

---

(١) العمري: التعريف، ص٢٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٩٨؛ سعداوي: البريد، ص١٥١.

(٢) Sawaget: la post, P. 40 ; **syedahsadeque**: Development of Al – Barid, P. 183.

(٣) العمري: التعريف، ص٢٥٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٩٨؛ سعداوي: البريد، ص١٥٢.

(٤) العمري: التعريف، ص٢٥٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢١٧ ؛ **Hartmann**:politische, P. **504**.

(٥) الأنصاري: تفريج الكروب، ص١٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٤٠٠ ؛ قايد حماد عاشور: التنظيمات العسكرية المغولية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة ،آداب عين شمس، ١٩٧٢م، ص٢٣٧.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٤، ص٣٩٨ ؛ ج١١، ص٩٢.

كما كان الملك المعظم عيسى أثناء حربه مع الفرنج يرتب النيران على الجبال، من باب نابلس إلى عكا، فكان يعلم عدد الفرنج والمناطق التي يقصدونها عن طريق إرسال هذه المعلومات إليه بالنار[1].

وأثناء حصار الصليبيين لدمياط سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م لم يجد أهلها وسيلة في محنتهم للتراسل مع الملك الكامل سوى أنه كلما ضيق الصليبيون الخناق عليهم كانوا يصعدون إلى أعلى البرج ويوقدون النيران فيراها جنود السلطان فيعلمون أن أهل دمياط في ضيق فيهجمون على معسكر الصليبيين فيرتد هؤلاء عن محاربة المدينة ليحاربوا جنود السلطان[2].

٤- حمام الزاجل أو الزجّال:

الحمام ومفرده "حمامة، يطلق في اللغة على أنواع عديدة من الطيور تدخل في مجموعة واحدة وهي ذوات الأطواق" أي الحمامة التي في عنقها طوق[3]، وهو حمام الرسائل وقد عرف بالزجل أو الزاجل أو الزجال[4]، وكان هذا الحمام له مقدرة على الطيران لمسافات بعيدة في أزمان قصيرة، حيث كان بإمكانه قطع مسافة عشرين يوماً في يوم واحد[5]،

ويؤكد ذلك ما ذكره شافع بن علي[6]: "أن الحمام الزاجل كان يصل من بلاد الشام إلى القاهرة حاملاً الأخبار في يوم واحد".

هذا؛ويعد الحمام الزاجل من وسائل التجسس التي أحكم أمرها في أنظمة الجيوش الإسلامية، وخاصة في العصرين الأيوبي والمملوكي[7]، حيث نجد أنه لقي اهتماماً كبيراً من سلاطينهم واعتنوا به كثيراً، وذلك بسبب اتساع حدود المملكة، وازدياد الأخطار المهددة للبلاد وكثرة الغارات المغولية والصليبية،ولهذا اُستخدم في نقل الرسائل إلى المعسكرات الإسلامية وذلك لاتخاذ الحيطة والحذر أثناء

---

(1) ابن الحنبلي: شفاء القلوب، ص٢٤٤- ٢٤٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥.

(2) عبد الرحمن زكي: معارك حاسمة في تاريخ مصر "دمياط والمنصورة"، القاهرة،(د.ن)، ١٩٤٥م، ص٢٠.

(3) نبيل محمد عبد العزيز: الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، ع٢٢، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٤١.

(4) النيسابوري: السامي في الأسامي، تحقيق محمد موسى هنداوي، القاهرة ،(د.ن)،١٩٦٧م، ص٢٩٢.

(5) الأنصاري: تفريج الكروب، ص١٣؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٨٥.

(6) الفضل المأثور، ص١٢٠.

(7) أحمد رمزي بك: الحمام الزاجل، مجلة الرسالة، ع ٧٧،القاهرة، ١٩٤٨م، ص٣٨٣ ؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ط٣، دمشق ، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص١٤٦.

الحروب مع العدو[1].وكان له دور آخر وهو التجسس عليهم ؛ وذلك لأن هذا الحمام كان يوجد مع الجواسيس الموجودين على حدود الدولة مع الأعداء حتى إذا رأوا أو سمعوا أي شيء قاموا بتطيير الحمام بهذه الأخبار[2].

ولقد وضع العلماء والأقدمون الأسس والقواعد التي يجب مراعاتها عند اختيار الحمام الزاجل شأنهم في ذلك شأن تفرسهم في الخيل والناس والجواهر، وذلك لأن الطيور – كغيرها – تختلف في طبائعها اختلافاً شديداً، لذا كان على البراج أن ينتخب الحمام الجيد لنقل الرسائل[3]، ثم يبدأ تدريبه بعد انفصاله عن أبويه مباشرة على الطيران[4].

وكان الورق المستخدم في التراسل بالحمام يعرف بورق البطائق[5]؛ وهو نوع من الورق الشامي الرقيق جداً، كان فخراً لتقنية صناعته إبان تلك الفترة[6]، وكان حجم البطاقة من هذا الورق لا يزيد عن سلامية الإصبع[7]، وذلك حتى لا يثقل الحمامة.

وكانت الرسالة تكتب مختصرة خالية من البسملة ويكتب فيها لب الكلام وزبدته[8]، ونجد أن الرشيدي يقول في ذلك[9]: "…. وكانت الرسالة لا يكتب فيها الخبر كاملاً وإنما يلوح فيها بالضروري من الأمر لتقع لكي تحيط العلم بالأمر".

---

(1) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ1،القاهرة 1306هـ، ص237؛ أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، جـ1، ص88 .

(2) النويري: نهاية الأرب، جـ29، ص255؛ ماهر أحمد: صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، مكتبة الآداب، 2004م، ص31.

(3) ابن نقولا: مسابقة البرق ، ص55؛ نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص8؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص187.

(4) نبيل محمد: الحمام الزاجل، ص55 .

(5) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص10؛ سعداوي: البريد، ص142.

(6) السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـ2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،(د.ن) 1999م ، ص277؛ طوق الحمامة، تحقيق وتعليق وتقديم مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، 1987م، ص61.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ6، ص192.

(8) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص304.

(9) تفريج الكروب، مخطوط، ورقة20.

وكانت البطاقة تؤرخ بالساعة واليوم والشهر والسنة[١]، وكان يتم استخدام الحمام الأزرق اللون في نقل الأخبار[٢]، لتشابه لونه مع لون السماء، وبذا يختفي عن أنظار العدو[٣].

كما جرت العادة أيضاً ألا يسرح الحمام الزاجل بالبطائق أثناء الليل إلا إذا دعت الضرورة القصوى لذلك[٤]، ولا يطلق في الجو الماطر، ولا قبل أن يتم تغذيته الغذاء الكافي[٥]، ولزيادة الاطمئنان كانت الرسالة تكتب من صورتين وترسلان مع حمامتين، تطلق إحداهما بعد ساعتين من إطلاق الأخرى، حتى إذا وصلت إحداهما أو قتلت أو افترستها الجوارح أمكن الاعتماد على الأخرى في توصيل البطاقة، ولذلك كان يكتب في بطائق الحمام الزاجل "سرح الطائر ورفيقه" لتحقيق هذا الهدف المنشود[٦].

وكانت الحمامة عند وصولها إلى البرج الموجهة إليه يمسكها البراج، ويأخذ البطاقة من جناحها ويعلقها بجناح الطائر من حمامة البرج الذي يليه[٧]، وهكذا حتى ينتهي إلى برج المدينة التي فيها الشخص المرسل إليه فيأخذ البراج الحمامة والبطاقة في جناحها ويحفرها بين يديه خشية أن يكون في البطاقة سر ينبغي عدم إطلاع أحد عليه فيفك الرسالة بنفسه[٨].

وكانت البطاقة توضع أسفل الجناح لقوته ومقدرته على حفظها من المطر[٩]، وأغلب الظن أن تلك الطريقة تعد من أحسن طرق التراسل وأعظمها أمناً، إلا أن الرسالة لا تكون وافية بالمقصود

---

(١) كان البراج يكتب الساعة التي كتبت فيها البطاقة من ساعات النهار فمثلاً كان الشروق يمثل أول ساعات النهار، والغروب يمثل آخر ساعاته. انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٢٥٠- ٢٥١؛ المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٣٧٦؛ السيوطي: طوق الحمامة، ص٦٢.

(٢) العمري: مسالك الأبصار، ص٤٢ .

(٣) سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٩٤.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٢٥١ ؛ السحماوي: المقصد الرفيع، ص٤٠٧.

(٥) السحماوي: المقصد الرفيع، ص٤٠٧؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص٧٩.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١١٨- ١١٩؛ المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٣٧٦؛ السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٧٧ .

(٧) عبد الغني: العيون والجواسيس، ص٣٠٤.

(٨) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة٢٠.

(٩) المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٢٧٦ ؛ السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٧٦ ؛ طوق الحمامة، ص٦١ .

لصغر حجمها(١)، وكذلك كانت البطاقة تعلق في ذنب – ذيل – الحمام الزاجل(٢)، لأنها في هذا الوضع أصبحت آمنة "(٣).

وكان لهذا الحمام مطارات منتظمة هي: أوكارهـا، والمسافة بـين مطـار وآخـر كانـت أربعةفراسخ، وعين لها براجون أو حراس، برعوا في الاعتناء بشئونه وإطعامه وراحته(٤).

وقد ظهر دوره أثناء محاصرة الصليبيين لعكا عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م عندما أُستخدم فـى نقـل أخبار المحاصرين فى عكا إلى السلطان صلاح الدين (٥).

وعندما هجم أسطول صقلية على مدينة الإسكندرية في عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م قام الوالي بتسيير الكتب إلى صلاح الدين ليعلمه بالأمر ويستدعونه للدفاع عن المدينة(٦)، وقد واصل الحمـام الزاجـل نشاطه في عهد خلفاء صلاح الدين، حيث لعب دوراً مهماً في القضاء على المؤامرات الشخصية التي وقعت بين الأمراء، ففي سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م كان الملك الصالح نجم الدين أيوب يعرف أخبار الصالح إسماعيل أولاً بأول عن طريق أجنحة الحمام الزاجل(٧).

كما وصلت الأخبار من داخل حصن الأكراد على أجنحة الحمام الزاجل إلى الملك المنصـور قلاوون بأن المغول قرروا إرسال فرقة من جيشهم المهزوم إلى داخل طـرابلس للانقضـاض علـى مؤخرة الجيش المملوكي(٨).

وفي عام ٧١٢هـ/١٣١٢م عندما حاصر المغول الرَحبة كانت أخبارهم تصل إلى مصر علـى أجنحة الحمام الزاجل، ويخبرون بما هم فيه من شدة الحصار وعظيم القتال(٩)، وعندما حدثت فتنة في الإسكندرية عام ٧٢٧هـ/١٣٢٦م نقلت أخبار هذه الفتنة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون(١٠).

وقد علم الأعداء خطورة هذه الوسائل وما تسببه لهم من خسائر لأنها كانت تساعد في نقـل أخبارهم إلى معسكرات المسلمين في سهولة ويسر ؛ فبدأوا في إعاقة هذه الوسائل وحاولوا تعطيلهـا،

---

(١) نعمان أنطون: الطائر الغريد، ص٩؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٩٧.

(٢) المقريزي: الخطط، جـ٣، ص٣٧٦؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٩٧.

(٣) السيوطي: حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٧٩؛ طوق الحمامة، ص٦٥؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٩٧ "

(٤) حسن فرحات: الدواوين في العصر الأيوبي، ص٩٦.

(٥) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٣٩؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص٢٢٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٦٥؛ عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين ص٣٨٧.

(٧) ابن أيبك الدوادار: الدر المطلوب، جـ٧، ص٣٣٦ .

(٨) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٧٣.

(٩) ابن أيبك الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص٢٥٧.

(١٠) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٤٣؛ اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ٤٣٥.

وهو ما حدث عام ٧١٢هـ/١٣١٢م عندما قام الفرنج بنصب سبع حلقات، فإذا طار الحمام صدوه ورموه بالنشاب، ما سلم من الحلقة الأولى ما يسلم من غيرها[١].

وبالتالي دفع ذلك سلاطين الأيوبيين والمماليك إلى البحث عن طرق وأساليب يخفون بها عملية نقل الأخبار فلجأوا إلى طريق الاحتيال في إرسال المعلومات أو ما نسميه في عصرنا بالشفرات السرية.

وقد أورد لنا المعاصرون بعض طرق الاحتيال التي كان السلاطين يقومون بها لتوصيل رسائلهم، فكان من أبرزها استخدام الملطفات: والملطفات هي كتب سرية تكتب على كاغد (ورق) لطيف تلف وتختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين، أو سواك، أو عصا ونحو ذلك، يجوف داخلها، وتوضع فيه وتسلم إلى من أرسلت إليه سراً[٢].

ونظراً لتتبع العدو لهذه الملطفات ومعرفة سرها لجأ الأيوبيون والمماليك إلى طرق أخرى لإخفاء كتبهم بها ، ولهذا وضع القلقشندي بعض الطرق للتعمية وكلها تتعلق بالكتابة ،وقد سلك الأقدمون فيها مسالك متعددة للتعمية بها على من لا يريدون الإطلاع على فحواها من الأعداء وغيرهم ،وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر فى الحال ،فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلاً يكون مقرراً بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة ،أو مسحه بشيء ،أو عرضه على النار ونحو ذلك [٣] ،وهو ما يشبه فى العصر الحديث الحبر السري الذى كانت تستخدمه المخابرات العسكرية فى البلاد المختلفة (فى بعض الحقب الزمنية) للتبادل من خلاله الرسائل السرية [٤]

ومن الطرق التى ذكرها القلقشندي للتعمية ــ أيضا ــ التعمية بتبادل بعض الحروف مكان بعض أو عكس حروف الكلمة أو الكتابة بأقلام مختلفة لا يألفها الناس [٥]

ولقد اعتمد الأيوبيون والمماليك فى حل بعض الرسائل على التراجمة وهو ما حدث عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م ١٢٨٤م "حيث وردت رسالة ذو شفرة سرية من مملكة المغول، يذكر فيها أن

---

(١) ابن أيبك الدوادار: الدر الفاخر، ج٩، ص٢٥٨.

(٢) الصفدي: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، دمشق،منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م ، ص٢٦٨.

(٣) صبح الأعشى، ج٩، ص٢٢٩.

(٤) للتعرف على أنواع الحبر السري انظر القلقشندي : صبح الأعشى جـ٩ ، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠ .

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٩، ص٢٣٠ ــ ٢٣١ .

هناك خلافا قد وقع بين المغول أنفسهم، وقد أكد المترجم مراراً على صحة هذه الأخبار"[1].

وقد ظهر دور التراجمة في كشف المعمي الموجود في ملطف ملك البرشوني الذي أرسل إلى السلطان عام ٧٠٣هـ/١٢٠٤م وكان الغرض منه فك أحد الأسرى الموجودين عنده ولكن استطاع التراجمة من خلال قراءة الملطف أكثر من مرة إلى التوصل إلى أن هذا الملك إنما هو ابن ملك عظيم عندهم ،واستطاعوا أن يكشفوا طرق الاحتيال التي اتبعها ذلك الملك[2].

ومن طرق التعمية ـ أيضًا ـ أن يعبر عن الأحداث من خلال رموز وإشارات لا يستطيع القارئ فكَّ طلاسمها إلا من خلال كاتبها ، وذلك بأ يرمز عن الإنسان بالطير والحيوان ، أو أن يرمز عن الأحداث من خلال وضع أرقام معينة فى أول كل حرف [3] ، وهو ما حدث فى عهد السلطان صلاح الدين أثناء ثورة مؤتمن الخلافة ضد السلطان صلاح الدين حيث نجد أن الثوار قاموا بكتابة رسالة فيها تفاصيل الخطة وكيف يقضون على السلطان وقاموا بوضع هذه الرسالة في نعل حذاء جديد ولكن نجد أنه تم اكتشافها بسبب ملاحظة المراقبين للطريق أن النعلين جديدين ولم يتم لبسهما وأن حاملهم لم يلبسهم فأثار ذلك انتباه المراقب فقبض عليه واكتشف ذلك[4].

وفى عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م وصلت رسالة تقول : إن الكواكب والنجوم ماجت في السماء شرقاً وغرباً، وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالاً، ولم يعهد بمثل ذلك من قبل، وأغلب الظن أن المقصود منها وصول الفرنج إلى عكا في عالم عظيم، لايحصى عدتهم إلا الله عز وجل، وأنهم طالبين الديار المصرية، وسيروا أصطولهم إلى ثغر الإسكندرية هكذا جاءت الأخبار[5].

وقد كان الملك المعظم عيسى يعلم أخبار الفرنج وكم عدد المتوجهين نحوه عن طريق هذه الشفرات السرية التي كان متفق عليها مع الجواسيس، فنجد أنه إذا علموا بعزم الفرنج على الإغارة فتحوا طاقاتهم، فإن كان يخرج مائة فارس، أوقدت شمعة واحدة، وإن كانوا مائتين أوقدت شمعتين وهكذا، وتشير بالنار إلى الجهة التي يقصد الفرنج الإغارة عليها[6].

وعندما مات السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤٧هـ/١٢٥٠م لم يشيعوا خبر موته وظلت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة السلطان، وكانت بخط خادم يقال له سهيل، لا يشك

---

(1) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٦٣؛ فايد حماد: التنظيمات العسكرية، ص٢١١؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٣٣.

(2) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر ، ص١٤٣- ١٤٤.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٩، ص ٢٤٩ .

(4) نيكتا أليسيف: السلطان نور الدين محمود، ص٣٥٩- ٣٦٠.

(5) ابن أيبك الدوادار: الدر المطلوب، جـ٧، ص١٥٤.

(6) النويري: نهاية الأرب، جـ٢٩، ص١٤٥؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص٧٦- ٧٧.

من رآه أنه خط السلطان، ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مده، إلى أنّ أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة، يخالف علامة السلطان. ففحص عن خبر السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر، حتى عرف موته[1].

ومثل هذا حدث في عهد الظاهر بيبرس؛ فقد كان له عين في صفد ــ التي كانت تحت سيطرة الأفرنج ــ فأرسل إلى السلطان الملك الظاهر يبلغه قول الله تعالى: "أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون"، ففهم بيبرس ذلك حيث إن زيتون فارس وكان من الإفرنج الموجودين في صفد، وكانت صفد للإفرنج، فكان زيتون يجمع الفرسان الأفرنجية ويلعبون بالرماح وغيرها وبالتالي أرسل الظاهر بيبرس الأميرعلم الدين سنجر الحلبي ــ الشهير بالأعور ــ وتوجه إلى صفد بعدته وهم مائة فارس، فوجد زيتون يلعب على عادته ضحى فقبض عليهم وقتل من قتل ورجع وصحبته زيتون وجماعة من الذين سلموا من القتال إلى الملك الظاهر وكان يوماً مشهوداً[2].

وعندما نزل التتار على البيرة عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً، ونصبوا منجنيقاً أفرنجياً والرامي به مسلم، ونصبوا من القلعة عليه منجنيقاً رموا عليه فلم يصبه حجر وكان زائداً عنه فقال الرامي المسلم: لو قطع الله من ساعدك ذراعاً كان أهل البيرة يستريحون منك لقلة معرفتك، ففهم إشارته وقطع ذراعاً من ساعد المنجنيق ورمى به فأصاب منجنيق التتر فكسره، وخرج أهل البيرة في الليل وكبسوا المعسكر فقتلوا الكثير ونهبوا وأحرقوا المنجنيقات[3].

ومن ذلك ما أرسله الأدفونش ــ ملك الفرنج ــ بطليطلة من بلاد الأندلس؛ كان خبيث النية، سيئ المقاصد لأهل الإسلام، وأنه أرسل مرة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون؛ صاحب الديار المصرية هدية فيها سيف وثوب بندقي وطارقه مستطيلة تشبه النعش كأنه يقول: أقتلك بهذا السيف، وأكفنك في هذا الثوب، وأحملك على هذا النعش. قال: وكان الجواب أنه أرسل إليه حبلاً أسود وحجراً، أي أنه كلب يرمى بهذا الحجر أو يربط في هذا الحبل[4].

وأثناء الخلاف الذي وقع بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وبين قراسنقر والأفرم نجد بعض الأشخاص الذى اندس داخل معسكر الناصر ، وأخذ يكشف له الأخباربمصر ،ويكتب له ملغزاً

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٤٤.
(2) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، مخطوط، ورقة٢٧.
(3) الكتبي: عيون التواريخ، جـ٢١، ص٦٩- ٧٠.
(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٩، ص٢٥٠.

ذلك ويرسله له فكتب له شعراً (وجاءت كلماته في ص٢٤٠ – ٢٤١)، فعندما فهم جمال الدين الأفرم ما فيه من اللغز رحل من وقته والتحق بقرا سنقر[١].

واستخدامت هذه الرموز والإشارات عندما أراد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون القبض على مهنا أمير العربان نجد أن مهنا ترك أحد العيون عند السلطان لكي يبلغه بما يضمره له السلطان لكي يقف على ما يقع من السلطان، وعندما علم هذا الجاسوس أن السلطان يريد التوجه إلى منازل مهنا لكي يقبض عليه أرسل هذا الجاسوس سله إلى مهنا فيها حشكنانك، وعندما فتح مهنا السلة وجد فيها بين الحشكنانك جملاً مصنوعاً من شمع وعليه قتب وخرج محمل، فعلم أنه أشار برحيله، فرحل مهنا[٢].

ونجد هذه الرموز فى الكتاب الوارد على السلطان الظاهر فرج بن برقوق عام ٨٠٣هـ/١٤٠٤م من المملكة الحلبية فيه: إنه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الأسود والنمور والحيات، ودفع حية عظيمة ،ولما قرئ الكتاب بحضرة السلطان وحملوا ذلك إلى ظاهر، على أن المراد حقيقة السيل، وأنه لقوته ساق تلك الحية والسباع وغيرها، وشاع ذلك بين الكافة من الأمراء وأهل الدولة وسائر الرعية، ومضى الأمر على ذلك، ثم ظهر أن المقصود بذلك السيل وما فيه هو تمرلنك وعساكره؛ وأنه كنى بالحية العظيمة عن نفسه، وبالسباع والحيات عن عساكره[٣].

وورد على السلطان الملك الناصر "فرج بن برقوق" في أواخر دولته كتاب عن صاحب تونس من بلاد المغرب في آخره خطاباً للسلطان (وعلى إحسانكم المعول، وبيت الطغرائي في لاميه العجم لا يتأول) فسألني بعض أعيان ديوان الإنشاء عن المراد من ذلك ولم يكن الكتاب متضمناً لغير الوصية على حجاج المغاربة، وكان ركب المغاربة قبل تلك الحجة قد عرض لهم عارض من عرب درب الحجاز اجتاحوهم فيه، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا منهم أموالاً جمة، فعرضت تلك على أبيات اللامية، فلاح لي أنه يشير إلى قوله فيها:

فقلت أرجوك للجلي لتنصرني   وأنت تخذلني في الحادث الجلل

والجلي بضم الجيم : الأمر الجليل العظيم، والجلل بفتح الجيم في اللغة : من الأضداد، يقع على الشئ الجليل وعلى الشئ الحقير، كأنه يقول: أنا كنت أرجوك للأمور العظام لتنصرني فيها فخذلتني في هذا الأمر الخسيس، وهو الأخذ بثأر حجاج بلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك: فخاب ظني فيما كنت أرجوه فيك، وأؤمله منك، وأشار بقوله: لا يتأول إلى أنه لا يحمل الجلل في قوله الطغرائي على

---

(١) الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص٢٤٠– ٢٤١.

(٢) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص١٦٠– ١٦١.

(٣) مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص١٢٩؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٩، ص٢٥٠.

الشئ الجليل كما قال الصلاح الصفدي في شرح اللامية، بلى على الأمر الخسيس، لأنه هـو اللائق بالمقام وأعلم أن مثل هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء واحترام قريحة من الذي يقع منه الرمز، وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك المقصد من تلك المعامي كما يقع في الألغـاز والأحـاجي للملغز والمتصدي لحل ألغازه والجواب عنه (١).

وقريبًا من ذلك ما ورد فى رسالة إلى القاهرة من قبـرص عـام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م تقـول: "إن العمارة عند القبرصي"، وهذه الرسالة كان الغرض منها التبليغ بأن ملك قبرص كان يعد حملة للإغارة على الإسكندرية ولكن نجد أن والي الإسكندرية لم يفهم ما في الرسالة إلا بعد قيام الحملة(٢).

ومما سبق يتضح ــ لنا ــ أن سلاطين الأيوبيين والمماليك اعتمدوا على بعض الطرق لجمع المعلومات في ميدان المعارك البرية والبحرية ،واعتمدوا على وسائل أخرى خارج ميدان المعـارك لكي تكفل لهم الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الأعداء كما أنهم استخدموا العديد من الوسائل لنقل هذه المعلومات إلى المختصين في الدولة كما أنهم غلفوها باستخدامهم لطريقة الشـفرات السرية في نقل هذه الأخبار ونوعوا فيها.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٩، ص٢٥٠- ٢٥١.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤١٤.

الفصل الثالث

التجسس والأخطار الخارجية

أولاً: دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني.

ثانياً: دور جواسيس الصليبيين والمغول والعثمانيين في التعرف علي أحوال الأيوبيين والمماليك.

الفصل الثالث

التجسس والأخطار الخارجية

أولاً: دور التجسس في مواجهة الخطر الصليبي والمغولي والعثماني

لعب العيون والجواسيس دوراً فعالاً في مواجهة الأخطار الخارجية [1]؛ وذلك عن طريق بثهم داخل مدن الأعداء ، وفي أطراف ممالكهم لمعرفة ما يتجدد من أخبارهم، مثل : استعداداتهم الحربية، واتصالاتهم السياسية[2]، والتحذير من أية غارات متوقعة من قبلهم على البلاد ، بل إنها كانت في بعض الأحيان تؤدي إلى القبض على بعض جواسيسهم[3].

(١) العيون والجواسيس داخل أراضي الأعداء :

كان التعرف على أخبار الصليبيين والمغول والعثمانيين من أهم الأدوار التي قام بها جواسيس وعيون الأيوبيين والمماليك وإبلاغ السلاطين بها والتي كفلت لهم التعرف على ما يدور داخل أراضيهم من ضعف أو قوة والتي كانت تؤدي إلي تفوق المسلمين عليهم في أغلب المواجهات التي كانت تحدث بينهم.

وقد ظهر ذلك عندما قام السلطان قطز بتوجيه نشاط جواسيسه إلي داخل الأراضي الصليبية لكي يتمكن من مواجهة الخطر المغولي، وقد أمدوه بمعلومات وافية عن الأحوال داخل الأراضي الصليبية؛ وهو أنه بعد هزيمة لويس التاسع ورحيله إلي فرنسا كان المجتمع الصليبي منقسما إلي معسكرات متعادية؛ فالبنادقة والبيازنة يواجهون الجنوية، والبروفنسال يخاصمون القطلان، والداوية والتيوتون ضد الاسبتارية، وبيت أبلين في أرسوف ويافا ضد بيت مونتفورت في صور، وعلي أساس هذه المعلومات التي أمده بها جواسيسه جعله يتمسك بالهدنة التي عقدها تورنشاه وشجر الدر مع الصليبيين في عام ٦٥٢هـ / ١٢٥٥م والتي كانت مدتها عشر سنوات وذلك حتى يتفرغ لحربه مع المغول[4]

واستمر سلاطين المماليك فى مواصلة التجسس على الصليبيين بعد طردهم من بلاد الشام فى عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م وذلك للوقوف على أحوال الصليبيين الداخلية وقوتهم العسكرية ، وهو ما حدث

---

(١) سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٧؛ حسن فرحات: الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، ص٩٧؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية جـ٢،ط٢، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، مطبعة دار الثقافة ؛ ١٩٦٨م، ص٦٧١.

(٢) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص١٠.

(3) **Amitai: Mamluk Espionag**, P. 176.

(٤) علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص٣٨٣- ٣٨٤.

في عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م عندما قدم الخبر من الأراضي الصليبية بتمزق وحدتهم وانشــغالهم بــالفتن والاضطرابات ونشوب الحرب بين الفرنج الجنوية والبنادقة ،واستطاع البنادقــة أن ينتصــروا علــى الجنوية، وأخذوا منهم واحداً وثلاثين غراباً بعد قتل من بها [١].

كما أخبر الجواسيس السلطان جقمق بمعلومات مهمة من داخل الأراضي الصليبية فــي عــام ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م تفيد أن دوكات ميلان- يعني صاحب ميلان- وهي طائفة من الفرنج كــان ينــوي الخروج بحملة لمحاربة المسلمين ، ولكنه انشغل بحربه مع البنادقة ولم يتمكن من تجهيز حملته [٢].

كما حرص سلاطين المماليك على بث الجواسيس على الخطر المغولي القادم من الشرق فــي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م للتعرف على أحوال المغول وحصل على معلومات هامة منها : أن منكــوتمر مات بجزيرة ابن عمر، ومات أبغا في همذان، وتولي بعده أخوه أحمد وهو مسلم، وأن التتر قد أطاعوه جميعهم، وأن مراسمه وصلت إلي بغداد بإظهار دين الإسلام، وأن اليهود والنصارى يؤدون الجزيــة وأمر ببناء المساجد والجوامع والمشاهد وتقوية يد الشرع كل ما كان زمان الخلفاء.[٣]

وعلى الرغم من خفت حده التوتر بين المماليك والمغول نسبياً بعد الهدنة المؤقتة بين المنصور قلاوون وأحمد تكدار ولكن نشاط الجواسيس ظل قائماً يؤدي مهامه في التجسس علي العــدو وجلــب الأخبار عنهم وتوصيلها إلي السلاطين[٤]، وظهر ذلك في الرسالة التي بعثها أحمد تكدار ملك المغــول في عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م إلي المنصور قلاوون يخبره فيها بأنه قبض علي بعض جواسيس المماليــك متنكرين في زى الفقراء والنساك وأنه أفرج عنهم لتظل علاقة الصداقة بين البلدين موجودة – وكــان رد السلطان المنصور قلاوون بأن المماليك قاموا أيضاً بالقبض علي العديد من جواسيس المغول وأنهم لم يريقوا دماءهم بل أطلقوا سراحهم[٥]. ،وقد قدم الخبر من الجواسيس الموجودين داخــل الأراضـــي

---

(١) المقريزي: السلوك، جـــ٢، ق٣، ص٨٦٢.

(٢) المقريزي: السلوك، جـــ٤، ق٣، ص١١٧٩-١١٨٠.

(٣) الكتبي: عيون التواريخ، جـــ٢١، ص ٢٨١-٣٠٣-٣٠٤.

(٤) سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٤.

(٥) الدوادار: زبدة الفكرة، جـــ٩، ص٢٠٥-٢٠٨ ؛الدوادار: مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م ، ص٧٧-٨١ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـــ٣١، ص ٩٠ ؛
Amitai: Mamluk Espionage, p.179.

المغولية يفيد بأن هناك خلاف قد وقع بين أمراء المغـول عـام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م [1] أدي إلـي قتـل السلطان أحمد بن هولاكو وتولي مكانه أرغون بن أبغا بن هولاكو . [2]

وعندما اعتلي السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة للمرة الثانية اهـتم بـالعيون والجواسيس لمعرفة أخبار المغول ؛ويستدل علي ذلك من الرسالة التي أرسلها السلطان الناصر محمـد بن قلاوون إلي غازان خان عاهل المغول والتي قال له فيها "... ولا يظن أنه ساعة واحدة عن أعيننا يغيب، وليعلم أنه لو تقلب في مضجعه من جانب إلي جانب، أو خرج من منزلة راجلاً كان أو راكباً، لكن عندنا علم ذلك – ونطلع من جميع أخباره علي ما نحب ونريد، ممن هو إليه أقـرب مـن حبـل الوريد، فأنه أقرب بطانته إليه هو العين لنا عليه، وأن كبر ذلك لديه..." [3]

وعندما بدأ الخطر التيموري يطرق حدود البلاد بدأت الدولة المملوكية في الاهتمـام بنشـاط عيونها وجواسيسها داخل الأراضي المغولية، وذلك لمتابعة تحركات هذا الخطر، فتواترت الكثير مـن الأخبار إلى سلاطين المماليك فى الأعوام الآتية في عـام ٧٨٨هـ / ١٣٨٦م ، ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م [4] ، ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م [5] .

ولما بدأت مطامع العثمانيين تتجه صوب دولة المماليك شعر المماليـك بـالخطر ،وحـاولوا التعرف على هذه القوة الجديدة التى بدأت تظهر على مسرح التاريخ السياسـي مـن منطقـة أسـيا الصغرى، وأرسل سلاطين المماليك العيون والجواسيس إلى الأراضي العثمانية ، فقام السلطان قايتباي بإرسال أحد جواسيسه ويدعى " قاسم " إلى داخل أراضي الدولة العثمانية عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م وذلك للتعرف على أحوال العثمانيين الداخلية ، ولكنه فشل فى مهمته [6]، الأمر الذي دفع السلطان قايتبـاي إلى إرسال أحد جواسيسه مرة أخرى عام ٩٠١هـ/١٤٩٧م للتعرف على نوايا العثمانيين وخططهـم العسكرية تجاه الدولة المملوكية وعاد هذا الجاسوس وأخبر أنه كان ينوي ذلك لكنه عدل عن الغزو[7].

---

(1) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٦٣ ؛ فايد حماد: التنظيمات العسكرية، ص٢١١ ؛ سعد أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٣٣.

(2) ابن أيبك الدوادار: الدرة الزكية، ص٢٦٣ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٢٢ ؛ العيني: عقـد الجمـان، جـ٢، ص٢٩٥ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، جـ٢١، ص٣٤١- ٣٤٢ ؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١١٦-١١٧ ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، جـ٨، ص٥ .

(3) الدوادار: كنز الدرر، جـ٩، ص٦٧ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤٣ .

(4) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٤٢-٥٦٤.

(5) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٨٩٢-٩٣٤ ؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص١٦٩-١٧٠.

(6) أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٦.

(7) أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٧.

ومع تزايد شعور سلاطين المماليك بمحاولات العثمانيين لغزو الدولة المملوكية قاموا بتكثيف نشاط جواسيسهم داخل الأضي العثمانية للوقوف على أحوالهم واستعداداتهم ؛فأخبر الجواسيس السلطان الغوري أن سليم الأول يستعد فى استنبول لغزو الدولة المملوكية إلا أنه لم يستطع التصدي للعثمانيين ،ويمنعهم من دخول البلاد [١]

ولم يقتصر أمر التجسس لسلاطين المماليك على معرفة أخبار أعدائهم ؛وإنما امتد إلى تنفيذ ضربات موجهة أشبه بتكسير العظام منها سلاح الشائعات بين صفوف الخصم من أجل إضعافه [٢]،وزرع الشك بين كبار رجال البلاط الصليبي والمغولي ،واتهامهما بالتجسس لصالح المماليك ، وهو ما حدث في عام ٦٦٦هـ/١٢٦٧م عندما خرج السلطان الظاهر بيبرس لحصار حصن الشقيف، وفي أثناء توجهه قبض على بعض جواسيس الصليبيين، ووجد معهم رسالة من أهل عكا إلى أهل الشقيف يخبرونهم بزحف بيبرس إليهم، ويأمرونهم بتحصين البلد، ففطن بيبرس إلى مفاتيح دخول البلد، وعرف من أين يؤكل الكتف، وكتب رسالة أخرى إلى أهل الشقيف تتضمن تحذير الملك من الوزير، والوزير من الملك، فوقع الخلاف بين رجال البلدة، وانقسموا على أنفسهم، في الوقت الذي اشتد فيه حصار المماليك عليهم حتى تم تسليم الحصن[٣].

ونجحت خطة الظاهر بيبرس في عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م في التخلص من أحد جواسيس المغول وهو "الزين الحافظي" الذي كان أحد الأعوان المقربين من هولاكو، وذلك عن طريق دس معلومات زائفة تهدف زرع بذور الشك في قلب هولاكو اتجاه "الحافظي"، ولما وقعت تلك المكاتبات الزائفة فى يد هولاكو اتهم الحافظي بالخيانة والتجسس لصالح المماليك وأمر بإعدامه[٤].

وحرص السلطان الظاهر بيبرس في عام ٦٧٢هـ/١٢٧٣م على التخلص من الجاثليق النصراني – رئيس طائفة النصارى والمشرف عليهم الذي أهان المسلمين ببغداد وأفسد أمورهم –

---

(١) ابن زنبل: سيرة السلطان الغوري، مخطوط ، ورقة ٢٣ ؛ آخرة المماليك ، ص٩٤ ؛ ابن إياس: بدائع الزهور ، جـ٥ ، ص١١٦– ١١٧ ؛ أسامة محمد : جان بردي الغزالي ، ص ٧؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين ، ص ٢٥٩.

(2) Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 147 – 148.

(٣) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٢٩٦ – ٢٧٠ ؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٢٩٦ – ٢٧٠ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٣٠٢ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٥١ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٨.

(٤) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص١١٠ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، جـ٢٠، ص٢٣٧–٢٣٩ ؛ ابن أبى الفضائل: النهج السديد، ص١٢٦–١٢٩ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٤٤ ؛ ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، جـ٧، ص١٤٠ – ١٠٥ ؛

Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 148

وذلك بتدبير مؤامرة التجسس على المغول لصالح المماليك ،وذلك بالاتفاق مع أحد عيونه لدى المماليك وهو شمس الدين ببغداد ؛ فبعث إليه بيبرس أولاً برسائل واهية يشكره فيها على نقله لأخبار المغول السرية إليه، ثم أرسل تلك المعلومات بصحبة أحد القصاد الأرمينيين، وهنالك جاء دور شمس الدين ليبادر – قبل أن يقبض عليه من قبل المغول – الذي أمسك بالقاصد الأرمني، وأرسل إلى "أبغا" الذي لم يكد يطلع على تلك المعلومات حتى جن جنونه، وأمر بقتل الجاثليق بتهمة التجسس لصالح المماليك[1].

ومثلما فعل الظاهر بيبرس فعل الناصر محمد بن قلاوون عندما استخدم جواسيس المغول في نقل أخبار استعدادات المماليك إلى خدابنداه وذلك لكي يلقي الرعب في قلوب الأعداء، وكذلك لكي يثني عزمهم عن الخروج إلى بلاد المماليك، وهو ما حدث عام ٧١٢هـ/١٣١٢م عندما وصلت الأخبار إلى السلطان الناصر محمد بأن التتار عازمين على دخول الشام، فقام السلطان الناصر بعمل عروض كبيرة لعسكره – وكانت هذه العروض على مرأى ومسمع الجميع ، وكانت أيضاً على مرأى ومسمع عيون وجواسيس المغول الذين قاموا بتوصيل أخبار هذه الاستعدادات إليه وأخبروه – بقوة جيش الإسلام مما أدى إلى رجوع خدابنداه عما كان يفكر فيه[2].

(٢) دور العيون والجواسيس في الدفاع عن المناطق الإسلامية واسترداد بعض المدن والقلاع :

لعب العيون والجواسيس دوراً كبيراً في الدفاع عن المناطق الإسلامية التي يرغب الصليبيون والمغول والعثمانيون في السيطرة عليها؛ حيث وقع على عاتقهم نقل أخبار إغارتهم المستمرة على هذه المناطق إلى السلاطين، الذين كانوا على أهبة الاستعداد في حالة وصول هذه الأخبار إليهم لمواجهة هذه الأخطار وصدها، فعندما وردت الأخبار من الجواسيس إلى السلطان صلاح الدين عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م بأن ملك الألمان يقوم بإعداد قوات غفيرة لكي يغير بها علي الشرق من أجل نصرة الفرنج المحاصرين في عكا ، فقام السلطان صلاح الدين بالاستعداد لمواجهتهم والهجوم عليهم . [3]،

واستعان بهم الملك العادل عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م في رد الفرنجة من خلال الأخبار التي وردت إليه من الجواسيس بأن الفرنجة يتحركون نحو الشام للاستيلاء عليها ،وهو ما جعله يستعد لمواجهتهم [4]، وتكررت المحاولة في عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م [5]

---

(1) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٤٢٢-٤٢٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢٠٨ ؛ Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 148

(2) الدواداري، الدر الفاخر، ص٢٤٥ – ٢٤٦.

(3) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٢٠٤ ؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢١٢- ٢١٣-٢٢٣.

(4) ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص٦٣.

(5) ابن أيبك الدوادار: الدر المطلوب، جـ٧، ص١٨٧ ؛ ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص٦٨-٦٩.

وكذلك استعان بهم في رد الفرنجة كلا من الملك الكامل عام ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م [١] ،والظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[٢] ، ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م [٣].

وعندما كثف المغول من شن غاراتهم علي حدود الدولة المملوكية من أجل السيطرة على العديد من المناطق الإسلامية، قام عيون وجواسيس المماليك باخبار السلاطين بها مما كفل لهم التصدي لهم وإحباط معظم محاولاتهم ، وهو ما حدث عندما أخبروا السلطان الظاهر بيبرس بقيام المغول بتجهيز جمع كبير للإغارة على دمشق للاستيلاء عليها عام ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م[٤] ،وأخبروه أيضا بعزمهم على الإغارة على قلعة البيرة للسيطرة عليها عام ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ،وعلى أساس هذه الأخبار تمكن السلطان من طردهم وردهم خائبين إلى بلادهم [٥]

ثم كثف المغول من شن غاراتهم على حدود الدولة المملوكية من ناحية الشرق عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م فقام السلطان المنصور قلاوون ببث جواسيسه وعيونه لإبلاغه بهذه الأخبار وذلك لمنعهم من السيطرة على أي منطقة، وقد حدث ذلك عندما أخبروا أن منكوتمر أخي أبغا بن هولاكو يتحرك نحو الشام للإغارة عليها ؛ فاستعد السلطان لمواجهتهم[٦].

وقد وصلت الأخبار من الجواسيس تفيد بأن التتار قاموا بالإغارة على قلعة الرحبة للاستيلاء عليها عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م وعلى أساس هذه الأخبار قام السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بتجهيز جيش، وخرج لكي يرد هذا الخطر[٧].

---

(١) إبراهيم خميس: جماعة فرسان الداوية، ص٢٦٤.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، باكستان، ص٩٦-٩٧ ؛
Amitai: Mamluk Espionage, p.p.176- 177.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٨٤؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص٥٧.

(٤) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٦٣ ؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٥-٥٦ ؛
Amitai: Mamluk and Mongols, p.p.144- 107.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، باكستان، ص١٢٠-١٢١ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص٨٧ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٢٣-٥٢٤ ؛ فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، ص٨٨؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٦؛ بيبرس الدوادار: مختار الأخبار، ص٢٩؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٢٦٣ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٢٤ ؛ العيني: عقد الجمان، جـ١، ص٣٩٥- ٣٩٦
Sauvaget: la post, P. 17; thoran: the lion of Egypt, p. 105.

(٦) بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص١٣١؛ العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص١٢٠.

(٧) النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص٢٤٣؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٧٧٧؛ ابن الفرات: تاريخ بن الفرات، جـ٨، ص١٣٥

وكان للجواسيس دور كبير في إحباط محاولات العثمانيين الساعية للسيطرة على بعض المناطق الإسلامية وقد حدث في عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م عندما أخبر الجواسيس السلطان قايتباي بأخبار تفيد بأن العسكر العثماني يتحرك نحو الدولة المملوكية والقصد من هذا التحرك محاربة المماليك والسيطرة على ممتلكاتهم وأنهم وصلوا إلي "أدنه"، وعلي أساس هذه الأخبار أرسل قايتباي ثلاثة أشخاص لكشف أخبار عسكر ابن عثمان علي عجل وأمرهم بإرسال الأخبار بمنتهي السرعة وبالتالي استطاع السلطان قايتباي بفضل هذه المعلومات من تحقيق النصر على العثمانيين ثلاث مرات متتالية[1].

أما الحملات البحرية التي أرسلها الصليبيون للإغارة على المدن البحرية من أجل السيطرة عليها، فكان للجواسيس دور كبير في حمايتها بنقل أخبار هذه الإغارات إلى السلاطين، ففي عام ٥٧هـ/١١٧٤م وصلت الأخبار من الجواسيس إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي تخبره بقيام الأسطول الصقلي بالإغارة على مدينة الإسكندرية، وبالتالي سار صلاح الدين إلى الإسكندرية لمواجهة العدو والتصدي له[2].

وأبلغ الجواسيس السلطان بيبرس الجاشنكير عام ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م أن ملك قبرص هنري الثامن لوزجنان اتفق مع بعض ملوك الفرنجة على بناء ستين قطعة حربية للإغارة على دمياط والقيام بغزوها، وعلى أساس هذا قام السلطان باستدعاء الأمراء وشاورهم في هذا الأمر، فاتفقوا على بناء جسر يمتد من القاهرة إلى دمياط خشية نزول الفرنجة وقت فيضان النيل حتى لا يعوق ذلك القوات المملوكية عن الوصول إلى دمياط للدفاع عنها[3].

وأخبر جواسيس السلطان الأشرف برسباي فى عام ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م أن ملوك الفرنج ينسقون للقيام بحملة بحرية على الأراضي المملوكية وبالتالي استعد الأشرف برسباي لمواجهتهم[4]، كما أخبروا السلطان جقمق بأن طائفة القطلان عمرو اثنى عشر غراباً، لتسير في البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم فاستعد السلطان لمواجهتهم[5].

---

(1) أدنة:هى مدينة تقع على نهر سيحان بناها الرشيد تبعد عن المصيصة أثنى عشر ميلاً.ابن شاهنشاه:تقويم البلدان،ص٢٣٩؛ أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١١٧؛ عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٨.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٦٦ ؛ عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين، ص٣٨٧.

(3) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م ، ص٢٤٥.

(4) سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص٦.

(5) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١١١٢.

وكان السلاطين ــ في بعض الأحيان ــ يهملون الاهتمام بمثل هذه الأخبار ولا يضعونها في موضع الجدية مما يؤدي إلى تعريضهم لخسائر كبيرة وهو ما حدث في عــام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م عندما أخبر الجواسيس بأن الملك بطرس لوزجنان ملك قبرص يجهز لحملة بحرية يقصد بها الإغارة على الإسكندرية، وكان الجواسيس على علم بأخبار هذه الحملة ونجد أنهم أرسلوا تقاريرهم إلــى المماليك ليحذروهم من ذلك ولكن نجد أن المماليك لم يحملوا الأمر على محمل الجد على الرغم مــن أن هذه التحذيرات كانت تأتي إليهم من داخل قبرص وهو ما أدى إلى دخول بطــرس الإســكندرية والقيام بنهبها[1].

ولم يجد سلاطين الأيوبيين والمماليك حرجاً في أن يذهبوا إلى عقــر دار أعــدائهم، وذلك لاستطلاع وتجسس الأخبار بنفسهم ودراسة المسرح الجغرافي والطرق بتلك البلاد لتساعدهم فيما بعد في حربهم معهم، وهو ما حدث في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م عندما أخبر الجواسيس السلطان صلاح الدين الأيوبي أن الصليبيين عازمون على الصعود إلى القدس لمحاصرتها واقتحامها[2]، وهو ما دفع السلطان صلاح الدين إلى الخروج سراً من معسكره للتعرف على أحوال القدس والتعرف على أحوال مبانيهــا ورجالها وميرتها وعدتها[3].

ولما بلغ الملك المعظم عيسى صاحب دمشق أن الأنبرو عزم على الخروج من عكا للاستيلاء على دمشق[4] قام بالتخفي والتنكر في زي زيات ؛ وذلك ليتمكن من الدخول إلى عكا للاطــلاع عــن كثب على تحركات الصليبيين واستعداداتهم والتجسس على أخبارهم، ورهن خاتمة عند صاحب حانوت ثم عاد إلى دمشق، وأرسل إلى صاحب عكا حنا دي برين – يخبره بذهابه إلى عكا وأمــره أن يفــك خاتمة، فقامت قيامته وكاد يموت غيظاً[5].

كما تمكن الظاهر بيبرس من التخفي والدخول إلى أراضي الأعداء فــي مناســبات مختلفــة للوقوف على احوالهم وذلك في عام ٦٦٤هـــ/١٢٦٥م [6]،٦٦٩هـ/١٢٧٠م [7]،

([1]) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤١٤ ؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية، ص٢٥٦.

([2]) ابن شداد: سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص٧.

([3]) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤.

([4]) النويري: نهاية الأرب، جـ٢٩، ص١٤٥.

([5]) على محمد علي: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القــرى كليــة الشــريعة والدراسات الإسلامية، ١٩٨٦م، ص٢٨٢.

([6]) حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ – ٢٩٣.

([7]) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٤٥ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٤١.

٦٧٣هـ/١٢٧٥م [١] ، وكذلك عندما اراد فتح بلاد الروم [٢].

كما اعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك على الجواسيس والعيون في استرداد المدن والقلاع والحصون التي سيطر عليها الصليبيون والمغول ،واستطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك ــ بفضل المعلومات التي أمدوهم بها ــ من السيطرة على بعض الحصون وفتحها؛ وقد حدث ذلك عندما أراد أسد الدين شيركوه السيطرة على مصر في عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م و أخبره جواسيسه وعيونه الموجودون في مصر، بكثرة عدد الفرنج ، وأبلغوه بأعدادهم واستعداداتهم، فاتخذ أسد الدين شيركوه احتياطاته على أساس هذه الأخبار واستطاع الانتصار في النهاية واستولى على مصر [٣].

وعندما أراد السلطان صلاح الدين السيطرة على ما بيد الصليبيين من القلاع والحصون الإسلامية، وخاصة منطقة الساحل الفلسطيني وجد الفرصة سانحة عندما أخبره جواسيسه أن مشروع التحالف البيزنطي الصليبي قد انهار، وعلى أساس هذه المعلومات قرر السلطان صلاح الدين أن يشن هجوماً على هذه المنطقة للاستيلاء عليها مستغلاً الظروف التي وقعوا فيها [٤]، ولكن سرعان ما عاد الجواسيس وأخبروا السلطان أن الصليبيين قد علموا بهذا الأمر وأنهم قرروا الخروج لملاقاته فعدل صلاح الدين عن الخروج [٥].

وقد لعب الجواسيس دوراً كبيراً في فتح قلعة سنجار وذلك في عام ٥٧٧هـ/١١٨١م عندما ندب السلطان صلاح الدين ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين بن عمران لكي يحاصر سنجار ويقوم بفتحها- وفي أثناء الحصار جاء إليه من أخبره أن حراس المدينة ينامون ليلاً وبالتالي هجموا عليهم في ذلك الوقت وتمكنوا من فتحها [٦].وتكرر ذلك في عام ٥٨١هـ/١١٨٥م عندما أراد السلطان صلاح الدين فتح خلاط [٧].وفُعِل مثل ذلك أثناء محاصرته لحصن الشقيف عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م [٨].

وقد ساعد العيون والجواسيس على تصفية معظم الوجود الصليبي في عهد كل من الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، بحيث لم يتبق من هذه المعاقل الحصينة سوى عكا وقلعة الروم واللتان تم

---

(1)Amitai: Mangols and Mamluks, P. P. 146 - 147.
(2) Amitai: Mangols and Mamluks, P. 147.

(٣) الفيومي: نثر الجمان، مخطوط، ورقة٨٠ – ٨١؛ حمدي عبد المنعم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨م، ص١٥؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، جـ١، ص٢١٥.

(٤) قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، ١٩٩٥، ص ٤٣.

(٥) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ١٦٠.

(٦) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٠٨.

(٧) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٥٦ ؛ ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص ٢٤٨.

(٨) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٦١ ؛ العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ١٧٨ – ١٧٩.

فتحهما في عهد الأشرف خليل بن قلاوون؛ فحينما ولي الظاهر بيبرس وجهه شطر المعاقل الصليبية في بلاد الشام لإسقاطها الواحد تلو الأخرى كان لابد له من معرفة متجددات أخبارهم باستمرار، لذا اتخذ من بعض الأمراء في صيدا وبيروت جواسيساً له يمدونه بالمعلومات الوافية عنهم حتى يأمن طوارقهم على حدود الدولة المملوكية [1].

وقام بذلك السلطان الظاهر بيبرس أثناء محاولته فتح حصن عكا عام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م ،قام بوضع عيونه وجواسيسه عليه من أجل معرفة مناطق الضعف به وإخباره بها الأمر الذى مكنه من الانتصار عليهم [2] واستعان بهم ــ أيضا ــ في عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م لفتح بلاد "سيس" [3].

وعندما كثر تعدي صاحب حصن القصير – أقوي حصون أنطاكية – علي الهدنة والعهود الموقعة بينه وبين الظاهر بيبرس في عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م ، أصدر بيبرس أوامره بالقبض عليه تمهيداً لفتح ذلك الحصن، وندب لتلك المهمة الأمير سيف الدين بلبان الدوادار المشرف علي القصاد، فخرج متنكراً في صورة شخص متوجه إلي صاحب القصير لإخباره بقدوم الظاهر بيبرس لزيارته، ففرح لذلك، وقام بتجهيز ما يليق بالسلطان وخرج للقائه، فلما اقترب منه قام بتقبيل الأرض بين يدي بيبرس، فجثم فوقه بلبان الدوادار، وأركبه علي أحد الخيول وتوجه به إلي دمشق حيث حبس بقلعتها[4].

ولم يقتصر دورهم على جمع المعلومات للسلاطين فقط من أجل فتح القلاع والحصون ؛ولكن نجدهم أيضاً اشتركوا بأنفسهم في فتح بعض الحصون المنيعة، ولعبوا دوراً رئيسياً، فعندما أراد السلطان صلاح الدين فتح قلعة بيروت قام بإرسال جواسيسه والذين تمكنوا من دخول الحصن وقاموا بنشر الأراجيف داخله مما أدى إلى حدوث فوضى وتراخي من الأعداء في الدفاع عنه وسقوطه بسهولة ويسر في يد السلطان صلاح الدين، وهو ما قاله ابن الأثير[5] :"... ففي عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م توجه السلطان صلاح الدين إلى بيروت لكي يفتحها ولكن وجد الفرنج يدافعون عنها بشجاعة ولكن بينما هم على الصور يقاتلون ويدافعون أتاهم من أخبرهم أن البلد قد دخلها المسلمون من الناحية الأخرى قهراً وغلبة، فأرسلوا ينظرون ما الخبر، فوجدوا الخبر ليس له أساس من الصحة، فأرادوا

---

(1) صالح بن يحيي: تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني العرب، تحقيق لويس شيخور ، بيروت ،(د.ن) ، ١٨٩٨م، ص ٩٥-٩٨.

(2) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٥٥٨ – ٥٥٩ ؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص٨.

(3) ابن واصل: تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين، مج١، جـ٢، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩ ، ورقة ٤٣٨ .

(4) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ١٥٦-١٥٧.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص١٥٥.

تمكين من بالحصن فلم يمكنهم ذلك فطلبوا الأمان من السلطان صلاح الدين وتم تسليم البلد لصلاح الدين".

(٣) دور العيون والجواسيس في إحباط محاولات جواسيس الأعداء والكشف عن الخونة والعملاء :

كان للعيون والجواسيس دور في رصد تحركات جواسيس الأعداء الذين وفدوا إلى الأراضي الإسلامية للتعرف على أحوال الدولتين الأيوبية والملوكية، وتم القبض عليهم من داخل معسكرات الجيش أو من علي الحدود في بعض الأحيان، مثلما حدث في عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م حين تمكنت العيون الجواسيس من القبض علي أحد الجواسيس الصليبيين؛إذ كان يتجسس علي الجيش الأيوبي لصالح الصليبيين . [١].

وفي عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م أحبطت عيون المماليك تحركات جواسيس الفرنج الذين تسللوا إلى صفوف جيش الظاهر بيبرس ومنعت وصول أخبار المعسكر المملوكي واستعداداته إلـى الصليبيين وساعدت علي حمايتها[٢].

وشارك الجواسيس في الكشف عن الكثير من جواسيس بطرس لوزجنان في مدينة الإسكندرية والذين كانوا يقومون بجمع معلومات لبطرس عن مدينة الإسكندرية من أجل الهجوم عليها، فقد تم العثور على مجموعة من جواسيس الملك بطرس داخل الإسكندرية وتم القبض عليهم ؛مثال ذلك أنه ضبط شخصاً في داخل خندق سوق الإسكندرية يقيسه ولكنه لم يقر بشيء[٣]، كذلك شوهد شخص آخر علي أعلي سور في الإسكندرية من جهة دار الصناعة يقيس ارتفاع السور بحبل فلما قبض عليه أشهر إسلامه فأخلي سبيله، ولكنه كان ينبغي التحفظ عليه لمنع تسرب هذه المعلومات إلي الأعداء، والدليل علي ذلك بأن القبارصة نزلوا الإسكندرية من نفس المكان الذي تدلى فيه الحبل، وعندما طلب هذا الأسلمي (أي الذي أسلم) فلم يعثروا عليه لأنه كان قد هرب متنكراً بعد خلاصه[٤].

ومثلما كان السلطان الظاهر بيبرس يقظا ومنتبهاً لجواسيس الصليبيين ، كان متيقظاً ومنتبهاً ــ أيضاًــ لجواسيس المغول عن طريق تنشيط عيونه وجواسيسه، وهو ما حدث في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م عندما أرسل هولاكو جماعة من جواسيسه إلي الملك المنصور صاحب حماه لاستمالته إلي جانبهم ضد

---

(١) ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص٩٥.

(٢) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٣٣٢-٣٣٣ ؛ سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص٥.

(٣) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٣٩٨.

(٤) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٣٩٨-٣٩٩.

الظاهر بيبرس الذي وصلت إليه خيوط تلك المؤامرة عن طريق عيونه فأمر بالقبض عليهم في الحال وحرمهم من تنفيذ مهمتهم(١).

وقد تم القبض علي رجل أعجمي بالبيرة عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م ، واتضح أنه جاسوس للمغول جاء لكي يتعرف أخبار واستعدادات المماليك(٢).

واستطاع جواسيس المماليك عام ٨٩٥هـ/١٤٨٩م الكشف عن خمسة جواسيس للعثمانيين كانوا قد أرسلوا إلى الدولة المملوكية وخاصة الشام ليتعرفوا أحوال المماليك ولكن تم القبض عليهم وكان من بين هؤلاء رجل يدعى " أحمد بن الديوان "(٣).

وكشفت جواسيس المماليك مجموعة من الجواسيس العثمانيين داخل مصر كانوا قد قدموا إلى مصر بعد واقعة غزة بأيام قلائل من طرف سليم إلى طومان باي، وكان الوفد مكونا من خمسة عشر رجلاً بصحبتهم مصري يدعى (عبد البر بن محاسن وثلاثة من الأعراب) دلوهم على طريق الدرب السلطاني غير المطروق مقابل رشوة فوصلوا للقاهرة فعلم بهم السلطان، فأمر طومان باي بقتل الأعراب الثلاثة وسجن ابن محاسن وبجانب الرسالة التي يحملها الوفد لطومان باي(٤)، كانت لهم مهام أخرى أهمها:

- الاتصال ببعض الأروام في خان الخليلي للحصول من خلالهم على معلومات عن حالة مصر واستعدادها وقد تم القبض على هؤلاء الجواسيس وسجنوا.
- تسليم أموال لبعض أمراء المماليك والمباشرين وأعيان الديار المصرية لاستمالتهم.
- توصيل رسائل من خايربك لبعض الأمراء المقيمين لإغرائهم بالدخول في طاعة سليم وقد حضر بصحبة هذا الوفد جوالي أربعين عثمانياً اختفوا داخل القاهرة للتجسس(٥).

وقد ساهمت العيون والجواسيس في إنقاذ بعض السلاطين من الوقوع في براثن المكر والخديعة التي قد يتعرضون لها من قبل بعض الملوك الأجانب وإحباطها ، فقد حاول هولاكو توجيه

---

(١) بيبرس الدوادار: زبده الفكرة، ج٩، ص٩٢ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص٥٠.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٢٧٣ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص١١٧ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص١٠٢ ؛
Amita: Mongols and Mamluks, p.155.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٢٦٥ ؛ عادل عبد الحافظ حمزة: دور خاير بك المملوكي في موقعة مرج دابق،ص٢٤٣-٢٤٤ ؛ أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٧.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٨٣ ؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٥٦ ؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٨٢.

(٥) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٥٦.

جواسيسه إلي أراضي الدولة المملوكية وخاصة إلي الظاهر بيبرس في عـام ٦٦١هـ/١٢٦٢م للقيـام باغتياله عندما حاول ثلاثة أشخاص القيام باغتيال الظاهر بيبرس، ولكن تمكن الجواسيس الكشف عن هذه الخدعة ، ونجحوا في استمالتهم وإقناع هؤلاء الثلاثة بالعمالة المزدوجة" واستخدامهم فـي نفـس الغرض الذي أتوا من أجله وهو اغتيال ثلاثة من أمراء المغول ؛فنجحوا في مهمتهم ،ولكنهم قتلوا(١).

واستطاع العيون والجواسيس عام ٦٦٢هـ/١٢٦٢م إحباط محاولة كان يريـد هولاكـو مـن ورائها زرع بذور الشك في بعض أمراء الظاهر بيبرس ولكن يقظة جواسيس الظاهر بيبرس الـذين أخبروه بأن "هولاكو" يجهز جاسوسين من قبله للتغرير بالأتابك فارس الدين أقطاي، وتزويـر كتـب علي لسانه، ولكن الجواسيس أخبروه بكذب ذلك، وأخذ هذه الأخبار، ونظر إليها بعين الاعتبار، وبـدأ في تعقب الجاسوسين وكانت الأخبار ترد عنها بكرة وعشيا وعرف خط سيرهما بدأ من بـلاد سـيس مروراً بعكا ووصولاً إلي ثغر دمياط وتم القبض عليهم وفشلت محاولة هولاكو(٢).

وتمكنت عيون الظاهر بيبرس من كشف مؤامرة بوهمند السادس صاحب أنطاكية وطـرابلس سابقاً للتخلص منه عن طريق أحد أعوانه عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م (٣).

وشارك الجواسيس في الكشف عن المكائد التي دبرها السلطان سليم العثماني لإحداث الفرقـة بين صفوف المماليك ، فأتى برجل من عنده له القدرة على تقليد الخطوط على جميع اللغـات وكتـب على لسان جميع أمراء المماليك رسائل يعربون فيها عن ميلهم للسلطان سليم وتحريضهم لـه علـى المجيء إلى مصر. ثم أحضر رجلاً من رجال خايربك أمره بالذهاب إلى معسكر المصـريين وإلقـاء هذه الرسائل بالقرب من خيمة طومان باي، والانتظار لرؤية ما يحدث ثم العـودة بـالخبر ووصـلت الرسائل ليد طومان باي وعرض الأمر على الأمراء الذين أكدوا أن هذه الرسائل لـم تصـدر عـنهم وبالتالي فشلت هذه المحاولة(٤).

كما اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك بالكشف عن الخونة والعملاء الـذين قـام الصـليبيون والمغول والعثمانيون بتجنيدهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية ، ووجهوا نشاط جواسيسهم للكشف عنهم وحماية البلاد من خطرهم ، وقد حدث في عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م عندما أخبر جواسيس السـلطان الظاهر بيبرس بأن جماعة من العربان من قبيلة "زبيد" تقوم بالتجسس لصالح الصليبيين فـي البـاطن

---

(١) Amita: Mongols and Mamluks, p.148.

(٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٩٩ ؛ الدوادار: زبده الفكرة، ج٩، ص١٠٥ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص٧٥-٧٦ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٨ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥١١ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٣٢-٣٣٣ ؛ سمير الدروبي: البحوث حركة الترجمة والتعريب، ص٥.

(٣) فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٥٦.

(٤) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٦٢.

بإرشادهم إلى مواطن الضعف في الدولة المملوكية، فأرسل إليهم السلطان جزءاً من الجيش المملوكي لتأديبهم[١].

وقد وصلت الأخبار إلى نائب السلطنة بحمص عن قيام صاحب طرابلس بالتحالف مع بعض الملوك الصليبيين للإغارة على حمص عام ٦٦٤هـ/١٢٦٥م ، فوضع بعض "العيون" عليه لموافاته بالأخبار باستمرار، وجعل الجيش المملوكي على أهبة الاستعداد، فألحق بهم خسائر فادحة[٢].

وعندما اعتلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرش السلطنة للمرة الثالثة بدأ يهتم بالعيون والجواسيس وذلك من أجل الكشف عن الخونة والعملاء؛ ففي عام ٧١٥هـ/١٣١٦م أخبر الجواسيس السلطان الناصر محمد بأن المسلمين "بملطيه" اختلطوا بالصليبيين وقاموا بنقل أخبار المماليك إليهم، فقام في الحال وجهز جيش لكي يفتحها[٣].

وكما قام الجواسيس بالكشف عن الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب الصليبيين استطاعوا الكشف عن بعض الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب المغول في مصر، وقد حدث ذلك في عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م عندما أخبر الجواسيس السلطان الظاهر بيبرس بأن هناك بعض الخونة ينقلون أخبار وتحركات المماليك للمغول ، وكان على رأسهم الملك المغيث صاحب الكرك ، وقد عُثِر على مجموعة من الكتب المتبادلة بينه وبين المغول، وكانت هذه الكتب أجوبة كتب من الملك المغيث مضمونها "شكر ملك التتار، واعتداده باعتزازه... " ويعده بوعود حسنة[٤].

و كان الخونة والعملاء الذين يعاونون الأعداء يتمكنون ــ أحياناً ــ من الهرب؛ فعندما خرج تيمورلنك من الشام خرج عملاؤه معه ، ومن هؤلاء "عبد الملك بن التكريتي" الذي كافأه تيمورلنك وولاه نيابة سيرام، وشخص آخر يدعى "يلبغا المجنون" وكان مقرباً عند تيمورلنك، وسبب ذلك أنه بذل في مناصحته جهداً، وأخبره بأن هناك فداوى كان يريد قتل تيمور فحذره من ذلك، وبالتالي خلص تيمورلنك من المهالك والمهاوي، وحصل له بذلك قربة، وزيادة ملازمة وصحبة فولى ذلك الجاس، نيابة مدينة تدعى "ينكي تلاس"، وراء نهر خجند، والتي تبعد نحو خمسة عشر يوما من سمرقند[٥].

---

(١) الدوادار: مختار الأخبار، ص٢٠ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٤٨ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٧.

(٢) شافع بن على: حسن المناقب السرية، ص١٠٤ – ١٠٥.

(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، مج٢، جـ٧، ص٨٨ – ٨٩ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٠.

(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، ص٨٧.

(٥) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص٢٩٣.

ولعبت العيون والجواسيس دوراً كبيراً في الكشف عن الخونة والعملاء الذين قام العثمـانيون بتجنيدهم من أجل التعرف على أحوال الدولة المملوكية ، وقد حدث ذلك عندما أخبر الجواسيس الأمير قانصوه نائب دوركي عام ٩٠١هـ / ١٤٩٧م بأن قاضي المدينة سيف الدين يوسف الحنفي يكاتب بـن عثمان ويطلعه على أخبار المماليك وعلى أساس هذه الأخبار تم شنق قاضي المدينة نظراً لخيانته [١].

وقد استطاع السلطان سليم الأول العثماني الحصول على مجموعة من الأعوان والخونة داخل صفوف الدولة المملوكية، وكشف جواسيس المماليك عنهم ،وأخبروا السلطان الغوري بأمرهم وكان من بين هؤلاء الأمير خايربك الذي أخبروا السلطان الغوري عن خيانته وقالوا له "والذي يعلم به مولانـا السلطان أن خاير بك ملاحي علينا" ، وبمواجهة خاير بك بذلك لم يستطع أن يدافع عن نفسـه، إلا أن موقف السلطان الغوري كان سلبياً ولم يفعل شيئاً سوى أنه حلف الأمراء قائلاً لهم : "احلفوا أنكم رجل واحد "[٢]

أما الأمير يونس باشا ــ والي قلعة عينتاب ــ فقد أخبر الجواسيس السلطان الغوري بخيانتـه وأنه قام بتسليم مفاتيح القلعة للسلطان سليم[٣] ، واتفق معه على أن يكون جاسوساً له عنـد السـلطان الغوري يطلعه على أخبار المماليك وبالتالي قام السلطان بقتله والقضاء عليه[٤].

كما كشف العيون والجواسيس عن عدد من الخونة والعملاء الذين يعملون لحساب العثمـانيين في مصر، وكان منهم إبراهيم السمرقندي ــ أحد أخصاء السلطان الغوري ــ وكان قريباً منه ،ولكنـه راسل السلطان سليم، وحسن له دخول مصر، إلا أن السلطان عندما علم بهذا الأمر أمر بقتله[٥]، ومنهم أيضاً يونس العادلي الذي كان يكاتب السلطان سليم في الباطن ويطلعه على أخبار المماليك وأحوالهم، وبالتالي تخلص السلطان منه[٦].

---

(١) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٧.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٢؛ ابن زنبل : سيرة السلطان قانصوه الغوري مع السلطان سليم، مخطـوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٤٤ تاريخ ، ميكروفيلم ١٠٧٠٠، جـ١، ورقة ٢٥ ؛ محمد مصطفى زيادة: نهاية السلاطين المماليك، المجلة التاريخية، ع٤ ، القاهرة، ١٩٥١م، ص٢١٧ ؛ عماد محمد : العلاقات السياسـية بـين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٨٩ – ٢٩٠، أسامة محمد : جان بردي الغزالي والدولة العثمانية، ص٤.

(٣) يلماز ازوتونا : تاريخ الدولة العثمانية، مج١ ، ترجمة عدنان محمود سلمان، استانبول ، مؤسسة فيصل للتمويـل، ١٩٨٨م، ص٢٢١

(٤) عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص ٢٩١.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٩٥ – ٩٦.

(٦) طه عبد العزيز محمد : العلاقات المملوكية العثمانية ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربيـة، جامعـة الأزهر، ١٩٩٦م ، ص ٢٨٠.

وأخبر الجواسيس السلطان الغوري عام ٩٢١هـ/١٥١٥م أن العجمي الشنقجي الذي كان مقرباً من السلطان وكان قد أرسله السلطان في مهمة سرية إلى الشاه إسماعيل الصفوي ، قد خانه وأطلع السلطان سليم على مهمته السرية وأعلمه بمراسلات الغوري والشاه إسماعيل الصفوي لبعضهم البعض وبالتالي قام السلطان بالتخلص منه[١].

و كشف الجواسيس عن خيانة الأمير جان بردي الغزالي ، وأبلغوا السلطان بذلك ، ولكن عندما همَّ السلطان بقتله منعه الأمراء؛ وذلك لأن العثمانيين كانوا قد وصلوا إلى الريدانية[٢].

---

(١) طه عبد العزيز محمد : العلاقات المملوكية العثمانية ، ص ٢٨٠.

(٢) ابن زنبل : آخرة المماليك ، ص٣٠؛ عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩٥.

ثانيا : دور عيون وجواسيس الأعداء في التعرف على أحوال الأيوبيين والمماليك :

اعتمد الصليبيون والمغول والعثمانيون على العيون والجواسيس في حربهم مع الأيوبيين والمماليك والذين استطاعوا عن طريقهم تحقيق بعض الانتصارات عليهم، واحتلال بعض المناطق منهم، وكان نشاطهم لا يظهر ولا يحقق المكاسب إلا في الفترات التي يضعف فيها نشاط عيون وجواسيس الأيوبيين والمماليك والذي كان يرتبط بضعف الدولتين أيضاً، وقد ظهر ذلك بعد وفاة الملك العادل؛ حيث إن جواسيس الفرنج الموجودين داخل المعسكر الأيوبي أخبروا الفرنج بالحالة المتردية التي عليها المعسكر الأيوبي وتآمر الأمراء الأيوبيون على الملك الكامل لخلعه وتولية الفائز بن العادل مكانه، وهو ما أدى إلى هروب الملك الكامل من المعسكر خوفاً من المؤامرة ، وأتاح الفرصة أمام الفرنجة لدخول دمياط وامتلاكها دون عناء[1].

وقد تمكن الجواسيس من تبليغ المعسكر الصليبي بأن الأيوبيين يستعدون للهجوم عليهم ،وذلك في عام ٦٤٧هـ/١٢٥٠م ، ولهذا استعد الصليبيون لهم ،وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالمعسكر الإسلامي، واستطاعوا أن يستميلوا أحد الخونة المصريين ؛فدلهم على مخاضة في بحر أشمون لكي يعبروا منها[2].

وكان لطرد الصليبيين من آخر معقل لهم في بلاد الشام رد فعل عنيف في الغرب الأوربي، فنادى المتحمسون للحروب الصليبية – وعلى رأسهم البابوية – بأن دولة المماليك هي السبب، وأنه لا سبيل لاستعادة بلاد الشام إلا بإضعاف دولة المماليك أولاً، والتعرف على كل أخبارها في فترة ساد فيها الضعف في الدولة وذلك بسبب نزاع الأمراء والسلاطين مع بعضهم البعض وكذلك صغر سن السلاطين الذين يتولون عرش السلطنة ،فقام هؤلاء الصليبيون بتوجيه جواسيسهم إلى أراضي الدولة المملوكية لجمع المعلومات والأخبار عنهم، وهو ما حدث في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م عندما تخفى الملك بطرس لوزجنان ملك قبرص في زي تاجر وأتى إلى الإسكندرية ، وأخذ يطلع على أحوالها وأحوال الناس بها، وحصونها وكل شيء تمهيداً للاستيلاء عليها[3].

كما قام هذا الملك بإرسال بعض الجواسيس إلى الإسكندرية لكي يحيطوه علماً بأحوالها ونقاط الضعف والقوة فيها ولتحديد الوقت المناسب للقيام بحملتهم ــ وهو وقت فيضان النيل ــ وأخبروه بأن

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،جـ١٠ ، ص ٣٨١.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٤٧ – ٣٤٨ – ٣٤٩؛ إبراهيم عبد المنعم : جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د. ت)، ص ١٨٤ – ١٨٥.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤٢٥.

الشجعان لم يكونوا موجودين في المدينة وأن واليها ــ صلاح الدين بن عرام ــ غائب عنها، ونائبه ــ "جنغرا أوجنفرا" ــ ضعيف لا يصلح لمثل هذه المواقف الحاسمة للدفاع عن المدينة[1].

وعندما بدأ الخطر المغولي يتجه إلى الشرق اعتمدوا على العيون والجواسيس بشكل كبير، فإذا أرادوا مهاجمة بلد ما كانوا يطلقون جواسيسهم في هذه البلد، يجمعون الأخبار من هنا وهناك ويستقصون حالة الجيش، ويختبرون حصون المدن، ويحاولون استمالة بعض الأعوان والخونة، ثم يعودون بهذه المعلومات إلى بلادهم، ويطلعون قادة الجيش عليها؛ ففي عام ٦٥٣هـ/١٢٥٦م وصلت جواسيس هولاكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي ببغداد، وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد بعدة وعود للوقوف إلى جانبهم، وجعلوهم أعواناً لهم ينقلون لهم الأخبار وتحركات الجيش العباسي ،وبالتالي كان الجواسيس سبباً من الأسباب التى ساعدت المغول على دخول بغداد[2]، وعندما عزموا على التوجه إلى مصر للاستيلاء عليها قاموا بتوجيه جواسيسهم إلى مصر فاستطاعوا أن يجمعوا الكثير من المعلومات عن أحوالها ، واستمالوا مجموعة من الخونة والعملاء كان على رأسهم الملك السعيد حسن بن عبد العزيز صاحب " الصبيبة وبانياس" الذي تخفى ولبس " سرجوق التتار " أي لبس ثوبهم وأخبرهم بأخبار المماليك واستعداداتهم[3].

وبعد دخول المغول إلى أراضي الدولة المملوكية استطاعوا أن يحققوا العديد من الانتصارات عليهم بفضل نشاط عيونهم وجواسيسهم الذين كانوا يخبرونهم بالتجهيزات التي يقوم بها سلاطين المماليك لمواجهتهم، والتي ساعدت المغول إما في غزو بعض المناطق أو تحقيق الانتصارات على جيوش المماليك ، أو الهروب من هزائم محققة كانوا سيتعرضون لها لولا هذه التحذيرات، وقد حدث ذلك في عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م عندما أخبر جواسيس هولاكو أن الملك الصالح ــ صاحب الموصل ــ قد تحالف مع الظاهر بيبرس ضد هولاكو فقام الأخير بتجهيز جيش وأراد أن يحاصر الموصل ولم يدخلها حتى يسبقهم إليها الصالح، فعلم بيبرس بذلك وقام بإرسال نجدة من الجنود إلى الموصل، ولكن أخبار هذه النجدة وصلت إلى المغول قبل وصولها بواسطة جواسيس هولاكو الموجودين في الشام وفي مصر ،فكمنوا لهم في الطريق بعيداً عن الموصل، وحينما قدمت النجدة المصرية انقض عليهم المغول فجأة فأبادوهم عن آخرهم ، ثم لبسوا ملابسهم وتزيوا بزيهم ورفعوا أعلامهم، وقرروا استعمال الخديعة

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤١٨؛ إبراهيم حسن: البحرية المملوكية ،ص ٢٥٦؛ إبراهيم عبد المنعم : جوانب من تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٤٠٠.

(2) علي السيد: الإسهام العسكري المصري في معركة عين جالوت، ص٢٢٣ – ٢٢٤؛ سند أحمد : البريد المملوكي، ص٢٢٤؛

Amitai: the mongol Empire and its Legacy, Cambridge, 1992, p. 92; Mamluks and Mongols, p. 139; Mamluk Espionge, p.173.

(3) ابن كثير : البداية والنهاية ،جـ١٣ ، ص٢٥٣.

الحيلة لأهالي الموصل لكي يخرجوا إليهم على اعتبار أنهم جنود مصريون، وبالفعل تحققت هذه الحيلة على أهالي الموصل ،واعتقدوا أنهم مصريون عندما شاهدوهم من أعلى السوار فخرج البعض لاستقبالهم[1].

ولم يقتصر الأمر على ما سبق بل نجد ملوك المغول يستعينون بالجواسيس لمعرفة خبر تجهيز السلطان بيبرس جيش لمواجهتهم عام ٦٦٧هـ/١٢٦٨م ، واستطاع المغول بمعونة عيونهم أن يقضوا عليه ، وعاد المغول إلى بلادهم [2]، وتمكن المغول من معرفة تفرق صفوف المماليك ، واختلاف كلمتهم ،واندلاع الفتنة بين صفوفهم من خلال جواسيسهم الذين أخبروهم بقتال المماليك بعضهم بعضًا ، وانشقاق سنقر الأشقر عن الملك المنصور قلاوون، فقاموا بمراسلته فلجأ إليهم، وقام بكشف أسرار سلطنة المماليك الداخلية أمام هؤلاء الأعداء، ثم تحريضه لهم على القدوم إلى بلاد الشام وامتلاكها وهو ما جعل أبغا يعتبرها فرصة سانحة فسارع بتعبئة جيش كبير لقتال المسلمين مستغلاً في ذلك نشاط جواسيسه الذين ينقلون له كل الأخبار بالتفاصيل ونزاع المماليك مع بعضهم البعض وانشغالهم بأطماعهم[3].

كما كان للعيون والجواسيس دور كبير في الانتصار الذي حققه المغول على المماليك عند " وادي الخزاندار " عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م ، فقد قاموا بعملية تعمية لتحركات غازان بقواته، واستغلوا فرصة عدم معرفة المماليك بهذه التحركات وأخذوا يبثون الأخبار الكاذبة عن هروبهم ورحيلهم إلى بلادهم، وغيرها من تلك الحيل التي دخلت على الجيش المملوكي فمني بهزيمة منكرة[4]، وبعد انهزام المماليك عند وادي الخزاندار نجد أن قازان أرسل جواسيسه لكي يكشفوا له خبر السلطان الناصر محمد هل هو أقام بدمشق أم راح إلى مصر؟ فخرج الجاسوس وغاب يوماً وليلة، ثم جاء وأخبر أن دمشق خالية ليس فيها لا سلطان ولاعسكر، ولما سمع قازان بذلك أمر بالمسير إلى الشام[5].

وقد أخبر جواسيس قازان خان ــ ملك المغول الموجودين في الشام ــ أن قفجق التحق بخدمة السلطان بمن معه من الأمراء، وسلم إليه دمشق، وخطب للسلطان صاحب مصر ، وأبطل اسمه ،

---

(١) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٣٢١؛ نعمان الطيب: جهود المماليك ، ص ٤٣ - ٤٤.

(٢) شافع بن علي : حسن المناقب السرية، ص١٥٠.

(٣) نعمان الطيب : جهود المماليك، ص ٨٣- ٨٤؛ لبيبه إبراهيم: الفتن والقلاقل في دولة المماليك، ص ٢٢٠.

(٤) الدودار : كنز الدرر ،جـ٩، ص ١٦؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص ٤٧٠؛ سعد أحمد : البريد المملوكي ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٥) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٧.

وذلك في عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م ؛فعزّ عليه ذلك، وقام بتجميع جيش للعبور به إلى بلاد الشام للإغارة عليها(١).

وقد قام جواسيس المغول القابعين داخل المعسكر المملوكي بجهود مضنية في نقل الأخبار المتعلقة بحالة الجيوش ،وقادتهم وسلاطينهم ،وقد استغلوا حالة التفرقة التى كانت عليها العساكر المملوكية عام ٧٠٣هـ/١٣٠٤م حيث تفرقت فى البلاد ؛ليربعوا خيولهم ، وكان السلطان في الصيد ولا يكترث بجموعكم هذه وعلى أساس هذه الأخبار عزم خدابنداه على غزو الرحبة(٢).

ولم يقف دور الجواسيس على إمداد المغول بالمعلومات والأخبار عن الجيوش الإسلامية فى عهد هولاكو وغازان فحسب،بل امتد هذا الأمرفى عهد تيمورلنك الذى اعتمد عليهم اعتمادًا كبيرًا فكان لايتحرك الى أى مكان إلا وهو على بصيرة بدقائقها ،وخبير بتفاصيلها ، وبلغ من دهائه أنه كان إذا أراد قصد جهة جمع أكابر الدولة وتشاور إلى أن يجتمع الرأي على التوجه في مكان محدد فى وقت محدد ،فكان يكاتب جواسيس تلك الجهات فتأخذ الجهة المعنية حذرها ، ويأمن غيرها، فإذا اضرب النفير وأصبحوا سائرين ذات الشُمال عرج بهم ذات اليمين ، فإلى أن يصل الخبر الثاني داهم هو الجهة التي يريد وأهلها غافلون(٣)، ولقد بدأ اهتمام تيمورلنك بجواسيسه يؤتي ثماره في عام ٨٠١هـ/١٣٩٩م عندما أخبروه أن برقوق توفى وعلم أيضاً أن البلاد في حالة اضطراب بسبب انشقاق الأمراء وطمعهم في السلطنة نظراً لصغر سن فرج بن برقوق فعزم تيمورلنك على المسير بسرعة نحو دولة المماليك(٤).

وعندما عبر تيمورلنك إلى أراضي الدولة المملوكية أرسل من يتجسس له الأخبار ويتعرف على أحوال البلد " فجعلوا يتجسسون الأخبار ويتتبعون الآثار" (٥) ، وعلى أساس الأخبار التي وصلت إليه من جواسيس بضعف السلطان الناصر فرج بن برقوق وانشقاق الأمراء عزم على أخذ دمشق(٦).

واعتمد ـ أيضًا ـ على جواسيسه الموجودين داخل الأراضي المملوكية في إثارة الفتنة بين الأمراء وذلك تمهيداً للاستيلاء على الشام، وذلك عام ٨٠٣هـ/١٤٠١م عندما أرسل أحد رجاله إلى دمرداش نائب حلب يعده باستمرار في نيابة حلب ويأمره بالقبض على الأمير سودون نائب الشام،

---

(١) العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص١٢٢ – ١٢٣ ؛ الدودار : كنز الدرر، جـ٩، ص ٤٥ – ٤٧؛ مجهول: تاريخ سلاطين المماليك، ص ٨٣؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ١٣١.

(٢) بيبرس المنصوري : التحفة الملوكية ، ص ٢٣٥.

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، مج٤، جـ٧، ص٦٦؛ ابن عرب شاه: عجائب المقدور ، ص ٥٤٧.

(٤) ابن عرب شاه : عجائب المقدور، ص ٢٤٣.

(٥) ابن عرب شاه : عجائب المقدور، ص ٥١.

(٦) مأمون فريز جرار : الغزو المغولي لبلاد الشام، ص ١٨٩.

جاء دمرداش بهذا الرجل أما مجموعة من الأمراء ورفض أن يقبض علي الأمير سودون، فقال هـذا الرجل أمام الحاضرين إن تيمورلنك لم يأت إلا بمكاتبتك إليه، وأنت تستدعيه أن ينزل علـى حلـب ، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدافع عنها فحنق عليه دمرداش وقام بقتله، وكان هذا الكلام من تنميق تيمورلنك ومكره ليغرق بذلك بين العساكر المملوكية[١].

كما اهتم سلاطين العثمانيين بالعيون والجواسيس للقضاء على الدولة المملوكية ، وإقامة الدولة العثمانية وتمكنوا من ذلك، وكان على رأسهم السلطان بايزيد الثاني الذي أخبره أحد جواسيسه ويدعى " إلياس " بأحوال الدولة المملوكية ووصف له الوضع المتردي الذي وصلت إليه حالة السلطنة المملوكية ناصحاً إياه بانتهاز الفرصة والانقضاض على السلطنة إذا أراد الاستيلاء عليها، وبالفعل أرسل السلطان العثماني أسطوله إلى شواطئ الإسكندرية في نحو ستين مركباً مشحونة بالمقاتلين، ومن ناحية أخـرى حاول الحصول على موافقة البندقية لتموين هذا الأسطول من ميناء الماغوصة بقبرص ولكنه فشل في ذلك، وقبل بالصلح مع الدولة المملوكية[٢].

وعندما تنازل السلطان بايزيد الثاني عن العرش لابنه سليم الأول نظر إلى الأخطاء التي وقع فيها أبوه في حربه مع المماليك فكان منها أنهم حاربوا دون أن تكون لديهم المعلومات الكافيـة عـن المماليك وعن استعداداتهم وعن أسلحتهم ومعداتهم وعن أماكن القوة ،ورأي أنه لا يستطيع أن يعـرف ذلك إلا عن طريق التجسس ، فقد عرف عن العثمانيين من خلال غزواتهم في أوربا أنهم يملكون أكبر شبكة تجسس في العالم وقتئذٍ إلا أن نشاط جواسيس العثمانيين كان منصباً على جمع المعلومات عـن القوات الصليبية. ومنذ تعسر الموقف العثماني في فتوحات أوربا وتوجـه العثمـانيين إلـى الشـرق لمواصلة فتوحاتهم بدأ جواسيس العثمانيين يركزون نشاطهم في منطقـة العمليـات العسـكرية تجـاه المماليك[٣].

ولهذا كان السلطان سليم لا يتحرك إلى أي مكان إلا بعد أن يعرف أخبار الجهة التي يتحـرك إليها عن طريق جواسيسه[٤]، كما قام بتجنيد بعض العناصر المملوكية لإمداده بالمعلومات والأسـرار العسكرية المملوكية وكسب تعاون هؤلاء معه في الحروب مع المماليك[٥].

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١٠٣١ – ١٠٣٢.

(٢) أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي ، ص ١١٨ – ١٢٣.

(٣) عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٨٨.

(٤) ابن زنبل : سيرة السلطان قانصوه الغوري ،جـ١، ورقة ٨.

(٥) عماد محمد : العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٨٩.

وقد لعب خاير بك دوراً خطيراً في سقوط دولة المماليك البرجية بتعاونه مع العثمانيين، والذي كان بدايته في عهد السلطان الناصر محمد بن السلطان قايتبـــاي (٩٠١- ٩٠٤هـ/ ١٤٩٦م- ١٤٩٨م) عندما عينه رسولاً إلي السلطان بايزيد عام ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨م لإخباره بنبأ اعتلائه العرش[١]، واستطاع السلطان العثماني التأثير على خاير بك، ومناه بوعود ومكافآت ليكون عيناً له علي السلطنة وأحوالها[٢] ثم توطدت عرى الصداقة بين خاير بك، والعثمانيين في عهد السلطان سليم عندما راسل خــاير بــك وجان بردي السلطان سليم، واتفقا معه أن يعاونانه علي أخذ مصر والشام[٣].

وبالتالي بدأت الرسائل السرية تتبادل بينهم عندما أرسل السلطان سليم العثماني رســالة إلــى خاير بك مع بهرام سلحدار باشا، فرد عليه خاير بك برســالة فــي ٢٢ ذي الحجــة ٩١٨هـ/ فبرايــر ١٥١٣م، ويبدو لي أن أهم ما ورد بهذه الرسالة تأكيد خايربك للسلطان سليم أنه واقف علي أثبت قـدم لما يرد عليه من المراسيم والخدم ليفوزوا بقضاياها وامتثالها بالسمع والطاعة[٤].

وأرسل السلطان سليم إلى خاير بك عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م ليتأكد من خبر إرسال الصــفويين رسلاً إلي الغوري طالبين منه المساعدة [٥].

وقد بدأ خاير بك بتنفيذ إتفاقه، وذلك عندما أرسل رسالة إلي السلطان الغوري قبل أن يرحــل بجنوده من الريدانية متوجهاً إلي حلب لمقاتلة ابن عثمان يخبره فيها أن السلطان سليم يقصد الصلح فما كان ذلك سوي خديعة دبرها سليم العثماني، وعمليه الخائن[٦] بهدف ثني عزم الغوري عن الاستعدادات الجادة لمحاربة العثمانيين، وكان يهدف ـــ أيضاً ـــ إثارة نوع من الانقسام بين صفوف المماليك ما بين مؤيد، ومعارض، وينشغلوا في هذا الخلاف فضلاً عن كسب مزيد من الوقت ليستطيع السلطان ســليم من إعداد قواته الإعداد الجيد وتسليحه بالأسلحة الحديثة، ووصول الإمدادات إليه بقيادة سنان باشا[٧].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٦٢٥-٦٣٢ ؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٩٠.

(٢) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعة مرج دابق، ص٢٤٤؛ لبيبه إبراهيم: الفتن والقلاقل الداخلية في عصــر سلاطين المماليك، ص٢٢٦.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٥٨ ؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٩٠.

(٤) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعه مرج دابق، ص ٢٤٦.

(٥) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في معركة مرج دابق، ص٢٤٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٣٠ ؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بــين المماليــك البرجيــة والعثمــانيين، ص٢٩٠.

(٧) إبراهيم علي طرخان: مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، (د. ن) ١٩٦٠م، ص١٧٨ ؛ عمــاد محمــد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٩٠.

واستطاع خاير بك أن يقنع الأمير أينال باي دوادار سكين بأن ابن عثمان يريد الصلح وطلب خاير بك أن يبلغ ذلك للسلطان الغوري، وعندما أرسل السلطان الغوري الأمير أينال باي إلي حلب لكشف أخبار ابن عثمان وأسباب تجهيزه للعسكر ،هل يريد الحرب مع المماليك أم الصفويين " فعـاد وأخبر بذلك" [1].

أما السلطان سليم الأول فقد أرسل أحد جواسيسه إلي الدولة المملوكية ويدعي الشـيخ أحمـد الكردي إذ أراد السلطان سليم أثناء توجهه إلي الشام أن يتعرف تحركات الغـوري ومـدي اسـتعداده القائه، ونواياه السابقة للصدام المنتظر ،ومدي احتمال قيامه بالعدوان علي القـلاع المجـاورة للدولـة الجركسية. لنقل ميدان المعركة خارج حدود الدولة المملوكية ومباغتة السلطان سـليم قبـل اسـتكمال استعداداته ،وكان يريد ــ أيضًا ــ معرفة حقيقة الأوضاع في بلاد الشام[2].

وعندما فرَّ الأمير خشقدم شاد الشون من مصر عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م ووصل إلى السلطان سليم الأول بسبب جور وقع عليه من السلطان الغوري فرحب السلطان سليم به، واتخذه عينـاً لـه علـي السلطان الغوري فى مصر وقام خشقدم بتحريض السلطان سليم علي السير إلي بلاد السلطنة، وأخبره بأماكن الضعف فيها، وحسَّنَ له غزوها واحتلالها، ومما يبرهن علي أن خشقدم كشف أحوال السلطنة الداخلية للسلطان سليم أنه بعد هزيمة السلطان الغوري في معركة مرج دابق عـام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، ودخل قضاة القضاة علي السلطان سليم وبخهم بالكلام وقال لهم" أنتم تأخذون الرشوة علـي الأحكـام الشرعية، وتسعون بالمال حتى تتولوا القضاء، لماذا لم تمنعوا سلطانكم عن المظالم التي كان يفعلهـا بالناس"[3].

كما أرسل السلطان سليم إلي بيري بن بلطة حاكم " أورفه"- وهي قريبة من الرها- يستفسـر منه عن مصير الجواسيس الذين أمرهم ابن بلطة بالتجسس علي المماليك لحساب السـلطان سـليم، إذ سأل السلطان سليم حاكم "أورفه" عن أخبار المماليك، وأمر السلطان سليم ذلك الحاكم بإرسـال أحـد هؤلاء الجواسيس إلي نيابة حلب لجمع معلومات عن الأوضاع السياسية بها [4]. وكان هـذا اسـتخدام السلطان سليم للجواسيس والخونة قبل المعركة لمعرفة أخبار المماليك، أما دور هؤلاء أثناء المعركـة فظهر من خلال قيام خاير بك وجان بردي الغزالي بمساعدتهم.

---

(1) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩٠.

(2) عماد محمد: العلاقة السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٦٨-٢٩١.

(3) لبيبه إبراهيم: الفتن والقلاقل الداخلية في عصر المماليك، ص٢٢٥.

(4) عادل عبد الحافظ: دور خاير بك في موقعه مرج دابق، ص٢٥.

وفيما يتعلق بالأميرين خاير بك وجان بردي الغزالي فأنهما قد قاما بدور خطير أثناء معركة مرج دابق ؛حيث كان من المقرر أثناء المعركة أن يحيط الجناحان في الجيش المملوكي بالجيش العثماني فنفذ الأمير سيباي شطراً من الخطة الموضوعة وأحاط بأخبار الخيالة الأسيوية الإقليمية فأجبرت تلك القوات علي الانسحاب من مواقعها ولقد أصيبت القوات الانكشارية بسبب ذلك بخسائر فادحة، ولو التزم خاير بك بتنفيذ الخطة الموضوعة لانهزم العثمانيون في هذه الموقعة(١).

ولم يقتصر الأمر على ما سبق بل أشاع خاير بك بين صفوف الجند أثناء القتال أن السلطان الغوري أمر جلبانه بعدم القتال حتى يصدر أوامره إليهم، وحتى يقاتل القرانصة وحدهم، وبسبب هذه الإشاعة المغرضة فترت همة القرانيص، إذ رأوا فيها خطة دنيئة من جانب السلطان الغوري فقد أراد بها أن يكون القراصنة أول من يتلقى نيران العثمانيين انتقاماً منهم لما ارتكبوه في حقه في السابق فقال الجنود القراصنة للسلطان: "نحن نقاتل بأنفسنا مع النار وأنت واقف تنظر إلينا بالعين الشامتة ما تأمر أحدا من مماليكك يخرج إلى الميدان" (٢)، ففترت عزيمة الجنود القراصنة بسبب ذلك وحصل الخلاف بين الجنود والمماليك وكان خاير بك وراء هذا الخلاف، وكان ذلك ضمن المخطط المتفق عليه من قبل مع السلطان سليم والغرض منها إشاعة الفرقة بين الجنود أثناء القتال ،وكان له الأثر الكبير في هزيمة المماليك.

ولقد اتضح لنا ــ من رواية بن زنبل لأحداث المعركة ــ دور جان بردي الغزالي بالاشتراك مع خاير بك لإتمام الشطر الثاني والأهم من مخطط الخيانة ،وقد تم الاتفاق على أن يتوغل الأميران الخائنان في الجيش العثماني حتى يصلان إلى خيمة السلطان سليم وينهبانها ويأتيان بما سلبوه أمام السلطان حتى يأمر بقية الجند بالهجوم ،فقال ابن زنبل: فلما أن كسر السلطان سليم وولى عسكره هاربين وإلى النجاة طالبين دخل عسكر الجراكسة إلى "وطاقه"(٣) فنهبوا وغنموا وأخذوا الزردخانة جميعاً وجاءوا بها إلى السلطان(٤) ،وانشغل المماليك بالنهب والسلب، وعندما لاحظ بعض الأمراء ذلك صاحوا فيهم قائلين:"اصبروا، ربما يكون العدو فعل هذه الفعلة حيلة عليكم"(٥).

ويتظاهر السلطان سليم بالفرار والهرب ويتبعه المماليك ،وفي تلك اللحظة يعود العثمانيون ويلتفون حول الجنود المملوكية فيعملون فيهم القتل ؛قال ابن زنبل: " ومن الاتفاق العجيب أنه في

---

(١) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩١.

(٢) ابن زنبل، أخرة المماليك، ص١٦.

(٣) "الوطاق" : " لفظ تركي بمعنى الخيمة الكبيرة أو المخيم الذي يستقر به السلطان"، محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٩٠م، ص١٥٥.

(٤) ابن زنبل: سيرة السلطان قانصوة الغوري، مخطوط، جـ١، ورقة٤٥.

(٥) ابن زنبل: سيرة السلطان قانصوة الغوري، مخطوط، جـ١، ورقة٤٥.

رجوع السلطان سليم بالإنكشارية كان خروج الجراكسة من وطاقه بعدما حرقوه فصارت ظهورهم في وجوه الروم... وعملوا في ظهور الجراكسة "[١]، ثم ينسحب الأميران خاير بك وجان بردي الغزالي أثناء وجود العسكر المملوكي داخل الطوق الذي فرضه العثمانيون ثم يشيع جان بردي وخاير بك بين الجنود بأن السلطان الغوري قد قتل وبذلك تفتر عزيمة الجند عن القتال وينهزم المماليك في هذه الموقعة ،وقد عبر عن ذلك ابن زنبل بقوله : " وإن خاير بك والغزالي تموا هاربين منهزمين حتى دخلوا وطاقهم فأطلقوا النار في الوطاق وزعقوا على مماليكهما وغلمانهما بالفرار فإن السلطان الغوري قتل... وكان ذلك منهما كذباً وبهتاناً "[٢]، أما ابن اياس فذكر قائلاً: "وممن كان موالساً على السلطان في الباطن خاير بك نائب حلب فإنه أول من كسر عسكر السلطان، وانهزم عن ميسرته، وتوجه إلى حماة"[٣].

هكذا استطاع العثمانيون تحقيق انتصار سريع وحاسم في معركة مرج دابق عن طريق امتلاكهم لمجموعة من الجواسيس والخونة[٤].

وبعد انتهاء معركة مرج دابق واصل الأميران دورهما في الخيانة؛ فقد سلَّم الأمير خاير بك حلب إلى السلطان سليم دون قتال، وذلك عندما أشاع قتل السلطان الغوري فقام بتحريض محمد بن قانصوة الغوري على سرعة مغادرة حلب، والعودة إلى مصر ليبايعه المماليك بالسلطنة مكان أبيه، وبالفعل خرج الأمير محمد بن السلطان من حلب وبخروجه خلت حلب من كل عنصر من عناصر المقاومة المملوكية، ولما أراد السلطان سليم أن يكافئ خاير بك على تلك الخدمات العظيمة التي قدمها للدولة العثمانية عندما دخل حلب، طلب مقابلة خاير بك " فلما حضر خلع عليه وصار من جملة أمرائه ولبس زي التراكمة العمامة المدورة والدلامة، وقص ذقنه، وسماه السلطان خاين بك لكونه قد خان السلطان"[٥].

ويتلخص دور جان بردي الغزالي في منع الجنود المملوكية من الوصول إلى مصر عقب مرج دابق وأبقاهم في الشام [٦]،فقد اتفق جان بردي الغزالي مع خاير بك على أن يبقي خاير بك مع السلطان

([١]) ابن زنبل: سيرة السلطان الغورى، مخطوط، جـ١، ورقة ٤٦ـ٤٧.

([٢]) ابن زنبل: سيرة السلطان الغوري، مخطوط، جـ١، ورقة٤٧.

([٣]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٥١.

([٤]) نظير حسان سعداوي: دولة البرين والبحرين ، المجلة التاريخية المصرية، ع ١٣، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٦٢.

([٥]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٥١.

([٦]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٥٥.

سليم، ويذهب جان بردي الغزالي إلى مصر ليكون جاسوساً لهم هناك [١]، وعاد جان بردي الغزالي إلى مصر ليتولى نيابة الشام ويواصل مهامه كعميل وجاسوس للعثمانيين[٢].

وبالتالي فقد واصل جان بردي الغزالي سلسة تخابره وخيانته للدولة المملوكية، فعندما أسند إليه السلطان طومان باي قيادة الحملة المملوكية المتوجهة إلى غزة خرج بعدد قليل وتبعه باقي الجنود بعد ذلك، فقد خرج الغزالي قبل العسكر بأيام، وصار الأمراء والعسكر يخرجون بعده متفرقين بتكاسل زائد [٣] فانهزم أمام العثمانيين، وقتل عدد كبير من جنوده، وفر هارباً إلى مصر بعد أن دمر جزءاً كبيراً من الجيش المملوكي في غزة.

وقام الغزالي بدور آخر تمثل في قيامه بقطع الاتصال بين الشام ومصر حتى لا تصل أخبار العثمانيين إلى مصر وتعويق العسكر المصري بالشام[٤].

وفي معركة الريدانية لم تؤد الأسلحة النارية الحديثة التي أعدها السلطان طومان باي الآمال المعقودة عليها؛ لأن الأمير جان بردي الغزالي أصدر أوامره بأن تثبت المدافع على قواعد ثابتة بدلاً من تحميلها على العربات، وبذلك تكون غير قابلة للتوجيه والمراوغة هنا وهناك،ولم يكن ذلك فحسب بل أمر أن تدفن هذه المدافع في الرمال عمداً زيادة في إخفائها وهي معمرة[٥]، وكان حيلة جان بردي الغزالي في ذلك حتى لا يراها جواسيس العثمانيين ويخبرونهم بذلك[٦].

وعندما تفقد السلطان طومان باي المعدات الحربية للاطمئنان على استعدادات الجيش وجد المدافع التي تعب كثيراً في إعدادها فضلاً عما كلفته من أموال قد دفنت في الرمال، وعندما سأل عمن وراء هذه الكارثة أخبروه أنه جان بردي الغزالي، فتأكد لديه خيانته فهم بقتله إلا أن الأمراء منعوه من ذلك نظراً لوصول العثمانيين إلى الريدانية [٧].

---

(١) أنور زقلمة: المماليك في مصر، ص١٠٦ ؛ محمد عبد المنعم الراقد: الغزو العثماني على مصر ونتائجه على الوطن العربي، القاهرة، مطبعة مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٢م، ص١٧١.

(٢) عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩٤.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص١٢٩ ؛ أسامة محمد: جان بردي الغزالي، ص٧.

(٤) أسامة محمد: جان بردي الغزالي، ص٥.

(٥) الأشبيلي: الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم٦٥١، ورقة٢٨ – ٢٩.

(٦) ابن زنبل: أخرة المماليك، ص٤٨ – ٤٩ ؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٦٣.

(٧) ابن زنبل: أخرة المماليك، ص٣٠.

وبعد نجاح جان بردي الغزالي في مهمته أرسل خطاباً سرياً إلى خاير بك أخبره بأمر الأسلحة واستعداد المصريين، وأشار عليه بأن يدور ويأتي من جانب الجبل، وبذلك يصبح في أمان من مرمى مدفعية المماليك[1].

وعقب هزيمة المماليك في الريدانية انضم جان بردي إلى صفوف العثمانيين كحليف لخاير بك، وكافأه السلطان سليم بعد ذلك لخيانته بأنه جعله نائباً على الشام[2].

وبعد انكشاف أمر جان بردي الغزالي كان على السلطان سليم البحث عن عناصر جديدة وأعوان جدد لمساعدتهم في التخلص من المماليك وخصوصاً طومان باي ، فوجد جانم السيفي كاشف الفيوم، الذي تخلى عن طومان باي بعد واقعة الريدانية، وانضم إلى سليم الذي صار يستشيره كما كان يستشير خاير بك وزميله من قبل[3].

ولما ذهب السلطان طومان باي إلى الجيزة اجتمع حوله نحو ألفين من الفرسان الجراكسة وحوالي سبعة آلاف من العربان، وكان هدفهم الهجوم فجأة على العثمانيين إلا أن جانم السيفي كاشف الفيوم انسحب من جيش طومان باي وذهب إلى السلطان سليم في الخفاء وأخبره بخطة طومان باي، فطلب السلطان سليم منه أن يساعده للقضاء على هذه المقاومة تماماً ، ودارت رحى الحرب فانتصر طومان باي وفر الأمير جانم السيفي وقائد الانكشارية إياس أغا وأبو حمزة أحد الأمراء الخائنين الذين انضموا إلى السلطان سليم لينقلوا إليه أخبار هذه الهزيمة[4].

ووقعت أعظم خيانة في سلسلة الخيانات من الشيخ حسن بن مرعي شيخ عرب محارب عندما التجأ إليه طومان باي، ومعه أعوانه فحدثته نفسه بتسليم طومان باي للفوز بالمكافأة التي رصدها السلطان سليم وشجعه على ذلك ابن عمه الشيخ شكري بقوله: "وهل عاقل يبيع عاجله بآجله لا تمل إلى الكفة الخاسرة فيحصل لك الخسران"[5].

---

(1) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٩٤- ٩٥ - ٩٦ ؛ ابن زنبل: أخرة المماليك، ص٤٩ ؛ السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٦٣ ؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٩٥.

(2) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٤٩ ؛ عماد محمد: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٩٥.

(3) إبراهيم طرخان: مصر في عصر دولة المماليك، ص٢٠٤ ؛ عماد محمد: العلاقات العثمانية المملوكية، ص٢٩٥.

(4) ابن زنبل: أخرة المماليك، ص٦٤ - ٦٨ ؛ عماد محمد: العلاقات العثمانية المملوكية، ص٢٩٨ - ٢٩٩.

(5) ابن زنبل: أخرة المماليك، ص٩٦ - ٩٨.

فأرسل حسن بن مرعي إلى السلطان سليم يخبره بوجود طومان باي لديه فأرسل فرقة من جيشه قبضت على طومان باي وقيدته في الحديد وعادت به إلى السلطان سليم ثم أمر بعد ذلك بإعدامه على باب زويلة (١).

ومما سبق يتضح ــ لنا ــ مدى خطورة الدور الذى قام به العيون والجواسيس الذين شكلوا سلاحًا فتّاكًا تمكنت من خلاله الدول التغلغل داخل حشايا أعدائها،ومعرفة كل صغيرة وكبيرة في أمورها ؛ فكانوا سببًا رئيسيًا فى إسقاط دول ، وقيام دول أخرى، فكما كانوا عونًا للدولة المملوكية ضد قوات المغول والصليبيين والعثمانيين كانوا ــ كذلك ــ السلاح القاتل الذى غُمِد فى صدر دولة المماليك ،وسقطت على أيديهم دولتهم الفتية،وقامت بمعونتهم الدولة العثمانية فى مصر .

---

(١) ابن زنبل: أخرة المماليك، ص١١١.

الفصل الرابع

دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي

أولا: الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها.

ثانيا: دور التجسس في مواجهة الفتن والثورات الداخلية.

ثالثا: دور التجسس في التخلص من بقايا الشيعة.

رابعا: دور التجسس في الحياة الاقتصادية.

خامسا: دور المرأة في التجسس.

سادسا: العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس والخونة.

الفصل الرابع

دور التجسس في تحقيق الأمن الداخلي

أولاً: الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها:

اتخذ سلاطين الأيوبيين والمماليك بعض الإجراءات الوقائية لحماية أمن بلادهم من جواسيس الأعداء الذين كانوا يحاولون، عبور أرضهم للاطلاع على أحوالهم وأخبارهم، وبالتالي كان السلاطين يدركون جيداً حتمية أن تكون الدولة بغير مسام تتسرب منها أية معلومات قد تفيد الأعداء وكان هذا مفهوم أمن الدولة لديهم ، وكانوا يعدون الدولة مثل البستان عليه سياج، فمن هو خارج السياج يهاب الدخول، فإذا خرج منها من يدل علي عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم إليها[١].

ونطلق عليه في عصرنا الحالي الأمن الوقائي ؛ وهو عبارة عن جميع الإجراءات والترتيبات التي تتخذها الدولة للحفاظ علي أسرارها وحماية منشآتها، وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية فقد لجأ الأيوبيون والمماليك إلى اتخاذ بعض التدابيرات الوقائية لحماية أمنها[٢].

(١) حفظ الطرق وحماية الثغور:

بقدر النشاط الذي انطلق فيه الأيوبيون والمماليك في استطلاع الأخبار عن عدوهم بقدر حرصهم علي اتقاء نشاط جواسيس العدو في بلادهم وذلك من خلال الاستعانة ببعض قبائل العربان التى تعيش فى المناطق الحدودية؛ إذ كانت السلطة الحاكمة فى مصر تلزمهم بحفظ الطرق وحماية الثغور فكانوا يقومون بمسح الرمال أثناء الليل بحيث لا يبقي به أدني أثر، ثم يأتي أمير العربان في الصباح، فإن وجد به أثر طالب العربان بإحضار صاحبه، فلا يزالون به حتى يحضرونه إلى الوالي[٣].إلي جانب ذلك كان هؤلاء العربان يقومون بترتيب مجموعة من الخفراء فى البلاد ، وينزل هؤلاء الخفراء في أماكن معدة لهم علي الطرقات بين البلاد وكانوا لا يسمحون لأحد بالعبور قبل عرضه علي الوالي الذي يقوم بمنحه براءة للعبور إذا تأكد أنه لم يكن جاسوساً للأعداء[٤].

---

(١) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص١٨-١٩-٢٠.

(٢) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٨.

(٣) ابن بطوطة: رحله بن بطوطة، ص٥٤ ؛ القلقشندى، صبح الأعشي، ج١٤، ص٣٧٧ -٣٧٨ ؛ محمد فتحي: إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٦م، ص٢٠ ؛ رزق محمد نسيم: الثغور المصرية في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب طنطا، ٢٠٠١م، ص١٠٣.

(٤) ابن بطوطة: رحله بن بطوطة، ص٧٢ ؛ سليمان عطية: سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عهد السلطان برسباي، ص٢٠٩-٢١٠؛رزق محمد نسيم: الثغور المصرية في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٢ -١٠٣

كما نجد أن قبيلة العايد التزمت بتأمين الطريق البري بين مصر والشام ،والتي كانت بمثابة بوابة الشام إلى مصر ومسلكاً لقصاد وجواسيس الصليبيين يدخلون منها إلى مصر ويخرجون دون أن يعلم بهم أحد ،وهذا ما دعى سلاطين بني أيوب ــ من قبل – إلى إلغائها رغم أنها كانت طريقاً مهماً للتجار القادمين من قطيا، وتكمن صعوبة هذا الطريق في استحالة عبور أي شخص منه إلا "بدليل" من قبيلة العايد لمعرفته بدروبه، حيث كانوا يهتدون برؤوس الأكام نهاراً وبالنجوم ليلاً، كما كـــانوا علـى دراية واسعة بعيون الماء وأسمائها في هذا الطريق، فيردون واحداً ويصدرون عن أخر، لكثرة عيون الماء به والتي وصلت إلى أربعين عيناً، وكان على عرب العايد مطالعة السلطان بكل صغيرة وكبيرة من الأخبار التي تحدث داخل دركهم[1].

وقد قامت السلطة الحاكمة بالتأكيد على حماية المناطق الحدودية التى يمكن للأعداء أن يدخلوا مصر منها ،وأصدرت تعليماتها لولاة كل من الشــرقية والجيزيـــة وأطفــيح[2] ودميــاط والغربيــة ونستروه[3] ورشيد والطينة[4] وتنيس [5] وقطيا [6] بضبط مناطقهم ،واستخدام النوبات بها فلا يفــارق صاحب النوبة مكان نوبته حتى يحضر صاحب النوبة الأخرى ويستلمها ،كما حددت السلطة الحاكمـة ضوابط وعقوبات لمن يخالف ذلك .

هذا ،وقد شارك التراجمة غيرهم من المسئولين في حماية البلاد، واستتباب الأمن فيها وحماية أمـن الدولة من تسرب الجواسيس إليها فقد وضعت السلطات المملوكية بعضهم لرصد تحركات الرحالة الأجانـب الذين يفدون علي السلطنة وذلك خوفاً من أن يكونوا جواسيس علي البلاد[7].

كما كانوا يقومون أيضا بمراقبة حجاج بيت المقدس فكانوا يقومون بجمــع هــؤلاء الحجــاج وتسجيل أسمائهم وأعمارهم وأوصافهم الشخصية، ويرسلون منها نسخة إلى كبير التراجمة بالقــاهرة ونجد أن هذه الاحتياطات كانت تتخذ عند القدس وكانت تتخذ أيضاً عند ميناء يافا[8].

---

(١) الداودار : الدر الفاخر، ص١١٥ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص١٤٨.

(٢) أطفيح : بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل من الشرق ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص١٢١

(٣) نستروه : جزيرة بين دمياط والإسكندرية ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص١٢٢

(٤) الطينة : بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص١٢٢

(٥) تنيس : جزيرة فى البحر بين الفرما ودمياط ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص١٢٢

(٦) قطيا :، قطية : قرية فى طريق مصر قرب الفرما ؛ شافع بن على : الفضل المأثور ص١٢٢

(٧) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة في مصر المملوكية، ص١٤١.

(٨) علي السيد: القدس في العصر المملوكي، ص٢١٤-٢١٥ ؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص١٤١.

ففي عام ٨٣٩هـ/١٤٣٥م نجد أن الترجمان أخذ يسأل بعض الحجاج المسيحيين الذين نزلوا إلى الإسكندرية بغرض الزيارة وأخذ يسألهم عن كثير من الأشياء عن عاداتهم وتقاليدهم ومصادر ثرواتهم، وعن البابوية والأباطرة، وأحوال بلادهم السياسية وكل هذه أسئلة لها مدلولها السياسي علي أمن البلاد. وإن دل ذلك علي شيء فإنما يدل علي عدة أمور هي:

- فطنة كبير التراجمة بالقاهرة وتحسبه من أن يحدث بعض أنواع التلاعب وتبصير نوابه في الأقاليم التابعه لمصر والعمل يداً واحدة للحفاظ علي أمن البلاد.
- إحكام الضبط والربط والمراقبة الشديدة علي الداخلين إلى مصر والخارجين منها، ومعرفة هويتهم والتفتيش عليها تفتيشاً دقيقاً(١).

وإمعاناً من السلاطين في حماية حدود الدولة والمحافظة عليها وحفظ الطرق نجد أنهم قاموا بتكليف بعض الفرق العسكرية بالوقوف علي حدود الدولة مع الأعداء، وذلك لحفظ الطرق، والكشف عن جواسيس الأعداء والقبض عليهم بمجرد عبورهم حدود الدولة، والتحقق من هوية من يصادفهم في الطريق(٢)، وفي الغالب أن هذه الفرق كانت تقيم فيما يعرف بالمسالح(٣)، وهي نقاط المراقبة المتقدمة، وكانت مهمة المسالح مراقبه العدو(٤) وقائد المسلحة هو المسئول عن جمع المعلومات(٥)، وتكون المسالح غالباً بعيده عن مقرات الجيوش(٦).

وفي ذلك يقول أبو يوسف صاحب كتاب الخراج(٧): "وينبغي للإمام أن تكون له مسالح علي المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه رقيق رد، ومن كانت معه كتب قرئت كتبه، فما كان من خبر من أخبار المسلمين قد كتب به أخذ أصيب معه الكتاب وبعث به إلى الأمام ليري فيه رأيه"، ومن هنا نستنتج أن انتشار الجند علي الحدود مع العدو يمكن المسلمين من إلقاء القبض علي جواسيس العدو ويحمي الدولة، وقد حدث ذلك في عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٨م عندما استطاع هؤلاء الجنود من القبض على بعض الأشخاص

---

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص١٤٢.
(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٢٧-٥٨.
(٣) المسالح: مواضع المخافة، والمسلحة كالثغر والمرقب فيها أقوام العدو لئلا يطرقهم علي غره، فإذا رأوه أعلموا أصاحبهم ليتأهبوا له، والمسلحة الجيش أصحاب السلاح الذين يحفظون المواضع. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٥ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٤٨٧.
(٤) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م ، ص٤٧ -٢٢٤.
(٥) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي، ج١، ص٤٣.
(٦) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٢.
(٧) كتاب الخراج، ص١٩٠ ؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٣.

الصليبيين كانوا يحملون رسائل كانت قد أرسلت من القدس، تتضمن أخبار البلد، وما تحتاجه من الغلة والعدة والرجال، وبالتالي تم منع وصول هذه الأخبار إلى العدو[1].

كما استطاع هؤلاء الجنود القبض على مجموعة من التتر عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م كانوا يريدون عبور الأراضي الإسلامية لتجسس الأخبار ولكنهم تمكنوا من منعهم[2]، وفي عام ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م تمكنوا من القبض على بعض جواسيس التتار كانوا يريدون العبور إلى أراضي الدولة المملوكية[3].

هذا ؛ونظراً لكثرة تواتر الرسل في عهد الدولتين الأيوبية والمملوكية، ونظراً للدور الخفي الذي كان يقوم به هؤلاء الرسل في تحسس أخبار البلاد فكان يجب علي الدولتين اتخاذ العديد من الإجراءات الأمنية مع هؤلاء الرسل الواردين علي البلاد منذ تواجدهم علي الحدود حتى رحيلهم إلى بلادهم مرة أخرى ،وبالتالي قامت الدولة بتخصيص بعض الأفراد الذين يقومون باستقبال هؤلاء الرسل الواردين علي السلطان، والقيام بمراقبتهم وتضليلهم في المسالك والدروب المبعدة [4]، ومنعهم من الاجتماع بأحد ووضع العيون عليهم ومراقبتهم والعمل علي منعهم من الحصول علي أي معلومات تتعلق بالطرق والحصون وقوة الدولة وقوة حصونها وأسلحتها[5]،وهو ما حدث عندما قام السلطان صلاح الدين بإحاطة مبعوث عموري الأول الملك الصليبي بمن قام بمراقبته ومنعه من الاتصال بالمتآمرين وعلم منهم كل شئ عن تفاصيل المؤامرة[6]، وفي عام ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م أخبر صاحب سيس السلطان الظاهر بيبرس بحضور رسول من عند أبغا بن هولاكو لمقابلة السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشد حلب ليتسلمه من سيس ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدث مع أحد[7] وتكرر نفس الأمر في عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م[8].

---

(١) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤ ؛ مصطفى علي: أمراء الطواشية، ص٩٤.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٧٣ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٦٢- ٦٣ ؛ بيومي الشربيني: الوفود السياسي في عصر المماليك، ص١٥٤ ؛ Amatai, Mamluks and Mongols, P. 107

(٣) النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص٣١ ؛ نعمان الطيب: جهود المماليك في تصفية المغول، القاهرة، مطبعة الحسين، ١٩٨٨م، ص٨٦.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٢٠٥.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص١٣٣ ؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص١٥٨.

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب، جـ١، ص٢٤٥ ؛ سعيد عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٣٤ ؛ صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٣٦ ؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص١١٠.

(٧) فاتن عبد الحليم: تاريخ التراجمة، ص٥٨.

(٨) ابن الفراء: رسل الملوك، ص١٤٧- ١٤٨ ؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٧، ص٣١٦ ؛ منى عبد الرحمن: السفارات الأجنبية، ص٣٦ ؛ محمد التابعي: السفارات في الإسلام، ص١٥٨.

ولتحقيق أمن الدولة وحفظ الطرق اهتم سلاطين الأيوبيين والمماليك بعمارة سلسلة من المناور" أو "المنائر" التي تربط أطراف الدولة بالعاصمة وهي عبارة عن أبراج للمراقبة[١]. هذا ؛وقد وصى الأقصرائي السلاطين بأن يكونوا حارسين للأمور ويقيموا الكثير من المراقب ويقصد بها أماكن المراقبة أو الرصد[٢].

وكانت أهم هذه المنائر تلك التي أقيمت علي الجبهة الشرقية المواجهة للمغول، والتي كانت في قلعتي البيرة والرحبة – الحدوديتين من النقاط المهمة بها – وكانت تتصل هذه المناور بقلعه الجبل بالقاهرة[٣]، كما قام السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م ببناء برج في قارا[٤]، وأمر ببناء برج أكبر منه في قارا أيضا وذلك لحفظ الطرقات وصون الرعية[٥].

ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية أمنها باتخاذ بعض المراكز الحربية علي الحدود وسميت هذه المراكز الحربية باسم "الثغور"[٦]، وكان الهدف من إقامتها إخماد أي حركة تقوم بها طلائع العدو فتكون نقطة البداية لمراقبة العدو وجواسيسه[٧]، وقد اهتم بها الأيوبيون والمماليك وأولوها عناية فائقة لأنهم اعتقدوا أن في إهمالها خللا في أمن الدولة وحمايتها[٨].

ولهذا نجد أنهم قاموا بوضع نظام دقيق في هذه الثغور لمنع تسرب الجواسيس إلى داخل حدود الدولة ؛وذلك عن طريق القيام بإعداد شباب وتدريبهم علي حماية الثغور الإسلامية[٩] بوضع الحفظة والمتحسسون والخفر خارج الثغر أو المدينة وحولها حتى يأتون بأخبار من يوجد خارج المدينة[١٠]،

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٤، ص٣٩٩ ؛ جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص٩٣.

(٢) نهاية السؤال والأمنية، ص٥٣١.

(٣) جيهان فاروق: القلاع والحصون، ص٩٣.

(٤) قارا: وهي قرية تقع على بعد ٢٦ ميلاً من حمص فيما بينها وبين دمشق. انظر النويري: نهايات الأرب، جـ٣٠، ص٩٨.

(٥) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٠، ص٩٨ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥١١.

(٦) الثغور: جمع ثغر، والثغر بالفتح ثم السكون محل موضع من أرض العدو ويسمي ثغراً كأنه مأخوذ من الثغره وهي الفجوة في الحائط، وهو في مواضع كثيرة، منها ثغور الشام. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٧٩.

(٧) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٤

(٨) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٢ ؛ عثمان عبد المجيد: الأسطول والبحرية علي عصر سلاطين المماليك، ص٨٣.

(٩) عبد الجواد خلف: القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وأثاره، كراتشي – باكستان، سلسلة منشورات جامعه الدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م، ص٢٧٠.

(١٠) نظام الملك: سياست نامه، ص٣٩ ؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة ، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م، ص٣٩٦.

وهو ما حدث في ثغر الإسكندرية ؛إذ كان هناك خفراء خارج باب ثغر الإسكندرية عند إغـلاق باب للقيام بهذه المهمة ،ونجد أنه كان يصرف لهم مرتبات ثابتة لضمان قيامهم بهذه المهمة[١]، وكان هؤلاء الخفراء عبارة عن عيون لرصد أي شيء يحدث خارج أبواب الثغر وذلك حتى لا يباغت الثغر أحد فجأة وهم غافلون[٢]، وكان يوجد مع هؤلاء الخفراء مجموعة من المخبرين وذلك لكي يسرعوا بتبليغ الأخبار إلى داخل الثغر إذا حدث أي شيء خارجة[٣]؛ ولهذا نجد أن هؤلاء الخفراء كان منهم من يقوم بحفظ الأمن، ومنهم من كان يقوم بالتجسس.

وكان أيضاً بثغر الطينة خفراء بأعداد وفيرة لدرجة أن أحد الأمراء قد استعان بهم فـي عـام ٩١٤هـ/١٥٠٩م للتصدي لأحد مراكب الفرنج التي هاجمت ثغر الطينة ،وكانوا يرغبون في تجسس أخبار الثغر إلا أن هؤلاء الخفراء منعوهم من ذلك وأسروا منهم جماعة واستولوا على المركب[٤].

وللحذر من تسرب جواسيس العدو وعيونه إلى داخل الثغر أو المدينة كان يتم تعيين بوابين من أهل المدينة لهم سمات أهل البلد، وذلك حتى إذا أتاهم غريب أو دخل عليهم عرفوه؛ ولا يدخلها إلا بعد معرفة حالة والتأكد منه ومن القَصد الذي جاء من أجله، ويجب أن يكون معهم امرأتان أو أكثر ممـن يوثق بهم، يتصفحن وجوه النساء إذا دخلن؛ حتى لا يدخل الرجال بجلاليب النساء[٥].

وكان البوابون يقومون بالتدقيق في وجوه الداخلين إلى المدينة والخارجين منها لمعرفة هويتهم وعدم السماح بالخروج من هذه المنافذ إلا لمن يحمل موافقة والي المدينة، فحـين زار ابـن بطوطـة دمياط لاحظ أنه إذا دخلها أحد لم يكن له سبيل إلى الخروج منها إلا بطابع الوالي فمن كان من النـاس معتبرا طبع له في قطعة كاغد يستظهر به لحرس بابها وكان يطبع في بعض الحـالات علـي ذراع الشخص نفسه فيستظهره عند الحاجة[٦].وقد تمكن هؤلاء البوابون من القبض على جاسوسـين للتتـار عام٦٦١هـ/١٢٦٢م كانا يريدون التسلل إلى ثغر دمياط للتعرف على أخبار المماليك[٧].

---

(١) رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص١٠٥.

(٢) عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحرية في عصر سلاطين المماليك في مصر، ص٨٣.

(٣) نظام الملك: سياست نامه، ص٣٩.

(٤) ابن منكلي: التدبيرات السلطانية، مخطوط، جـ١، ورقة٨٦.

(٥) قدامه بن جعفر: كتاب الخراج، ص ٤٩-٥٠ ؛ ابن منكلي: الحيل في الحـروب، ص٣٨٩ ؛ حسـن محمـد وآخر: صاحب الخبر، ص٣٣.

(٦) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٣١ ؛ عثمان عبد الحميد: الأسطول والبحريـة، ص٨٦ ؛ رزق محمـد: الثغور المصرية، ص ١٠٦.

(٧) رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص٢٤٩.

وكانوا يكثرون من الحفظة والحراس والأعساس علي سور المدينة ولايتركوا أي مكان بدون وضع الحراس عليه[1]، والاحتراز من عدم تسلق الأسوار وعدم السهو أو الغفلة وخاصة وقت الليل وذلك لأن العدو وجواسيسه لا ينشطون إلا في وقت الليل وذلك لأن هذه الفترة يكثر فيها الغفلة والنعاس وكذلك الظلمة وكذلك ينشطون في أوقات تراكم السحاب وأوقات الأمطار[2].

وكان هؤلاء الحراس يقومون بتفتيش الأحمال والأثقال التي تدخل إلى المدينة والتأكد من عدم اختباء أحد فيها وكانوا يفتشونها عن طريق الطعن فيها بالمناخس، وذلك حتى لا يدخل الرجال فيها سراً[3].

ونظراً لخطورة الدور الذي كان يقوم به هؤلاء الحراس والخفر والبوابون اهتم السلاطين بهم، فوضعوا عليهم بعض المباشرين يعرفونهم معرفة جيدة، ويقومون بالاستفسار عن أحوالهم سراً وعلانية لأنهم أفقر وأطمع وأسرع انخداعاً بالمال والإغراء، وإذا شاهدوا غريبًا بينهم كانوا يسألون عنه ويتأكدون منه، وكانوا يقومون بمراقبتهم والتأكد منهم ووضعهم تحت الإشراف المباشر كل ليلة عندما يتسلمون واجباتهم، وكانوا لا يغفلون ذلك ليلاً ونهاراً[4].

أما بالنسبة للموانى فكان الموظفون يقومون بالتحقق من اسم وجنسية كل من قائد السفينة ومن معه من التجار والمسافرين ونوعيات وكميات ما تحمله سفينته من سلع وخلافه وهذا بطبيعة الأحوال بسبب الحروب الموجودة في ذلك الوقت[5]، وبالتالي نجد أن هؤلاء المسافرين كان يتم تعريضهم لاستجوابات من موظفي الميناء إلى جانب ذلك فإنهم لا يستطيعون الدخول أو الخروج من الميناء إلا بتصريح من ناظر الميناء[6]،كما كان يتم تفتيشهم تفتيشاً ذاتياً خشية أن يكونوا جواسيس للأعداء.

وكان يتم نصب المرايا علي الأمكنة العالية في الثغور لرؤية البلاد التي تقابلها من جزائر البحر وما يصنع فيها من عمارة المراكب وغيرها فيقع التأهب لهم إلى غير ذلك من أمور الملوك الماضية التي يقع بها الاحتراس[7].

---

(١) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٤٠٠.

(٢) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩٩.

(٣) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩٠.

(٤) نظام الملك: سياست نامه، ص١٦٨.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٢.

(٦) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢١-٢٢.

(٧) الرشيدي: تفريج الكروب، مخطوط، ورقة١٨-١٩.

ولأهمية الثغور في تحقيق الأمن الوقائي للدولة نجد أن السلطان الظاهر بيبرس قام ببناء ثغر رشيد عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م ليكون مرقباً لكشف البحر مع الأعداء[١].

ولكن علي الرغم من ذلك ومن كل هذه الاحتياطات فإنه لا يمكن أن يمنع السلاطين جواسيس العدو من دخول بلاده، لذلك قام السلاطين باتخاذ إجراء آخر وهو الاحتراز من هؤلاء الجواسيس بكتمان السر وستر عورة جيشه وبلاده ما أمكنه ذلك عن طريق الحرص والحذر من تسرب الأخبار[٢].

٣- الحرص والحذر من تسرب الأخبار:

حث الإسلام على اتخاذ الحيطة والحذر عند ملاقاة الأعداء، قال تعالي: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً**"[٣]، وفي آية أخرى، " **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**"[٤] ،ومن هذا المنطلق اتخذ سلاطين الأيوبيين والمماليك بعض الإجراءات الوقائية [٥]، ومما هو جدير بالملاحظة أن كتب التراث تذخر بالأقوال والأمثال والأشعار التي تدعو إلى كتمان الأسرار وحفظ اللسان[٦]، خشية تسرب الأخبار إلى الأعداء مثل قول الهرثمي: "أول العمل في الحرب ورأس التدبير فيها ألا يظهر عدوك علي عورتك، ولا تستر عنك عورته، ولن تحكم ذلك في نفسك إلا مع شدة الحذر وكتمان السر...." [٧].

وكذلك الأمر في سبيل الحرص والحذر من تسرب الأخبار، لم يقتصروا في حذرهم من جواسيس العدو فحسب، بل حذروا أيضا من جواسيسهم خشية أن يكون الجاسوس المسلم جاسوساً

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٤٦.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١، ص١٢٦.

(٣) النساء: آية٧١.

(٤) المنافقون: آية ٤.

(٥) محمد الشافعي: التجسس علي عصر الرسول، القاهرة ، دار الشباب العربي، ١٩٩٦م، ص١٥٩.

(٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، جـ١، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣م ، ص٣٨-١١٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ١، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ص١٢-١٣-٦٢؛ الهروي: التذكرة الهروية، ص٣٩٦؛ الهرثمي: مختصر سياسة الحروب، ص١٩-٢٢؛ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، تحقيق محمد عبد القادر محمد مايو، حلب، دار القلم العربي، ١٩٩٧م، ص٦٤؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩٢.

(٧) مختصر سياسة الحروب، ص١٩.

مزدوجاً وفي ذلك قيل: "واعلم أن جواسيسك وعيونك ربما صدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لــك وعليك"[1].

وهو ما حدث في عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م عندما أرسل هولاكو ثلاثة جواسيس إلى أراضي الدولة المملوكية لمعرفة أخبار الظاهر بيبرس والقيام بقتله، ولكن تم الكشف عنهم واستطاع الظاهر بيبرس أن يستميلهم ويقنعهم "بالعمالة المزدوجة" واستخدمهم في نفس الغرض، إلا أنه كان حذر مــنهم حتــى لا يستغلوا ذلك ويقوموا بنقل أخباره إلى هولاكو فيضروا بمصالح الدولة المملوكية[2].

ومن الحرص والحذر من تسرب الأخبار أيضا أنهم كانوا يبالغون في كتمان أمر الجواســيس بحيث لا يعرف بعضهم بعضا، فكان القائد يلقاهم فرادي في سرية تامة، فإن شغله شاغل جعــل لكــل جاسوس رجلاً خاصاً يتصل به من أوثق خاصته وفي ذلك يقول الهرثمــي: "لا تعــرفن أحــداً مــن الجواسيس صاحبه، فإنه لا تؤمن ممالأتهم للعدو وتواطؤهم علي الغش، أو أن يورط بعضهم بعضا"[3].

فقد قام الظاهر بيبرس في عام ٦٦٣هـ/١٢٦٥م بتلقي جواسيسه في سرية تامة دون أن يعلم أحد من أفراد جيشه حتى المقربين له، وذلك محافظة منه على سرية المعلومات التي أخبروه بها والتي يعلم أنها لو تسربت لأحد لكان لها ضرر على باقي أفراد الجيش[4].

كما حرص السلاطين عند التوجه لحرب العدو على سرية تحركاتهم حتى لا تصل عن طريق جواسيسهم الموجودين داخل المعسكر، لذلك كانوا يكتمون أخبار التحرك عن الجيش حتي يصلوا إلــى مكان ما ثم يعرفون الجند والقواد بالمكان، إلى جانب ذلك فإنهم كانوا يحافظون علي سرية تحركــات الجيوش من طلائع العدو[5].

فكان الظاهر بيبرس كثيراً ما يطلب من كبار أمرائه الخروج مستعدين للحرب ، ولا يعلمهــم بالمكان الذي سيتوجهون إليه كنوع من التعمية على الأعداء وجواسيسهم ، ثم يرسل خطاباً إلــى مــن يختاره على رأس جماعة الأمراء يطلب منه ألا يفتحه إلا بعد أن يخرج هو والعساكر متــوجهين[6] ، ففي عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م طلب الظاهر بيبرس من أمراء الجيش بالزحف ناحية " ســيواس" فأســرع

---

(١) عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٥٠.

(٢) Amitai: Mangols and Mamluks, P. 148.

(٣) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب، ص١٩.

(٤) بيبرس الدودار : مختار الأخبار ، ص ٢٩ ؛ المقريزي : السلوك ، حـ١، ق٢، ص ٥٢٤؛ العيني : عقد الجمان، حـ١ ، ص٣٩٥ - ٣٩٦.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص٣٠٠؛ وفيق الدقدوقي: الجندية في عهد الدولة الأموية، ص ١٧٨.

(٦) قاسم عبده قاسم: أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية ، القاهرة ، مجلة موكب النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٩م، ص٣٩٠- ٣٩١.

جواسيس المغول داخل معسكره بنقل أخبار هذه التحركات إلى " أبغا " خان المغول الذي سارع على الفور بالوصول إلى سيواس لمباغتة الجيش المملوكي، إلا أن الظاهر بيبرس أصدر أوامره إلى أمرائه بالرجوع إلى دمشق ، وبالتالي كانت هذه حيلة ماكرة لكي يتمكن الظاهر بيبرس من الرجوع بجيشه إلى دمشق[١].

وقد حدث ذلك مع التاجر علي التبريزي الذي كان يتجسس لصالح الفرنج فقبض عليه وتم التشهير به على جمل بالقاهرة ومصر وبولاق ونودي عليه : هذا جزاء الخيانة وكان ذلك في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٩م[٢].

ونظرا لأن العدو كان يقوم بإنفاذ جواسيسه إلى داخل المدن والحصون والقلاع للقيام بنشر الشائعات والأراجيف التي تساعدهم علي إحراق المدينة أو فتح الأبواب أو غير ذلك من الأشياء[٣]، أدي ذلك إلى إدراك السلاطين لمدي تأثير الشائعات[٤]وبخاصة تلك التي كان يطلقها الأعداء عن طريق عملائهم وبخاصة من التجار، والذين كانوا يستغلون فرصة تعاملهم مع التجار المحليين والمطمئنين إليهم في نشر كثير من الشائعات والأكاذيب، بهدف زعزعة الثقة والأمن والتشكك في الجهد الحربي لدولتهم، ولكن نجد أن السلطات قامت بتعويد الناس علي عدم قبول تلك الشائعات[٥]، وذلك عن طريق نشر الطمأنينة بين أفراد الشعب بإعلامهم بالأحداث – أولاً بأول – لكيلا يسبق الخصم بتشويه المعلومات[٦].

فضلا عن استخدام الدولة لجواسيسها في التأكد من صدق تلك الشائعات أم كذبها ،وذلك عن طريق إرسال بعض العيون أو القصاد الذين يخصصون لذلك العمل وطمأنة السلاطين والشعب[٧].

---

(١) الدودار :الدرة الزكية ، جـ٨، ص٢٠٢؛

Amitai: Mangols and Mamluks, P. 155.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص ٣٢٤؛ علي السيد : الجاسوسية المملوكية ، ص ١٣٤؛ سليمان عطية : سياسة المماليك في البحر الأحمر، ص ٣٠٦.

(٣) ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٢٢٣.

(٤) الشائعة: هي خبر ينشر كي يصدقه السامع، وينتقل، غالبا، من شخص إلى آخر شفاهة، ولا يعرف – عادة – مصدر الشائعة ، وهي تحوي أحيانا جزءاً يسيراً من الحقيقة، مضافاً إليه كثيرا من الكذب: علي النميري: الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، الخرطوم ، مركز الدراسات الاستراتيجية ، ١٩٩٧م، ص١٦٨.

(٥) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٩-١٣٠ ؛ علي السيد: الإسهام العسكري، ص٣٧٧.

(٦) علي النميري: الأمن والمخابرات، ص١٧١.

(٧) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٠؛ الإسهام العسكري، ص٣٧٧.

وعندما أطلق الفرنج أعوانهم للترويج لإشاعة قيامهم بغزو بلاد الشام عام ٦٨٥هـ/١٢٨٤م نجد أن السلطان المنصور قلاوون أرسل من يتأكد له من الأخبار ، فعادوا وأخبروا أن تلك الأخبار كانت شائعة من الشائعات التي اعتادوا إطلاقها(١).

و أشاع "المرجفون"(٢) عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م بأن التتر قد وصلوا إلى حلب، وأن نائب حلب تقهقر إلى حماه، ولكن قامت السلطات بالنداء في البلد بتطييب قلوب الناس وإقبالهم علي معايشهم(٣).

وعندما أراد تيمورلنك دخول دمشق أرسل بعض أعوانه لكي يقوموا بنشر الإشاعات والأراجيف داخل البلاد تثبط عزيمتهم وقدرتهم علي المقاومة وطلبوا من سكان المدينة مبارحة المدينة، وبالفعل أخذ بعض سكان المدينة في مغادرتها خفيه ولكن نجد أن السلطان فرج بن برقوق أرسل إلى سكان المدينة لكي يعلمهم بخبر قدومه إليهم مما أدي إلى سريان الطمأنينة بين الناس(٤).

ومن الأساليب التي اتخذتها الدولة في الحرص والحذر لمنع تسرب الأخبار إلى الأعداء هو عدم تقريب اللاجئين، وذلك بناء علي تعليمات كبار رجال المخابرات في عدم تقريب كل من أتاهم هارباً من عند ملك من الملوك، أو أمير من الأمراء وبخاصة من المعادين للدولة، والحذر كل الحذر من إفشاء الأسرار أمامهم ومراقبتهم، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالجند، مع فرض نوع من العزلة شبه التامة عليهم، وإنزالهم في أماكن مخصصة تختلف باختلاف مكانتهم ومراتبهم وأهمية الجهة الوافدين منها إلى السلطنة، بحيث يجعلون عليهم الكثير من العيون الذين لا ينقطعون عن زيارتهم، والتودد إليهم والتحدث معهم بشتي السبل التي تمكنهم من التعرف علي هويتهم، ثم يخبرون السلطان بحقيقة أمرهم، فقد جاء في النصائح التي وجهها كبار رجال المخابرات أن علي السلطان "ألا يقرب من أتاه هارباً من عند ملك نظيره ولا يفشي له سره بل يكرمه ويبعده عنه، فإن كان هارباً ممن بينه وبين الملك عداوة فلا يشك إما أن يكون قليل الخير ما حفظ خير مخدومة، أو لمكر ما ليطلع علي أحوال الملك ليراسل من هو هارب منه، وربما ينفر خواطر الجند بكلامه"(٥).

ومن الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة للحفاظ علي عدم تسرب الأخبار إلى الأعداء، القيام بمنع رعاياها من المسيحيين ــ بوجه خاص ــ من الاتصال بالقوي المسيحية التي كانت لا تزال

---

(١) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٩٤-١٩٧ ؛علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٠.

(٢) المرجفون: وهم مثيرو الإشاعات والبلبة، ويذكر أيضا أنه صاحب الخبر، الرازي: مختار الصحاح، جـ١، ص٢٣٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٦.

(٤) ابن عرب شاه: عجائب المقدور، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ٤، ص٥٨-٥٩ ؛ ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص١٦ ؛ ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك، ص٥٨-٦٤؛ علي السيد: الإسهام العسكري في معركة عين جالوت، ص٣٧٧-٣٧٨-٣٧٩ .

مشتبكة في صراع ضدها، ويظهر هذا الإجراء بوضوح في الوصية الصادرة إلى بطريـرك طائفة الملكانية، وتحذيره بشكل صارم من "أن يأوي إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب أو يكـتم عن الإنهاء إلينا مشكل أمر ورد عليه من بعيد أو قريب ثم الحذر الحذر من إخفاء كتاب يرد إليه من أحد من الملوك ثم الحذر الحذر من الكتابة إليهم أو المشي علي مثل هذا السلوك..." [(١)]، وفي وثيقة أخرى جاء تحذير بطريرك هذه الطائفة ونقصد طائفة الملكانية صريحاً وواضحاً بأن يمنع جماعتـه من "الميل إلى غريب من جنسهم" ويتضح من تعدد الوثائق الصادرة إلى هذه الطائفة بشكل خـاص وهم سكان الثغور، والذين كان يخشي من اتصالهم بأبناء مذهبهم من البيزنطيين ما يدل علي مدي تخـوف الدولة من أن يكونوا جواسيس الصليبيين في البلاد[(٢)].

ويلاحظ أن سلاطين المماليك أصدروا تحذيراتهم المشددة إلى بطريرك اليعاقبه ، والذين عرفوا بعدائهم الشديد لمسيحي الغرب الأوربي بسبب مذهبهم المنوفيزيتي، بالرغم من كونهم منفصلين عن طائفة الملكانية بسبب هذا المذهب ، ذلك بألا يحاولوا الاتصال سراً بالحبشة، وأن "يتجنب البحر وإياه من اقتحامه فإنه يغرق... وليتوق ما يأتيه سراً من تلقاء الحبشة حتي إذا قدر لا يشم أنفاس الجنوب..." [(٣)]، ومن المؤكد أن السلاطين لم يشكوا يوماً في أن يكون أقباط مصر – وهم اليعاقبـة – جواسـيس للصليبيين، ولكن كان الهدف من هذا التحذير هو منع الاتصال بينهم وبين الأحباش، وبخاصة إذا عرفنا أن من بين هؤلاء الأحباش كانت هناك مجموعة تعيش في مدينة بيت المقدس، ولهـا علاقـة وثيقـة بالصليبيين، وبخاصة طائفة الفرنسيسكان التي لعبت دوراً سياسياً مهماً في تاريخ العلاقات بين سلطنة المماليك والغرب الأوربي في تلك الفترة، ومن هنا أدرك سلاطين المماليك مـدي خطـورة اتصـال اليعاقبه بالأحباش، واحتمال قيام هؤلاء الأحباش بالتجسس علي مصر مستغلين الروابط الدينية التـي تجمع بينهم وبين أقباط مصر لخدمة المصالح الصليبية[(٤)].

أما بالنسبة لليهود فلم يرد في المصادر أي تحذيرات إلى رؤسائهم، وكان السبب في ذلك راجع إلى ضآلة أعداد هؤلاء اليهود بالنسبة لغيرهم من أبناء الطوائف الدينية المختلفة وكما أثبتت الدراسات المعتمدة علي وثائق الجينزا اليهودية ذلك[(٥)]، بجانب أنه لم يكن لهؤلاء اليهود دولة تقـف خلفهـم أو

---

(١) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٤٥ ؛ قاسم عبده قاسم: أهل الذمة في مصر، ص٨٩ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٨.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ١١، ص٣٩٢ –٣٩٣؛ قاسم عبده: أهل الذمة، ص٨٩.

(٣) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٤٦ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٨.

(٤) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٨.

(٥) قاسم عبده: أهل الذمة في مصر، ص٨٨ ؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٨.

تساندهم ويخشي منها، مثلما كانت هناك بعض القوي المسيحية التي ساندت بعض الطوائف المسيحية في تلك الفترة[1].

ولحرص السلاطين على منع تسرب الأخبار أصدروا تحذيرات للمسلمين بعدم إيواء الغرباء ولهذا قرر طومانباي شنق كل من يأوي غريبًا [2].

ثانياً: دور التجسس في مواجهه الفتن والثورات الداخلية:

أدي نظام التوريث في الحكم في العصر الأيوبي إلى تقسيم المملكة بين أبناء الأسرة الأيوبية، فأعطي صلاح الدين الأقاليم المهمة لأولاده والأقاليم الأقل أهمية لأخواته، وهذا غرس بذرة النزاع بينهما، وكذلك كان الأمر في العصر المملوكي الذي لم يكن له نظام ثابت متفق عليه لولاية العرش، سواء أكان هذا النظام وراثيا أم غير وراثي. فالمماليك جميعاً سواء، وكبار الأمراء كلهم سواسية، نشأوا نشأة واحدة، لا فضل لأحدهم علي آخر،فجميعهم اختطفوا أو أسروا صغاراً، بيعوا واشتروا في أسواق الرقيق، ونشأوا في كنف أساتذتهم الذين أنشاؤهم نشأة واحدة أو متقاربة، اعتقوا وتحرروا في مرحلة معينة من أعمارهم، كل منهم شق طريقة بعد ذلك وأدرك نصيباً من الحياة يتفق وإمكاناته الذهنية والبدنية وغيرها. وبناء علي ذلك ظهر منهم من وصل إلى درجة أمير كبير.وهي درجة تؤهله للوثوب إلى منصب السلطنة، ومنهم من ظل أميراً صغيراً. أما كبار الأمراء فلا فضل لأحدهم علي آخر إلا بالقوة والشجاعة والدهاء، فإذا مات السلطان القائم أو قتل، فالباب مفتوح أمام كبار الأمراء – جميعا دون استثناء – ليحاول كل منهم الفوز بمنصب السلطان، مستخدماً طرقه وأساليبه الخاصة، شريفة كانت أم غير شريفة. وهذا هو السر في كثرة الاضطرابات والثورات التي تعرضت لها الدولتين بين حين وآخر، والتي يكمن سببها الحقيقي في إحساس كل واحد بأن له الحق في ملك من قبله، مما يحرك فيه عوامل الخروج عليه، وبالتالي أدي كل ذلك إلى حدوث الكثير من الفتن والثورات والمؤامرات الداخلية.

وقد لعب الجواسيس دوراً كبيراً في القضاء علي الفتن والثورات الداخلية، وذلك من خلال نقل أخبارها إلى مقر السلطنة بالقاهرة، وكانت هذه الفتن والمؤامرات تستهدف، إما القضاء علي الدولة الناشئة، أو الخروج على طاعة الدولة والتحالف مع أعدائها لاسيما الصليبيين والمغول طمعاً في الاستقلال بإحدى الولايات، في حين استهدف البعض الآخر من هذه الفتن حياة السلاطين أنفسهم والأمراء، إلا أن الجواسيس حالوا دون استفحال حركات هؤلاء، وكما اهتم السلاطين بالتجسس علي

(١) علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٢٩.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٣، ص٨٣ ؛ عماد محمد: العلاقات السياسية بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٨٢.

الأمراء وغيرهم من مثيري الفتن نجد أن الأمراء والوزراء استخدموا التجسس أيضا لإحباط المؤامرات المحاكاة ضدهم، أو رصد تحركات من لا يرغبون فيهم لقتلهم(1).

ومرجع ذلك إلى اهتمام السلاطين بالأخبار والمعلومات، وحرصهم علي تواترها إليهم باستمرار فكان الظاهر بيبرس كثير الاهتمام بالاطلاع علي أخبار أمرائه وأعيان دولته ؛حتي إنه لم يخف عليه منها صغيرة ولا كبيرة(2).

وكان للسلاطين في كل بلد صاحب خبر يخبره بحال البلاد وما يقع فيها سواء من مؤيدين له أو معارضين له ويعلم من يثيرون الفتن لكي يتمكن من القضاء عليهم ويكون عنده كل أخبار دولته وما يجري فيها من أحوال، وكان للسلاطين أيضا عيون علي أمرائهم وذلك ليخبروهم بكل تحركاتهم ويعرفونهم بجميع أحوالهم(3).

وعن طريق عمال البريد الذين كان من واجباتهم ومهامهم مراقبة عمال الدولة والتجسس عليهم، فكانوا بمثابة عين السلطان علي عماله وسائر رجال بطانته(4).

وكانوا جميعاً يقومون بمراقبة الولاة والمستقطعين والعمال والأمراء الذين كانوا كثيراً ما كانوا يضمرون للملك خلافاً وعصياناً ويتربصون به الدوائر سراً ، لكنهم كانوا يكشفون ذلك ويخبرون الملك به، فيركب من وقته وينقض عليهم بغته، فيحيق بهم ويحبط مأربهم، كما أنهم كانوا يقومون بنقل أخبار الرعية خيرها وشرها، إلى السلطان، فيتولاها السلطان(5).

ولما قضي علي شاور وضرغام استولي صلاح الدين علي قصر الخلافة وأحكم سيطرته عليه ثم بعد ذلك بدأ يعد العدة من أجل الإنفراد بمصر وجعلها مركزاً للدولة الأيوبية ليكون سلطانها وهو ما دفع كثيرًا أنصار الفاطميين في مصر إلى تدبير الكثير من المؤامرات والفتن من أجل القضاء علي الدولة التي يريد صلاح الدين إقامتها في مصر، ولكن صلاح الدين – الذي نشأ في كنف البيت السلجوقي – كان على دراية بمثل هذه الأشياء وكان يعلم جيداً كيف يتعامل معها، وكان تعامله معها عن طريق تنشيط وتفعيل دور العيون والجواسيس، الذين أبلغوه بأن هناك شخص يدعي "مؤتمن الخلافة" يقوم بإحاكة مؤامرة الغرض منها التخلص منه، كما أنهم أمدوه بتفاصيل لهذه المؤامرة وهي

---

(1) مني محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، جـ1، ص217.

(2) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص311؛ النويري: نهاية الأرب، جـ30، ص260 ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ7، ص177-182.

(3) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص392- 502 .

(4) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ14، ص372- 383؛ نظير حسان سعداوي: البريد الإسلامي، ص68.

(5) نظام الملك: سياسة نامة، ص40-94؛ انجيلو كود فيلا: المخابرات وفن الحكم، ص64.

أنه قام بالاتصال بالفرنجة ليعاونوه في تنفيذ هذه المؤامرة واستطاع صلاح الدين عن طريق هذه الأخبار القضاء علي هذه المؤامرة تماما(١).

وما كادت ثورة "مؤتمن الخلافة" تنتهي حتي أخبره جواسيسه الذي قام بتفعيل دورهم ونشاطهم وأبلغوه بأن هناك مؤامرة يدبرها "الشاعر عماره اليمني" للإطاحة ، به وأنه قام بالاتصال بالصليبيين مثل سابقه من أجل مساعدته علي إتمام هذه المؤامرة ،وبالتالي أدت هذه الأخبار إلى قيام صلاح الدين بالقضاء علي هذه الثورة(٢).

وأتيحت الفرصة أمام صلاح الدين ـ بعد قضائه علي المؤامرات ـ لينفذ ما كان يحلم به وكان على موعد مع عيون نور الدين محمود ؛فأبلغوه بما فعله صلاح الدين ، ولكن صلاح الدين الحالم بتأسيس الدولة الأيوبية في مصر كان يضع عيونه علي نور الدين محمود وذلك ليبلغوه بما كان يدبره له ، وقد علم منهم أنه يقوم بتجهيز جيش في السر ليسير إليه ليحرمه من تحقيق حلمه ، ويأخذ مصر منه ؛فاستعد له صلاح الدين ، ولكن وفاة نور الدين محمود أنهت الأمر وانفرد صلاح الدين بالحكم(٣).

والملاحظ في العصرين الأيوبي والمملوكي أن السلطان لا يكاد يعتلي العرش حتي يظهر له مجموعة من الأمراء المناوئين فيحيكون ضده المؤامرات والدسائس من أجل إقصائه وتوليه أحد الأمراء الكبار منهم أو أحد السلاطين السابقين، وما يكاد الآخر يعتلي العرش حتي تظهر مجموعة اخرى

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٤٣ ؛ نيكتا إليسيف: السلطان نور الدين محمود، ص٣٥٩ – ٣٦٠.

(٢) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٩؛ المرتضي الزبيدي: ترويح القلوب، ص١١-١٢؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية، ص١١٠؛ نيكتا إليسيف: السلطان نور الدين محمود، ص٤٠٢-٤٠٣.

(٣) ابن أبي السرور: عيون الأخبار ونزهة الأبصار، مخطوط، ورقة١٦٠؛ الفيومي: نثر الجمان، مخطوط، ورقة٨٨ ؛ ابن أبي جرادة: زبده الحلب من تاريخ حلب، جـ٢،ص٥٠٦.

وظهر ذلك عندما اعتلى الملك الكامل ابن الملك العادل العرش فقام كان مجموعة من الأمراء المناوئين له طوال فترة حكمه بإحاكة المؤامرات ضده من أجل خلعه ،وتولية بعض الأمراء مكانه إلا أن الملك الكامل اهتم بالعيون والجواسيس ليتمكن من خلالهم كشف هذه المؤامرات والقضاء عليها،وقد تمكن من ذلك فى الأعوام التالية : ٦١٤هـ/١٢١٧م (١)، ٦٢٤هـ/١٢٢٦م (٢)،٦٣١هـ/١٢٣٣م (٣).

وفي عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م وصلت الأخبار إلى الملك الكامل أن جماعة من الأمراء من مماليك والده يكاتبون الملك المعظم عيسي صاحب دمشق ويحرضونه علي أخذ مصر، ؛فأصدر أوامره بالقبض عليهم واعتقلهم وأخذ أموالهم وموجودهم(٤).

كما أخبر عيون وجواسيس الملك الكامل في عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م أن مجموعة من أمراء الأيوبيين يدبرون له مؤامرة مع علاء الدين سلطان سلاجقة الروم من أجل القضاء عليه وجاءوا له بالكتب التي أرسلها هؤلاء الأمراء إلى علاء الدين والتي يتفقون فيها معه علي التخلص من الكامل، وبالتالي احتاط الكامل من ذلك وعاد إلى مصر(٥).

ومع سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية لم تهدأ عمليه الفتن والمؤامرات التي كان يحيكها الأمراء ضد السلاطين بلد زادت أكثر مما كانت عليه أيام الأيوبيين، ولعبت فيها العيون والجواسيس دوراً كبيراً سواء في تنفيذها أو في الكشف عنها للسلاطين، فعندما اعتلي عز الدين أيبك عرش السلطنة قام بوضع العيون علي مجالس الأمراء لكي يطالعوه بما يقال وبما يدبر له، وكان من بين هؤلاء "القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير" الذي كان يعرف اللسان التركي(٦). وقد ظهر دورهم جليًا عندما أخبروه أن الأمير فارس الدين أقطاي يدبر مؤامرة لقتله،وذلك في عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م فاتخذ عز الدين أيبك احتياطاته وعمل الحيلة علي فارس الدين اقطاي وتمكن من قتله، وفر مماليكه إلى الشام(٧).

وبعد انتصار المماليك علي التتار في معركة عين جالوت كان قطز يعلم جيداً أن كثيـرًا مـن الأمراء تراودهم فكرة السيطرة علي حكم البلاد، لأنه في ذلك الوقت لم يكن هناك نظام متبع لولاية العرش سوي للأقوي من الأمراء، وهو ما جعل السلطان قطز يقوم بوضع عيونه علي هؤلاء الأمراء

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٣٨١ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١١.

(٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٥.

(٣) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص١٣٠.

(٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٥.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص١٣٠.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٠٤.

(٧) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٢ ؛ العيني: عقد الجمان، جـ١، ص٨٥.

يعلم منهم ما يدبرونه له، وبعد سيطرة السلطان قطز على دمشق، كان عازما علي التوجه إلى حلب يكشف أحوالها ويزيح أعدارها من خراب التتار، وصل إليه من أخبره أن الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري مع جماعة من الأمراء البحرية متنكرين له ومتغيرين عليه ويريدون قتله، فضرب وجهه إلى الديار المصرية كإجراء احترازي منهم[1] إلا أن ذلك لم يمنع قتله.

وباعتلاء السلطان الظاهر بيبرس عرش السلطنة اهتم كثيراً بالتجسس وقام بتوجيه جزء من نشاطه إلى الداخل، وذلك لأن علاقته بقواده كانت تتسم بعدم الثقة، فكان الجواسيس يقومون بمراقبتهم، ويرفعون التقارير عن تصرفاتهم إلى السلطان، فيعلم منها ما يدبره هؤلاء القواد والأمراء من مؤامرات وفتن له فيواجهها[2].

وقد دبر مجموعة من الأمراء مؤامرة لاغتيال السلطان الظاهر بيبرس عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م وكان سبب ذلك هو طمع بعضهم في الوصول إلى السلطنة علي حساب السلطان بيبرس، ولكن السلطان كشف أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة بفضل أحد جنوده الأمير عز الدين الصقلي الذي نقل تفاصيل هذه المؤامرة، فقام السلطان علي الفور بتتبع هؤلاء الأمراء واعتقالهم فترة طويلة داخل السجن وظل أحد هؤلاء الأمراء معتقلا بأحد السجون حتي مات[3].

وقد واصلت العيون والجواسيس نشاطهم داخليا في عهد المنصور قلاوون؛ فكانوا يقومون برصد كل المعلومات التي قد تؤدي إلى إحداث فتن أو قلاقل في الدولة المملوكية، ويطالع السلطان بها في وقتها، فحينما وصلت، الأخبار إلى المنصور قلاوون بازدياد نفوذ الأمير علاء الدين الحراني أحد كبار الأمراء بالكرك، واستبداده بالبلاد المجاورة لها، ورغبته في السيطرة علي مصر – قام السلطان برصد تحركاته عن طريق الجواسيس ومعرفة كل شيء عنه حتي تم القضاء عليه[4].وقد تعرض السلطان المنصور قلاوون لمثل هذه المحاولات في عام ٦٨٠هـ/١٢٨١م [5]، ٦٨٥هـ/١٢٨٤م [6].

---

(١) ابن أيبك الدوادار: الدرة الزكية، جـ٨، ص٦٠.

(٢) عبد العزيز الخويطر: الملك الظاهر بيبرس، ص٥٥.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٩٢ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٢٦.

(٤) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٣٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٣.

(٥) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٨٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣١، ص٧٧ ؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص٢٦٣-٢٦٤؛ المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ١، ق٣، ص٦٨٥-٦٨٦؛ الكتبى: عيون التواريخ، جـ٢١، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٢٤ ؛ محمد عبد الله: الاغتيالات السياسية فى بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، ص٢٦٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات فى مصر، ص١٢٦-١٢٧.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٣٤٢ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، جـ٢١، ص٣٧٤ ؛ بيبرس المنصورى: مختار الأخبار، ص٨٥ ؛ سند أحمد: البريد المملوكى، ص٢٦٣- ٢٦٤.

وعقب وفاة المنصور قلاوون هدأت حدة الفتن والمؤامرة التي قادها الأمراء ضد السلاطين هدوءاً نسبياً عدا المحاولة التي قام بها الأمير حسام الدين طرنطاي[1] عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م ضد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، والتي أعلمه بها "عيون" السلطان الذي وضعهم على الأمراء فاتخذ السلطان احتياطاته وقبض على مدبري هذه المؤامرة[2].

وعندما استولي العادل كتبغا علي عرش السلطنة اهتم كثيرا بالعيون والجواسيس وذلك لأنه كان مغتصبا للعرش، وكان يعلم جيدا أنه سوف يحاك ضده العديد من المؤامرات، وقد حدث ذلك في عام ٦٩٣هـ/١٢٩٤م عندما أخبرت "عيون" السلطان العادل كتبغا أن هناك مجموعة من الأمراء يدبرون مؤامرة من أجل قتلك أثناء الخروج في الموكب، وبالتالي احترز السلطان من ذلك، وأبطل الركوب[3]، وتكررت محاولة أخرى في نفس العام ،ولكن الجواسيس كشفوا عنها[4].

وقد تمكنت عيون السلطان العادل كتبغا من كشف مؤامرة كان يدبرها مجموعة من الأمراء، وأبلغوه بها عندما خرج من دمشق متجهاً إلى مصر عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م ،ولكن السلطان كتبغا لم يعبأ بهذا الخبر[5] وهو ما أدي إلى خلْع كتبغا من السلطنة.

وقام الأمير بدر الدين البيسري [6] عام ٦٩٧هـ/١٢٩٨م بالاتفاق مع بعض الأمراء علي تدبير مؤامرة للسلطان لاجين للتخلص منه والانفراد بالسلطنة لنفسه ،ولكن أحد خواص البيسري أخبر السلطان ،فاحتاط لذلك[7].

وقد أخبرت مجموعة من الجواسيس السلطان بيبرس الجاشنكير أن مجموعة من الأمراء يكاتبون الناصر محمد ويستحثونه علي العودة إلى مصر لكي ينصبوه الحكم وذلك في عام

---

(1) حسام الدين طرنطاي : هو الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري ،كان من جملة مماليك الأمير سيف الدين قلاوون قبل سلطنته ،وبعد سلطنته ولاه النيابة عنه بمصر ،وعندما تسلطن الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٨٩هـ قبض عليه وكأن آخر العهد به . شافع بن علي : الفضل المأثور ص ١٣٩ .

(٢) المقزيزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٥٧.

(٣) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٢٤١.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٩.

(٥) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٣١٣- ٣١٤.

(6) بدر الدين البيسري الشمسي : الأمير بدر الدين الصالحي النجمي أحد المماليك البحرية الصالحية أصله كان مملوكاً للأمير شمس الدين قراسنقر الكاملي ،وعندما آل ملك مصر إلى السلطان لاجين ،اعتقله ،وظل في الاعتقال حتى توفي عام ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م .

(٧) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٤٠٦.

٧٠٩هـ/١٣١٠م فقام السلطان بالقبض علي هؤلاء الأمراء وضربهم بالمقارع واحتاط لنفسه[١]، وتكررت محاولة أخرى فى العام نفسه ، ولكن الجواسيس كشفوا عنها[٢].

وبعد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٤١هـ/١٣٤١م شهدت الدولة فترة عارمة من الفوضي وكثرت داخل الدولة المؤامرات والفتن ضد السلاطين، وكان مرجع ذلك إلى ضعف أولاد السلطان الناصر وأحفاده وهو ما دفع هؤلاء الأمراء إلى القيام بالمؤامرات، إلا أن عيون وجواسيس السلاطين وقفوا حائلاً أمام هذه المؤامرات ومكنوا السلاطين من القضاء عليها، وحدث ذلك عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م عندما دبر مجموعة من الأمراء مؤامرة لاغتيال أحمد بن السلطان الناصر محمد الملقب "بالناصر" ولكن أحد "عيونه" الموجودين في مصر وهو يحيى بن ظهر بغا المغلي[٣] أرسل إليه رسالة مع بدوي ليحذره من هذه المؤامرة وينصحه بعدم الدخول إلى مصر[٤]، وحدث ذلك في الأعوام الآتية أيضاً في عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م[٥] ، ٧٦٢هـ/١٣٦٠م[٦].

ولم تكن دولة المماليك الجراكسة بأحسن حال من الدولة الأيوبية والدولة المملوكية البحرية؛ إذ قام الأمراء بالفتن والمؤامرات ضد السلاطين بصورة أشد سوءاً مما كانت عليه الدولتان،ومن هنا فقد تعرض سلاطين دولة المماليك الجراكسة للعديد من المؤامرات والفتن فى الأعوام التالية : فى عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م[٧]، ٨٠١هـ/١٣٩٨م[٨] ، ٨١٢هـ/١٤٠٩م[٩]، ٨١٢هـ/١٤٠٩م[١٠]،

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٥٥-٥٦؛ ابن الملقن: نزهة النظار فى قضاة الأمصار، ص٤٦.

(٢) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٢٥١.

(3) يحيى بن ظهر بغا المغلي : أحد الأمراء بالديار المصرية حضر إلى القاهرة مع والده ظهر بغا المغلي ،وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد باللغة المغولية ،ويكتب الأجوبة وكان يرد عليه الكثير من أقاربه إلى مصر.؛ ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ،جـ٢ ،وحققه وقدم له ووضع فهارسه محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، أم القرى للطباعة ،١٩٦٦م ،ص ٣٣٧ .

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٧٤.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٦٣٠.

(٦) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٠؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٠.

(٧) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٤٩٣؛ محمد جمال سرور: دولة بني قلاوون، ص٨٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عهد المماليك، ص١٣٣-١٣٤.

(٨) ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٩٢؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩١٩ - ٩٢٠؛ سمير حامد: الاغتيالات، ص١٣٩-١٤٠.

(٩) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٢١.

(١٠) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٢١.

٨١٤هـ/١٤١١م[١]، ٨٣١هـ/١٤٢٨م[٢]، ٨٤٢هـ/١٤٣٨م.[٣]، ٨٦٧هـ/١٤٦٢م[٤]، ٨٦٨هـ/١٤٦٣م[٥]، ٩١٢هـ/١٥٠٦م[٦]. إلا أن جواسيس وعيون السلاطين تمكنوا من الكشف عنها ومساعدة السلاطين في إحباطها والقضاء عليها.

وقد نجح عيون وجواسيس السلاطين في الكشف عن العديد من المؤامرات التي حيكت من قبل الأمراء ضدهم ، نجد أنهم فشلوا في الكشف عن بعض هذه المؤامرات واستطاع الأمراء تنفيذها والقضاء علي بعض السلاطين؛ فعلي الرغم من اهتمام الظاهر بيبرس بجواسيسه وتوجيه نشاطهم لمراقبة تحركات الأمراء وما يدبرونه له، فإنهم فشلوا في الكشف عن المؤامرة التي دبرها بعض المماليك للتخلص منه حيث إنهم قاموا بدس أحد أتباعهم ليدس السم للسلطان في لبن الخيل ففعل ذلك وشرب السلطان اللبن فمات[٧].

وعندما أراد الناصر محمد بن قلاوون أن يسترد عرش السلطنة مرة أخرى من يد السلطان بيبرس الجاشنكير، نجد أنه قد اعتمد علي الجواسيس لتحقيق ذلك عن طريق وضع بعض الجواسيس علي السلطان بيبرس الجاشنكير لكي يبلغوه بأخباره لحظة بلحظة، وكان من هؤلاء الجواسيس "ابن أيبك الدواداري " – المؤرخ الشهير – ووالده، والذي استطاع الناصر محمد بن قلاوون عن طريقهم استرداد عرشه مرة أخرى[٨]علي الرغم من تنشيط السلطان الجاشنكير لجواسيسه الذين فشلوا في الكشف عن ذلك الأمر.

وظهر ذلك أيضا في النزاع الذي كان بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأميرين شيخ، ونوروز واللذين تمكنوا عن طريق الجواسيس في التخلص من السلطان الناصر فرج بن برقوق عندما دس عليه أحد الفداويه فقام بقتله بالخنجر، وذلك في عام ٨١٥هـ/١٤١٢م[٩].

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٢١٤ ؛ المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٨٦؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون في العصر المملوكى، ص٧٩ ؛ سمير حامد: الاغتيالات فى مصر الإسلامية، ص١٤١-١٤٢.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٧٨٣- ٧٨٤.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١١٢١؛ ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ص٢٠٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص٢٧٩؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص١٤٤- ١٤٥.

(٥) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ٣، ص٤٧٩؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص ١٤٥.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٩٧؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص١٤٥.

(٧) نعمان الطيب: جهود المماليك في مواجهة المغول، ص٨٠.

(٨) الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص١٨٧-١٧٩؛ سند أحمد: البريد المملوكى، ص٢٥٦-٢٥٧.

(٩) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٢٤.

ولم تكن المؤامرات العديدة التي حيكت ضد سلاطين الأيوبيين والمماليك من قبل الأمراء الموجودين في مصر فحسب، بل شاركهم فيها نواب السلطنة التابعين للدولتين الأيوبية والمملوكية كانوا يقومون بإحاكة العديد من المؤامرات والفتن من أجل الاستقلال بهذه النيابات والانفراد بحكمها، وقد وصل الحد بهم في بعض الأحيان إلى الاتصال بالأعداء من أجل مساعدتهم علي تنفيذ ما يرغبون فيه، إلا أن عيون وجواسيس الدولتين الأيوبية والمملوكية الذين وقفوا حائلا من قبل في وجه مؤامرات الأمراء الأيوبيين والمماليك للقضاء عليها وإفشالها، وقفوا أيضا حائلا في وجه مؤامرات وتمردات هؤلاء النواب واستطاعوا أن يحافظوا علي تبعية هذه الولايات والنيابات للدولتين الأيوبية والمملوكية، وهو ما حدث بعد وفاة نور الدين محمود، فما كاد صلاح الدين ينفرد بالحكم، حتي قام صاحب حلب بالخروج عليه عام ٥٧١هـ/١١٧٥م، وقام بتدبير مؤامرة للتخلص منه وقتله إلا أن أحد العيون الموجودين لدي صاحب حلب جاء إلى السلطان صلاح الدين وأخبره بهذا الأمر فاتخذ السلطان صلاح الدين احتياطاته ففشلت المحاولة ، وتوجه صوب حلب لتأديب صاحبها[١].

وتجددت محاولة التخلص من السلطان صلاح الدين مرة أخرى عام ٥٨١هـ/١١٨٥م عندما قام ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص وابن عم السلطان صلاح الدين بمراسلة جماعة من الدمشقيين وتآمر معهم علي السلطان صلاح الدين ولكن نجد أن العيون والجواسيس أعلموا السلطان بأخبار هذه المؤامرة، فقام بوضع أحد عيونه ويدعي "الناصح بن عميد " وطلب منه أن يتخلص منه، فاستطاع أن يدس السم له فمات ناصر الدين محمد وتخلص السلطان منه[٢].، وتكررت مثل هذه المحاولات في عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م [٣]، ٧٥٩هـ/١٣٥٨م [٤].

وبلغ من اهتمام السلاطين بنواب السلطنة أنهم كانوا يضعون عليهم وعلي أبنائهم العيون والجواسيس لمراقبة تحركاتهم للمحافظة علي سلامة العرش من أي مؤامرات، فعندما ذهب الملك الكامل إلى دمشق لمواجهة الناصر داود عام ٦٢٧هـ/١٢٢٩م ولي مكانه ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب نائباً علي مصر ووضع عليه العيون ليبلغوه بالأخبار فجاءته الأخبار أن ولده متوثب علي ملك الديار المصرية وأنه اشتري ألف مملوك لكي يدعم نفسه فعاد الكامل مسرعا [٥] لإحباط هذه المؤامرات التي قام بها نواب السلطنة الذين تحالفوا مع الأعداء من أجل إنجاح هذه المؤامرات والاستقلال بهذه

---

(١) ابن أيبك الدوادار: الدر المطلوب، جـ٧، ص٦٠ ؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٧٥.

(٢) تاج الدين شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه، القاهرة ، دار المنار للنشر ، ٢٠٠٠م، ص٢٣١ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص١٣٨-١٣٩.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٣٤ ؛ محمد أحمد دهمان: ولاة دمشق في عهد المماليك، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٤م، ص١٨٩- ١٩٠.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤٠.

(٥) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٧.

الولايات وهو ما حدث عام ٦٧٣هـ/١٢٧٤م عندما أخبرت عيون وجواسيس السلطان الظاهر بيبرس أن هناك مجموعة من الأمراء يكاتبون التتار ويدبرون معهم مؤامرة للتخلص من السلطان فتم القبض عليهم(١).

واستطاعت "عيون وجواسيس "السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإخباره بخروج نائب سيس عن طاعة الدولة وإعلان التمرد والعصيان، وانضمامه إلى ملك المغول غازان خان، فأصدر الناصر مراسيمه بخروج الجيش المملوكي لمحاربته والقضاء عليه ، وكان ذلك فى عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م (٢).

ولتفوق العيون والجواسيس في الكشف عن معظم المحاولات التي قام بها نواب السلطنة من قبل حاولوا تعطيل عمال التجسس من أجل إنجاح محاولاتهم ففي عام٧٦٢هـ/١٣٦٠م قام الأمير بيدمر ــ نائب دمشق ــ(٣) بمساعدة مجموعة من الأمراء ببلاد الشام بالخروج عن الطاعة، وإدراكا منهم بأن هذه الأخبار سوف تصل إلى السلطان عن طريق عيونه الموجودين ببلاد الشام قاموا بقطع وسائل الاتصال البريدي بين دمشق والقاهرة، لعزل الأخبار عن السلطان حتي يتسني لهم تجهيز الجيش، وهو ما يبين أن هؤلاء المتمردين كانوا علي دراية تامة بما سببه الجواسيس من فشل حركات أسلافهم وعلي الرغم من كل هذه الاحتياطات فقد وصلت أخبارهم إلى السلطان واستطاع القضاء علي تمردهم(٤).

ولكثرة المؤامرات التي تعرض لها السلاطين من قبل الأمراء جعل السلاطين يقومون هم بإحاكة المؤامرات ضد الأمراء من أجل القضاء عليهم، ولكن احتراف الأمراء في استخدام التجسس جعلهم يكشفون أغلب هذه المحاولات ويفرون منها عدا بعض المحاولات التي نجح جواسيس السلاطين في تنفيذها ، وذلك في عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م عندما حاول الملك الناصر داود صاحب الكرك، التخلص من أحد أمرائه ويدعي "بكتمر السيفي " ولكن بكتمر السيفي كان له "عيون" لدي الناصر داود فجاءوا إليه وأطلعوه علي ما دبره له ؛ فاتخذ بكتمر حيطته ونجي من هذه المؤامرة(٥).

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٦٨ ؛ العينى: عقد الجمان، جـ٢، ص١٣٠ ؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٩٢٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكى، ص٢٦٤.

(3) الأمير بيدمر : هو بيدمر الخوارزمي أول من ولى نيابة حلب عام ٧٦٠هــ / ثم ولى نيابة دمشق فى أواخر دولة الناصر حسن ، وأراد الانفراد بدمشق إلا أنه تم القبض عليه ،وكان أخر العهد به ــ ابن حجر : الدرر الكامنة ،جــ٢ ،ص ٤٦ ــ ٤٧ .

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق١، ص٦٦.

(٥) يحيى بن الحسن: غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى، ص٣٩٦ ؛ جمعه جمال عبد العال: الثورات الشعبية فــى الدولة الأيوبية، ص١٩٦.

وعندما اعتلي السلطان الملك السعيد بركه خان بن السلطان الظاهر بيبرس عرش السلطنة، قام بتدبير مؤامرة من أجل التخلص من الأمير بدر الدين بيسري الشمس والأمير سيف الـــدين قـــلاوون الألفي الصالحي ، ولكن أحد "عيون " الأميرين ـــ وهو سيف الدين كوندك ـــ أرسل إليهما ، وأعلمهما بالأمر سراً، ؛فاحتاطا لذلك وفرا من هذه المؤامرة(١)، وتكررت مثل هذه المحاولات في الأعوام الآتية في عام ٦٩٣هـ/١٢٩٤م(٢) ، ٦٩٧هـ/١٢٩٨م(٣) ، ٧٠٧هـ/١٣٠٧م(٤).

كما حاول الناصر محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية التخلص مـــن العديـــد مـــن الأمـــراء الطامعين في العرش والمناوئين له، ولكن عيونهم التي كانت تَنْدَسّ بين حاشيته ورجاله، نقلت ما يدّبره إليهم ؛ فاحتاط البعض منه، وفرّ البعض الآخر إلى أعدائه وتحالفوا معهم وعندما علم الأمير قراسنقر أن الناصر محمد بن قلاوون جَرّد له خمسة آلاف فارس للقبض عليه وأعوانه تحـــالف مـــع المغـــول فوصل بعض القصاد من عند السلطان الناصر يبلغوهم بأن السلطان قد أخرج تجريدة وراءهـــم لكـــي يأتوا بهم قبل أن يعبروا الحدود مما أدي إلى احترازهم من ذلك(٥)، وبعدما استقر الحال بقراسنقر عند الأعداء نجد أن عيونه أخبرته بأحوال أبنائه وحاشيته وأخبروه أن السلطان أكرم أبناءه وأولاده(٦).

ولقد قام الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون بمثل هذه المحاولات في عـــام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م (٧).، ٧٥١هـ/١٣٥٠م (٨).

ولكثرة المؤامرات التي تعرض لها السلاطين من قبل نواب السلطنة جعلهم يقومـــون بتـــدبير المؤامرات لأي نائب سلطنة يشعرون نحوه أنه يدبر مؤامرة من أجل الخروج عن طاعـــة الـــسلطان، وهو ما حدث عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م عندما دبر السلطان برقوق مؤامرة لاغتيال يلبغا الناصري (٩)نائب

---

(١) العينى: عقد الجمان، جـ٢، ص٢٠١-٢٠٢- ٢٠٣-٢٢٢.

(٢) العينى: عقد الجمان، جـ٣، ص٢٠٣-٢٠٤ ؛ المقريزى: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧٩٠.

(٣) العينى: عقد الجمان، جـ٣، ص٣٨٧-٣٨٨.

(٤) محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، ص٤٢ ؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العـــالم الإسلامى، جـ١، ص٢١٧.

(٥) الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص٢٢٩- ٢٣٠.

(٦) الدوادار: الدر الفاخر، جـ٩، ص٢٥١.

(٧) المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٦٢٥.

(٨) المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٤٢ ؛ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ،جـــ١٠، ص ؛ محمد جمـــال الـــدين سرور : دولة بني قلاوون، ص ٦٠؛ سمير حامد : الاغتيالات السياسية ، ص ١٥٠.

(٩) يلبغا الناصري : هو يلبغا الناصري البلغاري الأتابكي ،وهو مملوك يبغا العمري ،وصاحب الواقعة مع الملك الظاهر برقوق ،ولكن السلطان الظاهر برقوق قبض عليه ،وقتله بقلعة حلب عام ٧٩٣هـــ /١٣٩٧م،ابن تغري بردي : الدليل الشافي على المنهل الصافي جـــ٢،ص ٧٩٣ـــ ٧٩٤ .

حلب وذلك عندما أرسل الأمير تلكتمر الدوادار في مهمة تبدو في ظاهرها أنها من أجل إتمام الصلح بين الأمير يلبغا وسودون المظفري أتابك حلب، إلا أنها في حقيقتها بهدف اعتقال الأمير يلبغا الناصري ، ولكن نجد أن الأمير يلبغا أخبر بما يدبره السلطان له من أحد عيونه الموجودين في مصر الذي أسرع علي الفور وأبلغه بذلك فاحتاط منهم(١).

وفي أثناء النزاع الذي كان بين السلطان الناصر فرج بن برقوق والأمير شيخ المحمودي قام السلطان الناصر فرج عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م بتدبير مؤامرة مع الأمير بكتمر من أجل التخلص من الأمير شيخ المحمودي، ولكن عيون الأمير شيخ أبلغوه بهذه المؤامرة فاحتاط لنفسه ونجي من هذه المؤامرة(٢).

كما استطاع الأمراء عن طريق العيون والجواسيس أن ينجو من المؤامرات التي دبرها لهم السلاطين نجدهم فشلوا في كشف بعض هذه المؤامرات في الوقت الذي نجح فيه عيون وجواسيس السلاطين في مراقبه هؤلاء الأمراء وإعلام السلاطين بأخبارهم وتمكنهم من القضاء عليهم في بعض الأحيان وهو ما حدث في فترة النزاع التي كانت بين السلطان الناصر محمد بن قلاوون وقراسنقر، حيث نجد أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قام بوضع أحد الجواسيس في العراق وهو" سعد الدين علي جكبين "، لكي يطلعه علي تحركات قراسنقر(٣) وأتباعه لحظة بلحظة، حتي أخبره بأن قراسنقر قد عبر إلى بلاد المغول، وعندها اعتمد السلطان الناصر محمد علي الفداويه الذين أرسلهم إلى داخل الأراضي المغولية من أجل قتل قراسنقر(٤)، حتي يقال إنه:قد هلك بسببه حوالي مائة وأربعة وعشرين فداويا(٥).

وقد قام السلطان الناصر فرج بن برقوق بالاعتماد علي بعض عيونه من أجل التخلص من بعض المناوئين له، وهو ما حدث عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م ؛ فكلف بعض عيونه لدي أخوته الأمير إبراهيم

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢١٢-٢٥٦-٢٥٨ ؛ المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٩١-٥٩٢؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٤- ١٥٥-١٥٦.

(٢) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٠٩.

(٣) فرهاد دفتري: الاسماعيليون فى العصر الوسيط، ص٢٥٩.

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٥٤ ؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٥.

(٥) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص٩٥-٩٦ ؛ المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٥٤ ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٣٢٦-١٧٦؛ الصفدى: تحفة ذوى الألباب، ق٢، ص٢٢١؛ فرهاد دفترى: الإسماعيليون فى العصر الوسيط، ص٢٥٧.

والأمير المنصور والأمير عبد العزيز بدس السم لهم أثناء وجودهم بسجن الإسكندرية وعلي أساسها استطاع الناصر أن ينفرد بالحكم(١).

واعتمد عليهم السلطان المؤيد شيخ المحمودي في جلب المؤيدين إلى صفه للوقوف ضد الأمير نوروز، وهو ما حدث في عام ٨١٦هـ/١٤١٣م عندما استطاع السلطان الملك المؤيد شيخ عن طريق أحد دسائسه (الذي دسهم علي الأمير دمرداش ويدعي أق بلاط وكان يعمل بمنصب دوادار دمرداش) أن يستميل دمرداش إلى صف السلطان وأقنعه بالذهاب إلى القاهرة بدلا من انضمامه إلى نوروز(٢).

أما السلطان المؤيد شيخ المحمودي فقد اعتمد عليهم في التخلص من ابنه صارم الدين إبراهيم، وذلك في عام ٨٢٣هـ/١٤٢٠م عندما جاء أحد عيون السلطان الملك المؤيد شيخ وأبلغه أن ابنه قد اتفق مع بعض الأمراء ووعدهم بأشياء كثيرة مقابل القيام بالقضاء علي أبيه وقتله فقام السلطان بدس أحد عيونه عليه وتمكن من قتله(٣).

كما نجد أن طبيعة الحكم الأيوبي والمملوكي جعلت الأمراء يتطلعون إلى الحكم مستغلين فى ذلك ضعف السلاطين ، وقد حدث ذلك في النزاع الذي دار بين العادل أخو السلطان صلاح الدين والأفضل والظاهر أبناء السلطان صلاح الدين،والذي استطاع العادل عن طريق عيونه وجواسيسه أن يحسم الأمر لصالحه ويعتلي العرش ويقضي علي الأفضل والظاهر وظهر ذلك عندما دس العادل إلى جماعة ممن في صحبه الأفضل عام ٥٩٥هـ/١١٩٩م بكلام منه "أني أريد الرجوع إلى الشرق، واترك الشام ومصر لأولاد أخي، "ففترو الأفضل عن الحرب" وبذل العادل لهم مالاً، فمشي ذلك من مكره عليهم وخذلوا الأفضل بأن أشاروا عليه بترك القتال مع العادل حتي يقدم أخوه الظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مده، والعادل يكاتب الأمراء ويستمليهم شيئا بعد شيء(٤)، ثم واصل العادل استخدامه للجواسيس لبث الفرقة بين الأفضل والظاهر لكي يحقق النصر عليهم " فدس العادل مكيدة بين الأخوين الأفضل والظاهر، فقد علم عن طريق عيونه في معسكر الظاهر أنه كان له مملوك يقال له: "أيبك" وقد شغفه حبا، ففقده وظن أنه دخل دمشق فعلق، فأرسل العادل إلى الظاهر وقال له : "إن محمود بن الشكري أفسد مملوكك، وحمله إلى الأفضل" فقبض الظاهر حينئذ علي ابن الشكري، وظهر المملوك عنده، فما شك في صدق ما قاله عمه، ونفر منه أخيه وامتنع من لقائه(٥) ثم قام العادل بتكثيف

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١٤٧؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص٢٩.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص١٤.

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، ج٧، ص١٥٩؛ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك، ص١٠٢ ؛ هشام محمد: الاغتيالات والمؤامرات السياسية، ص٨٣-٨٤.

(٤) المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص١٤٩.

(٥) المقريزى: السلوك، ج١، ق٢، ص١٥٠.

نشاط جواسيسه لدي الظاهر والأفضل لكي يبلغوه بما يحدث داخل معسكرهم فأبلغوه أن الأفضل قـام بمكاتبة الصلاحية ورغبهم، وكاتب ميمون القصري، وقام الأفضل أيضاً بمكاتبتهم وانضم إليهم أيـضاً الأمير عز الدين أسامه، صاحب عجلون وكوكب، وحلف له، فبلغ كل ذلك للعادل[1]، فقام العادل بتدبير مكيدة لكل من الأفضل والظاهر ، فقام بمكاتبة كلاهما سراً بأن: " أخاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر في الباطن علي ذلك" فانفعلا لهذا الخبر، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع. فبعث العادل في السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التي عينت له بالشرق، وهـي رأس عـين، والخابور، وميافارقين، وغير ذلك فانخدع الأفضل بذلك وصرف الأمراء الصلاحية والأجناد عنـدما قدموا إليه[2] وبالتالي استطاع العادل عن طريق ذلك أن يعتلي العرش.

وعندما اشتدت وطأة الصراع الداخلي المرير بين الأمراء الأيوبيين في عـام ٦٣٧هـ/١٢٣٩م لعبت العيون والجواسيس دورا كبيراً بين هؤلاء الأمراء، خاصة بين الملك الصالح نجم الدين أيـوب والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، عندما قام الأخير بإرسال الطبيب سعد الدين الدمشقي من مدينـة نابلس ومعه الحمام الزاجل ليعرٌفه بكل متجددات الأخبار عن أحوال الصالح نجم الـدين أيـوب أولاً بأول، وعندما وصل سعد الدين إلى قلعه بعلبك ؛فأنزله بإحدى دورها، وقام بتبديل الحمام فـي قفـص "سعد الدين " بحمام آخر من حمام قلعة بعلبك، ثم شرع في التخطيط لانتزاع دمشق من سيادة الصالح عماد الدين إسماعيل فأرسل جواسيسه إلى ابن أخيه الملك العادل يعرفه بما عزم عليه، وأنـه تحـت طاعته، وفي حالة تملكه دمشق سوف يخطب له علي منابرها، ويضرب السكة باسمه، ولما تبين " سعد الدين "حقيقة تلك المؤامرة، كتب البطائق علي أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الصالح عماد الـدين إسماعيل ولكنه كلما سرح طائراً وقع في برجه بقلعة بعلبك، فيأتي به البراج إلى الصالح نجم الـدين أيوب الذي كان يقوم بتزوير تلك البطائق موضحاً فيها أنه جاد في المسير إلى المعسكر الأيوبي وأنـه علي الطاعة، ثم يسرح الحمام بتلك البطائق المزورة إلى الصالح عماد الدين إسماعيل فيطمئن قلبه لما فيه، ظنا منه أنها من عند "سعد الدين" وهكذا توالي إرسال العديد من تلك البطائق المزورة حتى حدث ما لا يحمد عقباه، وسقطت دمشق في يد الصالح نجم الدين أيوب وحلت الهزيمة بالصالح عماد الدين إسماعيل [3].

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص١٥٥.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص١٥٥-١٥٦.

(٣) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، جـ٥، ص٢٢٠-٢٢١ ؛ الدوادار: الدر المطلوب، جـ٧، ص٣٣٦-٣٣٧ ؛ أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، جـ٣، ص١٦٤ ؛ ابن الجوزى: مرآة الزمـان، جـ٨، ص٥٢٧ ؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٢٨٥ ؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة٥٩ ؛ نبيل محمد عبد العزيـز: الحمام الزاجل، ص٤٧-٤٨ ؛

Gaudefroy _ demom byeus: las yrieal, epoqued, p.253.

ولم يكن العصر المملوكي بمنأى عن الفتن و المؤامرات التي قامت بين الأمراء بل اتسعت دائرتها وتنوعت وتشعبت فمنها ما يقوم بينهم من أجل السيطرة علي بعض الولايات والنيابات الصغيرة وكان يسعي عن طريق المؤامرات للإطاحة بالمناوئين له، ومنها ما يقع من أجل السيطرة علي عرش السلطنة، وقد لعبت فيها الجواسيس دورا حاسما ، وحدث ذلك عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م عندما اشتد النزاع بين أقوش الفارس، وقراقوش الظاهري، فكان أقوش الفارس يريد خلع قراقوش الظاهري من الوجه القبلي، ولكن قراقوش الظاهري علم بذلك الأمر، فقرر القبض علي أقوش واتفق مع مماليكه علي ذلك إلا أن أقوش علم بذلك من قاصده الذي كان موجوداً عند قراقوش فاحتاط أقوش وأحكم السيطرة علي قراقوش وتم القبض عليه(١).

واستطاع الوزير مغلطاي(٢) عن طريق جواسيسه تدبير مؤامرة استطاع من خلالها التخلص من أحد المناوئين له وهو الأمير كريم الدين أكرم الصغير، وذلك عندما أخبرت عيون مغلطاي بمكان الأمير كريم الذي كان يوجد نزاع بينهم وذلك في عام ٧٢٦هـ/١٣٢٥م (٣).

وقد ظهر ذلك واضحًا في عهد أولاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فقد شهدت الدولة فترة عارمة من الفوضي وكثرت داخل الدولة حركات التمرد والعصيان والنزاع بين الأمراء بعضهم البعض، مستغلين في ذلك عيونهم وجواسيسهم الموجودين عند الأمراء، و ضعف السلاطين، ففي عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م قام الأمير بشتاك بتدبير مؤامرة للتخلص من الأمير قطلوبغا الفخري فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من عرفه ،وبتجهيزات بشتاك وأعلمه أنه علي عزم أن يلقاك في طريقك ويقتلك،فكن علي حذر وبالتالي أخذ حذره(٤)،كما تم الكشف عن محاولة أخرى فى نفس العام (٥).

ولم يكن عهد أحفاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بأحسن حالاً من أولاده ؛فقد كثرت حدة الفتن والمؤامرات السياسية بين الأمراء ،والتي شارك العيون والجواسيس في الكشف عنها، وهو ما حدث في عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م عندما تآمر الأمير طغيتمر النظامي(٦)، وبعض الأمراء علي اغتيال

---

(١) العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٧٦-٧٧-٧٨.

(2) الوزير مغلطاي : وهو مغلطاي الجمالي ،ويعرف بالديك ،وكان من مماليك الناصر ،وأصبح بعد ذلك من أكبر الأمراء الناصرية ،ثم تولى الوزارة بعد ذلك بالإضافة إلى الاستدارية ،ثم عزل عن الوزارة ،و ظل فى الاستدارية ،ومات فى الحج عام ٧٣٠هـ / ١٣٢٨م . ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٥ ،ص ١٢٤ .

(٣) منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، جـ١، ص٢١٧.

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٦١.

(٥) المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٦٧.

(6) طغيتمر النظامي : استقر فى تدبير المملكة بعد قتل يلبغا الخاصكي الكبير ثم أراد إمساك اسندمر الناصري ،وكان اتفق معه أن يكونا يدًا واحدة ،فكانت الغلبة لاسندمر ، فأمسك طغيتمر ،واعتقل بالإسكندرية ، ابن حجر : الدرر الكامنة ،جـ٢ ، ص ٣٢٤ .

الأمير أسندمر الناصر(1) ،ولكن نجد أن أخبار هذه المؤامرة وصلت إلى الأمير أسندمر الـــذي أســـرع باتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب هذه المحاولة(2) ، وتكررت مثل هذه المحاولات في الأعوام الآتيـــة فـــــي عـــــام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م(3) ، ٧٧٨هـ/١٣٧٦م(4) ، ٧٨٢هـ/١٣٨٠م(5) ، ٧٨٣هـ/١٣٨١م(6) ، ٨٠٢هـ/١٣٩٩م (7) ، ٨٢٤هـــ/١٤٢٠م(8)، ٨٤٢هـــ/١٤٣٨م(9).

ونتيجة للدور الخطير الذي لعبته قبائل العربان علي حدود الدولة المملوكية جعـل الـسلاطين يقومون بتدبير مؤامرات لكي يتخلصوا منهم، ولكن كانت للعربان عيون داخـل الـبلاط المملـوكي يخبرونهم بما يدبره السلاطين لهم، وهو ما حدث عام ٦٩٢هـ/١٢٩٣م عندما أراد السلطان الأشـرف خليل بن قلاوون القبض علي مهنا أمير العرب والتخلص منه، ولكن عيونه عند السلطان، أخبروه بذلك وأشاروا عليه بالرحيل دون مقابلة السلطان، فرحل ولكنه وضع أحد العيون عند السلطان، لكي يقـف علي ما يقع من السلطان في أمره من الخير والشر(10).

وقد دفع ذلك كله العربان إلى القيام بإثارة الفتن في سائر نواحي الدولة وهو ما دفع ســلاطين المماليك يضعون العيون علي العربان لكي يخبروهم بما يـدبره العربـــان مـــن فـــتن، ففـــي عـــام ٧٠١هـ/١٣٠٢م وردت الأخبار إلى الناصر محمد بخيوط مؤامرة نسجتها قبائل العربان بهدف إثـــارة الفتنة في سائر نواحي الدولة، فأرسل إليهم الجيش المملوكي في الواحات والطور والقلزم ووسط البلاد حتي تم حصارهم من كل جانب وقضي علي تمردهم(11).

---

(1) اسندمر الناصري : هو الأمير سيف الدين أسندمر ،أتابك العسكر بالديار المصرية ،وكان من مماليك السلطان الناصر حسن ،ثم خدم مع الأمير يلبغا ،وترقى حتى وصل إلى أمير مائة ومقدم ألف ،ثم خرج على طاعة السلطان الأشرف ،وقتل عام ٧٦٩هـــ / ١٣٦٧م ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، جـــ ١١ ، ص ٤٨ .

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهـــرة، جـ١١، ص٤٢؛ المقريـــزى: الـــسلوك، جـ٣، ق١، ص١٤٢؛ ســـمير حامـــد: الاغتيالات فى مصر الإسلامية، ص١٥٠-١٥١.

(3) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق١، ص١٣١.

(4) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٥٣.

(5) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق١، ص٣٨١ ؛ عبد الغنى عبد السلام: نظام السجون فى مصر فى العصر المملـــوكى، ص٨٧؛ نجوى كمال كيره: محاضرات فى تاريخ مصر فى عصر دولتى المماليك، ص٢٤٠.

(6) محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٥؛ سمير حامد: الاغتيالات فى مصر الإسلامية، ص١٥٣.

(7) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٢٣.

(8) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٢٣٤ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٩.

(9) المقريزى: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١٠٧٦-١٠٧٧ ؛ ابن الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص٤٤٠-٤٤١.

(10) العينى: عقد الجمان، جـ٣، ص١٦٠-١٦١.

(11) بيبرس الدوادارى: مختار الأخبار، ص١١٩؛ سند أحمد: البريد المملوكى، ص٢٦٤.

واعتمد سلاطين الأيوبيين والمماليك علي العيون والجواسيس لمراقبة الولاة حتي لا يقومون بأعمال تتناقض مع الشرع والدين والأخلاق، وإن قاموا بذلك أبلغوهم بها فيتحرك السلاطين علي وجه السرعة لردعهم، وحدث ذلك عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م عندما أخبر العيون والجواسيس أن الناصر داود الذي تولي دمشق مكان أبوه الملك المعظم يظلم الناس ويتعسف معهم ويأخذ الأموال منهم وقد أقبل علي الشرب واللهو والطرب واشتغل عن مصالح دولته، ولهذا أعدَّ الملك الكامل نفسه للخروج إليه[1].

وكان السلطان الظاهر بيبرس يتنكر وينزل في شوارع المدينة لكي يتجسس أحوال المسئولين هل يقومون بواجباتهم بدقة وعناية أم لا ففي عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م نزل السلطان من قلعه الجبل متنكراً، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأي بعض المقدمين، وقد أمسك امرأة وكشف سروالها بيده، ولم يتقدم أحد لينكر عليه ذلك، فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة[2] ،وقد حدث ذلك في عام ٦٧٤هـ/١٢٧٥م[3] ، ٧٣٦هـ/١٣٣٥م [4].

ومما سبق يتضح ـــ لنا ـــ أن عيون وجواسيس الأيوبيين والمماليك قاموا بدور كبير في الصراعات الداخلية التي كانت بين الأمراء والسلاطين سواء في تنفيذها أو القضاء عليها، كما قاموا بمراقبة العربان والولاة الذين يقومون بأعمال تتنافي مع الشرع وحافظوا علي وحدة البلاد الداخلية التي لولا ذلك لكانت البلاد في حروب داخلية مستمرة وما بقيت صامدة طوال هذه الفترة.

(جدول١)

المؤامرات التي نجح الجواسيس في الكشف عنها

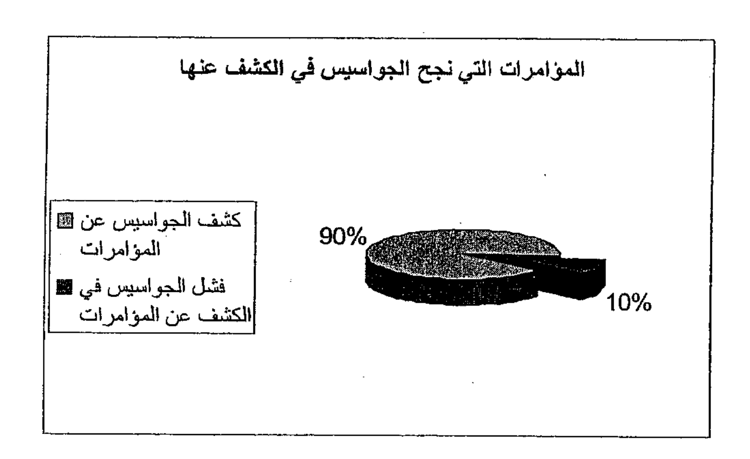
عدد المؤامرات عامة	المؤامرات التي تم الكشف عنها	النسبة المئوية	المؤامرات التي لم يتم الكشف عنها	النسبة المئوية
٧١ مؤامرة	٦٤ مؤامرة	%٩٠	٧ مؤامرات	%١٠

(١) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٥.

(٢) الدوادار: الدرة الزكية، جـ٨، ص١٠٦- ١٠٧؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٤٠ ؛ عبد العزيز الخويطر: الظاهر بيبرس، ص٥٥.

(٣) الكتبي: عيون التواريخ، جـ٢١، ص٧٤.

(٤) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٠٨.

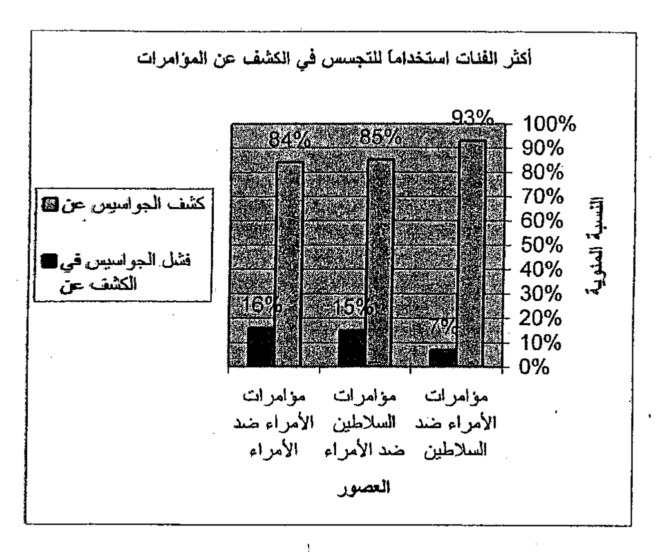


ويتضح من ذلك مدى تفوق الجواسيس في عصر الدراسة في الكشف عن أكبر عدد ممكن من المؤامرات التي حيكت في ذلك الوقت ،والتي وصلت نسبة النجاح فيها إلى ٩٠%.

(جدول٢)

العناصر التى حكيت ضدهم المؤامرات

أنواع المؤامرات	عدد المؤامرات	المؤامرات التى تم الكشف عنها	النسبة المئوية	المؤامرات التى لم يتم الكشف عنها	النسبة المئوية
مؤامرات الأمراء ضد السلاطين	٤٤ مؤامرة	٤١ مؤامرة	%٩٣	٣	%٧
مؤامرات السلاطين ضد الأمراء	١٤ مؤامرة	١٢ مؤامرة	%٨٥	٢	%١٥
مؤامرات الأمراء ضد الأمراء	١٣ مؤامرة	١١ مؤامرة	%٨٤	٢	%١٦

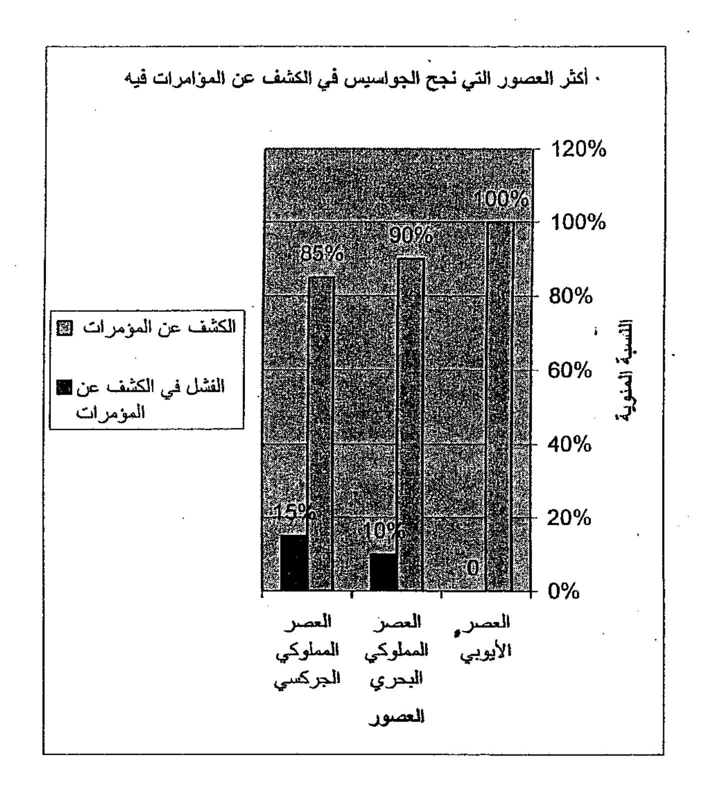


ومن ومن هذا الرسم استنتج مدى تفوق السلاطين واحترافهم في استخدام الجواسيس للكشف عن المؤامرات التي حبكت ضدهم فقد بلغت نسبة الكشف عن هذه المؤامرات مقارنةً بالحالتين الأخريين حوالي من ٩٣%، وضعف الأمراء في استخدام الجواسيس للكشف عن المؤامرات التي أحيكت ضدهم فقد بلغت حوالي من ٨٥%.

(جدول٣)

أكثر العصور التي نجح الجواسيس في الكشف عن المؤامرات فيه

العصور	عدد المؤامرات	الكشف عنها	النسبة المئوية	الفشل في الكشف عنها	النسبة المئوية
العصر الأيوبي	٨ مؤامرات	٨ مؤامرات	١٠٠%	—	—
العصر المملوكي البحري	٤٢ مؤامرة	٣٨ مؤامرة	٩٠%	٤ مؤامرات	١٠%
العصر المملوكي الجركسي	٢١ مؤامرة	١٨ مؤامرة	٨٥%	٣ مؤامرات	١٥%



ويمكننا من خلال قراءة الرسم البياني السابق اكتشاف مدى تفوق الجواسيس في العصر الأيوبي الذي حقق نسبة الكشف عن المؤامرات فيه ١٠٠%، مقارنة بالعصر المملوكي الجركسي الذي يعد أضعف العصور تحقيقاً للكشف عن المؤامرات فقد بلغت النسبة حوالي من ٨٥%.

ثالثاً: دور التجسس في التخلص من الشيعة:

انتهى المذهب الشيعي في مصر بسقوط الدولة الفاطمية ،وقيام الدولة الأيوبية السنية ،وتحولت مصر إلى المذهب السني ، ولكن ذلك لم يكن نهاية الشيعة في مصر ؛ فقد ظهرت محاولات عديدة من الفاطميين الموجودين في مصر لإعادة المذهب الشيعي مرة أخرى، ولكن صلاح الدين كان لهم بالمرصاد وذلك عن طريق العيون والجواسيس الذين كانوا يتابعون كل تحركاتهم ويبلغون السلطان بها مما كفل له القضاء علي محاولاتهم(١)، فقد أبلغ الجواسيس السلطان صلاح الدين بمحاولة "مؤتمن

(١) صلاح مهران: الحركات السياسية والدينية، ص ٣٢٥.

الخلافة" جوهر التي كان يقصد من ورائها إعادة المذهب الشيعي مرة أخرى والقضاء علي المذهب السني ولكن صلاح الدين قد تمكن من القضاء عليها[1].

وأطلع الجواسيس السلطان صلاح الدين علي محاولة أخرى عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م قادها الشاعر عماره اليمني " وكان يقصد من ورائها إعادة المذهب الشيعي والقضاء علي المذهب السني ؛ فتمكن من القضاء عليها[2].

وقد حاول بعض الشيعة ــ وعلي رأسهم ابن السنباطي ــ إعادة الدولة الفاطمية الشيعية مرة أخرى عام ٥٨٤هـ/١١٨٨م ، ولكن العيون أعلموا السلطان صلاح الدين بها، فتمكن من القضاء عليها، والدليل علي ذلك أن القاضي الفاضل قال للسلطان صلاح الدين: "أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجملة أحد من رعيتك، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يختبرون الناس لسرك ما بلغك عنهم"[3].

وعندما تمكن صلاح الدين بمساعدة جواسيسه علي التخلص من بقايا الشيعة الموجودين داخل القاهرة بدأ يهتم بجنوب مصر وبدأ يوجههم إلى هناك وذلك لأنه كان مركز توطن الشيعة بعد طردهم من مصر، ولهذا كان حريصاً علي معرفة ومتابعة تحركات هؤلاء الشيعة عن طريق جواسيسه ، ثم القضاء عليهم، إذ بلغه في عام ٥٦٨هـ/١١٧٣م باجتماع بعض الشيعة في الصعيد وإغارتهم علي بعض المدن فأرسل صلاح الدين قواته علي وجه السرعة للقضاء عليهم[4].

وبدأ صلاح الدين يحاول القضاء علي بقايا الشيعة خارج الحدود المصرية تماما وذلك في محاولة منه لتوحيد الجبهة الإسلامية المفككة، و الوقوف في وجه الغزو الصليبي وطرد المعتدين، ولذا سعى صلاح الدين لاحتلال قلاع الدعوة الإسماعيلية[5].

---

(١) البنداري: سنا البرق الشامي، ص٤٣ ؛ جمعه جمال: الثورات الشعبية في العصر الأيوبي، ص ١٠-١١.

(٢) المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص١٢ ؛ ابن واصل: مفرج الكروب، جـ١، ص٢٤٣-٢٤٤ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٥٥؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق١، ص٥٣-٥٤؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص١٨٩؛ سيد علي: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ص١٥٨ ؛ جمعه جمال: الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية، ص ٣٤-٣٥؛ شلبي الجعيدي: طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي، ص ٢٠٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١، ص ١٨٢؛ شلبي الجعيدي: طبقة العامة في العصر الأيوبي، ص٢٠٩.

(٤) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، جـ١، ص٣٠٨ ؛ نظير حسان سعداوي: التاريخ المصري الحربي في عهد صلاح الدين، ص٣٢٤ ؛ سوسن سليمان: أمن مصر القومي، ص١٢٢ ؛ جمعه جمال: الثورات الشعبية، ص٢٧.

(٥) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الاسماعلية بمصياف، ٩٠-٩١.

وقد أغار صلاح الدين علي بعض القري الاسماعيلية في جهات حلب وضرب بزاعة وأعزاز عام ٥٧١هـ/١١٧٦م [١]، وفي العام التالي زحف صلاح الدين الأيوبي بجيشه الكبير إلى مصياف [٢] معقل الدولة الاسماعلية الشيعية وحاصرها حصارا شديدا ولكنه لم يستطع أن يفتحها[٣].

وعندما شعر "سنان" بأن الخطر بدأ يتجه نحوه وذلك بعد قضاء صلاح الدين علي الدولة الفاطمية الشيعية في مصر وعز ذلك في نفسه وشعر بالخطر عندما بدأ صلاح الدين يحاصر قلاعهم، فشرع يعد للأمر عدته، بما أوتي من ذكاء وبصيرة واعتبر نفسه وريث دولة الفواطم الشيعية في القاهرة ونهض للدفاع عن آخر إرث لها في الدينا بحزم وعزم. فاختار نفس الطريقة التي تخلص بها صلاح الدين من الفاطميين بمصر وهو التجسس عليهم وتتبعهم وأخذهم بالضرب والعنف[٤].

فنجد أنه قام بتنظيم الجمعيات السرية وقام ببث أعضاء هذه الجمعية من المخبرين السريين في أنحاء دولته والدول المجاورة ،وكانت عبارة عن شبكة سرية من المخبرين يراسلونه بواسطة النار والحمام الزاجل الذي مهر في استخدامه الإسماعيليون مهارة فائقة تتمشي مع خطتهم وكان الذي يتلقاها بنفسه هو راشد الدين سنان، ولقد جعل سنان من مدرسة الكهف مركزاً لتدريب الفدائية علي هذه الأشياء. حتي إذا بلغ طلابها مرتبة الجدارة في عملهم بعث بهم إلى المناطق المرادة لكي يتم مواجهه الأخطار التي تهدد دولتهم[٥]، ومن الأشياء التي تدرب عليها الفدائية غير التجسس والمكاتبات السرية التى تم تدريبهم علي أنواع الأسلحة المختلفة، وضروب القتال، كما لقنوا أفرادها العلوم والفلسفة وعلموهم لغات أهل البلاد المجاورة، وفهم مذاهبهم وأديانهم، فبلغوا بذلك درجة عظيمة من المهارة، وشكلوا شبكه خطيرة، واسعة الأطراف تحيك المؤامرات، وتنفذ الاغتيالات بنجاح عجيب وتحمي الحصون والقلاع وتسهر علي الأمن والنظام، آناء الليل وأطراف النهار. وتبلغ شيخ الجبل المتربع علي سدة الحكم عن كل ما يجري، وتنفذ له ما يشاء[٦].

وبالتالي استخدم سنان الفداوية المدربين علي أعلي مستوي في التجسس والسرية والقتل المحترف وقذف بهم في حلوق – سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك[٧] ؛فعندما كان السلطان

---

(١) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الاسماعلية بمصياف، ص٩٧.

(٢) مصياف : هى عاصمة الدولة الإسماعيلية ،وكانت مركزًا لنشر دعوتهم ،وبث فدائيهم ،ولكن بعد انحلال هذه الدولة ،وأصبحت مصياف ولاية مهمة من ولايات المماليك ،وتقع فى القسم الجنوبي من جبال العلويين بجبل البهرة الواقع بين المتوسط غربًا ،وتخوم حمص وحماة شرقًا .

(٣) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعلية بمصياف، ص ٩٧-٩٨.

(٤) ميشيل لباد: الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، ص٩٥.

(٥) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص٦٢-٦٣-٦٤-٦٥.

(٦) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص٧٦.

(٧) ميشيل لباد: الإسماعيليون، ص٩٥.

صلاح الدين محاصراً لقلعة حلب أرسل سنان أرسل إليه مجموعة من الفداوية لكــي يتخلــصوا مــن صلاح الدين، وانهالوا عليه ضربا وطعنا فجرحوه وكادوا يجهزون عليه لولا الزرديــة التــي كــان يرتديها(١).

وعندما أرسل سنان جماعة من الفداوية إلى معسكر صلاح الدين متنكرين في زي عساكره، واندسوا بينهم دون أن يشعر أحد وانتظروا حتي تسنح الفرصة المناســبة لاغتيــال الــسلطان عــام ٥٧١هـ/١١٧١م ، فوثب عليه فدائي وطعنه بسكين في رأسه فجرحه جرحاً بليغاً، وتمكن جنود صلاح الدين من القبض علي هذا الإسماعيلي وقتله(٢) ، و تكررت عمليات التجسس على صلاح الدين من قبل الشيعة الإسماعيلية – لدقة معلوماتهم – حتى وصلوا إلى مخدعه وحاولوا قتله أكثر من مرة ، لــولا يقظة عساكره وحرّاسه، وعندما استطاع أحد الفداوية أن يدخل خيمة السلطان صلاح الدين وكــاد أن ينجح لولا انكشاف أمره (٣).

وقام سنان بإرسال رسالة إلى صلاح الدين مع أحد فدائيته وطلب من المبعوث أن يــسلمها إليه دون أن يكون معه أحد البتة .. فسمح له صلاح الدين – بعد تفتيشه – ولم يكن في حــضوره إلا عدد قليل ممن يثق بهم، ولكن المبعوث رفض إلا إذا انفضَّ الجميع فأمر صلاح الدين بــإخراجهم إلا مملوكيين اثنين قاما على رأسه فطلب المبعوث إخراجهما أيضا، ولكن صلاح الدين قال له : إنهمــا لا يفترقان عني ونحن الثلاثة واحد، فقدم رسالتك وإلا انصرف! فالتفت المبعوث إلى المملوكين قائلاً : إذا أمرتكما باسم سيدنا أن تقتلا هذا السلطان فهل تفعلان؟ فردا قائلين : نعم!! فدهش السلطان ...إذا علــم أنهما إسماعيليان حشاشان متخفيان في بطانة السلطان(٤).

ومن هنا أدرك السلطان صلاح الدين مدي خطورة هؤلاء وتفوقهم واعتبــر أنــه فــي حالــة مصالحتهم سيكونون إضافة كبيرة لعيونه وجواسيسه وذلك بسبب احترافهم في العمل التجسسي ، وهو

---

(١) الداودار: الدر المطلوب، ص ٦٠ ؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة، ص ١٩١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٩٦ ؛ ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة١٨ ؛علي بــن ســعيد المغربــي: النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة، ص٤٧؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص١٢٤؛ محمد عبد الله: الاغتيالات في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٤٢.

(٣) سعيد عاشور: مصر والشام، ص٣٩؛ برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريــب، محمــد العزب موسي، بيروت ، منشورات دار المشرق العربي الكبير، ١٩٨٠م، ص ٢٠٤.

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص١٥٧؛ أحمد الحفناوي: حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام ، المنصورة ؛ دار الوفاء ، ١٩٨٦، ص٥٢٤.

ما دفع السلطان صلاح الدين إلى القيام بمصالحتهم علي قلاعهم، وقام بمحالفتهم ليستفاد منهم في محاربة أعدائه من الصليبيين والخارجين عليه(١).

واستمرت أواصر الصداقة بين الأيوبيين والإسماعيلية الشيعة في عهد خلفاء صلاح الدين وفي عهد خلفاء راشد الدين سنان، واعتمدوا عليهم في التجسس، ولكن كلتا الدولتين سارت نحو التفكك والانحلال، بتأثير النزاع الداخلي، والهجوم الخارجي، وعكفت كل منهما علي ذاتها، تداوي جراح المنازعات والخصومات الداخلية(٢).

واعتمد عليهم السلطان بيبرس في التخلص من كل من عارضه وكانوا تحت طاعته وكانوا من أعظم جنده(٣)، وكانوا في أحيان كثيرة يمثلون أو يكونون شبكات سرية داخل أراضي العدو(٤).

واستخدمهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون واعتمد عليهم لدرجة أنه أطلق عليهم سهام الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث كان يرسلهم في السر للتخلص من كل الخارجين عليه، فاستخدمهم للتخلص من قراسنقر المنصوري، وقاموا ضده بهجمات كثيرة منفصلة هلك بسببه حوالي من مائة وأربعة وعشرين فداويا(٥).

هكذا تم الاعتماد علي العيون والجواسيس للتخلص من الشيعة والقضاء عليهم ولكن نجد أن الشيعة عندما قاموا بتطوير أنفسهم من الناحية الاستخباراتية وبدأوا يواجهون الأيوبيين دفعهم ذلك إلى قيام سلاطين الأيوبيين بضمهم إلى عمال التجسس وعندما جاء المماليك اعتمدوا عليهم أيضاً ، ولكن المماليك طوروا من عملهم بضمهم إلى شبكات سرية داخل بلاد الأعداء لتنفيذ مخططاتهم.

رابعاً:- دور التجسس في الحياة الاقتصادية:

للحياة الاقتصادية أهمية كبيرة فى أي دولة ؛لذا اعتنى السلاطين بها عن طريق توجيه نشاط جواسيسهم تجاه الحياة الاقتصادية ،وقد قاموا فيها بدور بالغ الأهمية ،وقد أشار العديد من المؤرخين

---

(١) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠١؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص٧٤؛ ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الاسماعيلية بمصياف، ص ٩٥ -١٠٧.

(٢) ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الاسماعلية، ص ١٠٣.

(٣) السحماوي: المقصد الرفيع، ص ٤٠١؛ ابن أبي السرور: عيون الأخبار، مخطوط، ورقة ١٧٥ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ص ١٤٨؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ٧٤ ؛ ميشيل لباد: الاسماعيليون والدولة الإسماعيلية، ص ١١١.

(٤) فرهاد دفتري: الاسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٦٠.

(٥) ابن بطوطة: رحلة بن بطوطة، ص ٩٥-٩٦؛ المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٥٤ ؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٣٢٦-١٧٦؛ الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ق٢، ص٢٢١ ؛ فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص ٢٥٧.

إلي الدور الفعال للجواسيس والعيون فى الحياة الاقتصادية ومن ذلك قوله : [١] "... إنه يجب عليهم أن يتعلموا أحوال وأخبار السوق من غير إعلام أهله" ، وبالتالي اعتمد بعض السلاطين علـي العيـون والجواسيس في مراقبة أحوال السوق [٢] كما أنهم استعانوا بمجموعة من العامة الموجودين في السوق كعيون يرفعون لهم تقارير يعرفونهم بأسعار السلع والبضائع في الأسواق [٣] ، والأوزان والمكاييـل، وأحوال التجار في سائر أنحاء الدولة، ليكون علي بينة بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بالأحوال الاقتصادية التي تمر بها دولته، ومرجع اهتمام السلاطين بأسعار السلع وبخاصة أسعار القمح والشعير، لما يترتب علي غلائه من انتشار المجاعات[٤].

ونظراً لأهمية النقود وأثرها علي اقتصاد الدولة كان يجب علي الدولة أن تتفقـد الـصيارف وتضع من يتجسس عليها[٥] لكى لا تنتشر ظاهرة زيف النقود في الدولة والمتمثلـة بإنقـاص الأوزان المقررة، أو خلطها بمعادن غير ثمينة، وتتبع المزيفين والكشف عنهم[٦] إلا أن هذا لا ينفى قيام بعض السلاطين بعملية التزييف . فقد وصلت الأخبار إلى السلطان عام ٨٥٤هـ/١٤٥٠م بأن هناك آلة ضرب الزغل تقوم بتزييف العملة في منزل أحد العلماء يدعي الشيخ قوام الدين حسين العجمي الحنفـي فـتم التسلل إلى منزله وإخراج الآلة[٧].

ناهيك عن الدور الذي لعبته العيون والجواسيس في المحافظة علي أموال الدولة وهو ما حدث عندما أبلغت عيون السلطان الناصر محمد بن قلاوون أن ابن الجيعان أخرج في الليل صـندوقاً فيـه خمسة آلاف دينار وعزل ثلاثة آلاف منها لكي يبرطل بها فتم القبض عليه وإرجاعها[٨].

---

(١) اليوسفي: نزهة الناظر سيرة الملك الناصر، ص٧٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص٩٦؛ ابن الملقن: نزهـة النظار في قضاة الأمصار، ص٤١.

(٢) سهام مصطفي أبو زيد: الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م، ص١٢٥؛ أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمـه الإداريـة والـسياسية، ص١٧٥ ؛ حسن محمد وآخر، صاحب الخبر، ص٢٩؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص١٧٩؛ ل. أ. سيمينوفا: صلاح الدين والمماليك في مصر، ص٢٦١.

(٣) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص٢٢.

(٤) أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية،ص ١٤٣ .

(٥) الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، نشر السيد الباز العريني، محمد مصطفى زيـادة ، القـاهرة ، ١٩٤٦م، ص١٤؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص٣١؛ عبد الغني عبد السلام: العيون والجواسيس، ص٣٠٩.

(٦) الشافعي محمد أمين: دار ضرب القاهرة ونقودها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٣م، ص٤٢؛ حسن محمد وآخر: صاحب الخبر، ص٣١.

(٧) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ١، ص٢٦٣.

(٨) اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٢٦٣.

وبالإضافة إلى ذلك حافظوا علي الأموال السلطانية أيضا من مؤامرات المغول لسرقتها؛ ففي عام٦٨٠هـ/١٢٨١م أراد المغول توجيه إحدى الضربات الاقتصادية إلى المنصور قلاوون بالتخطيط للاستيلاء علي خزانة أمواله الخاصة التي تعرف "بخزانة دينار"، بعد أن توصلوا إلى معرفة مكانها وجعلوها أهم أهدافهم ولكن نشاط العيون والجواسيس وقف حائلا دون تحقيق مأربهم، حيث وصلت تلك الأخبار إلى المنصور علي جناح الحمام الزاجل من قبل أحد المناصحين الذي أرسل إليه تفاصيل تلك المؤامرة قائلاً له: "يا سلطان الإسلام قد بلغ التتار أن بين يديك خزانة يقال لها خزانه دينار، علي مائة بغل مائتا صندوق، في كل صندوق خمسة آلاف دينار عيناً، وقد عينوا عليها وعرفوا جهتها، فانصبوا عليها، فاتخذ حذرك والسلام" فما كان من المنصور إلا أن قام بإخلاء الخزانة من الأموال علي الفور، وقام بتوزيعها علي خاصة أمرائه ومماليكه[١].

أما الدور الرئيسي الذي لعبته العيون والجواسيس في الحياة الاقتصادية فكان في تنشيط حركة التجارة بين الأيوبيين والمماليك، والدول الأخرى، وظهر ذلك عندما أصدر الملك العادل تصريحاً للتجار البيزيين بالاستمرار في التنقل داخل مصر لإثراء الحياة الاقتصادية حتي في أوقات الحرب[٢]، وكان ذلك يتم تحت مراقبة العيون والجواسيس الأيوبيين.

كما قام الجواسيس بتأمين الطرق التجارية لمرور التجار في سهولة ويسر وذلك لتنشيط الحركة التجارية ،وقد وصلت الأخبار من "الجواسيس" المرابطين بعكا إلى المنصور قلاوون عن قيام جماعة من الصليبيين بقتل عدة أشخاص من التجار الموجودين بعكا والاعتداء عليهم، وذلك في عام ٦٨٩هـ/١٢٩٠م وعلى أساس هذه الأخبار قام السلطان بنقض الهدنة معهم، وقام بتجهيز الجيش المملوكي لحصار عكا وفتحها[٣]، وأخبر الجواسيس السلطان الأشرف خليل بن قلاوون بقيام صاحب سيس بالاعتداء علي التجار ونهب أموالهم، فقام بالتدخل العسكري من أجل حماية التجار[٤].

خامساً: دور المرأة في التجسس:

لقد أكرم الإسلام المرأة، وقلدَّها أسمى آيات التكريم ،وجعل لها مكانة كبيرة جداً، تفجرت من خلالها طاقات وإمكانات المرأة، فشاركت الرجال في كل شيء في الحياة سواء في الجهاد أو في مجالات أخرى، كما شاركت الرجال في أعمال التجسس وجمع المعلومات.

---

(١) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص٧٥- ٧٦.

(٢) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢٢.

(٣) شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٧٣؛ حسن المناقب السرية، ص١٣٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٠.

(٤) المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص١٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص١٤٩-١٥١.

فمثلما اعتمد السلاطين علي الرجال في القيام بأعمال التجسس والمخابرات، اعتمدوا أيضاً علي النساء في التجسس وأعمال المخابرات، وذلك لما تمتلكه النساء من قدرات جعلتهن يقمن بأعمال لا يستطيع الرجال القيام بها في هذا المجال.

وقد ظهر ذلك في أثناء الحروب الصليبية فقد اعتمد عليهن الملك المعظم عيسي بن الملك العادل في إبلاغه بأخبار الفرنج وأخبار إغاراتهم علي أراضي الدولة الأيوبية، وذلك عن طريق أنهن إذا شعرن بخروج الفرنج من عكا فتحت المرأة طاقة بيتها المقابلة لجبل الكرمل وأشارت للمسلمين بعدد الجنود الصليبيين الذين سيغيرون علي هذه المنطقة وأشارت إلى المكان الذي سيقصدونه، وهو ما جعل الفرنج لا يقصدون مكان، إلا ويجدون عسكر المعظم قد سبقهم إليها[1].

كما ظهر دور المرأة أيضا عندما عزم الأنبرو علي الخروج إلى الشام، أرسل فارساً من لدنه يستطلع له الأخبار، وكان هذا الفارس على علاقة بامرأة فرنجية ، علمت منه بعض الأخبار ، فأرسلت بها إلى المعظم عيسى ، الذي كافأها بملابس حريرية وعنبراً وأشياء كثيرة، فلما عاد الفارس ووجد هذه الهدايا عندها سألها عن مرسلها فأخبرته، فذعر أول الأمر، ولكنها مازالت تلاطفه وتتودد إليه حتي اتفقا، فكان إذا أتاه خطاب بعد ذلك من الإمبراطور حمله إليها فترسله إلى المعظم مختوماً كما هو، واستطاع المعظم أن يعرف كل شيء عن الأنبرو حتي لا يأتي فجأة إلى البلاد[2].

ولم يكن المسلمون فقط هم الذين يعتمدون علي المرأة في عمليات التجسس وإنما اعتمد الصليبيون أيضاً علي المرأة في أعمال التجسس فعندما قام لص مسلم بسرقة طفل رضيع من امرأة فرنجية ، فعلم ملوكهم خبرها فسمحوا لها بالتوجه إلى السلطان صلاح الدين فشاهدها اليزك فأخبرتهم بقصتها عن طريق المترجم ،وأخذوها إلى السلطان وتحدثت معه عن طريق المترجم ،فبحث لها عن الطفل وتم إحضاره إلى أمه وأخذته وذهبت إلى معسكر الفرنج[3]، وكانت هذه المرأة أحد جواسيس الفرنج التي أرسلها ملوكهم مستغلين ما حدث لها للتعرف علي أخبار المعسكر الإسلامي وهو ما نجحت فيه ؛والدليل علي ذلك، أنه لم يمكث كثيراً من ذلك اليوم حتي وصل الخبر إلى السلطان بقيام الفرنج بالعزم علي الزحف نحو عكا، فعاد السلطان وركب في ساعته لمواجهتهم[4].

ولم يقتصر دور المرأة على التجسس على أعداء الدولة فى الخارج فحسب ،بل اتسع دورها ليشمل الداخل ،فشاركت المرأة فى كشف المؤامرات التى يحيكها الأمراء وأعداء السلاطين

---

(١) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥؛ جمال الدين الشيال: الجاسوسية فى حروب بنى أيوب، ص٧٦-٧٧ ؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامى، ج١، ص٢١٦.

(٢) النويرى: نهاية الأرب، ج٢٩، ص١٤٥-١٤٦؛ جمال الشيال: الجاسوسية الأيوبية، ص٧٧.

(٣) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٤٠-٢٤١.

(٤) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٤١.

،والمناوئون لهم في الداخل فقد اعتمد عليهم عز الدين أيبك التركماني للتخلص من الملك الصالح إسماعيل، عندما دس عليه من قام بخنقه ثم فارقه ظناً منه أنه قد فارق الحياة، ولكنه فاق، فرأته امرأة، ويبدو أنها كانت أحد عيون أيبك التركماني الموجودين عند الصالح إسماعيل، فذهبت إليهم وأخبرتهم أنه قد فاق، فعادوا إليه وخنقوه حتي مات[١].

قام الملك عز الدين أيبك بتدبير مؤامرة لقتل شجر الدر عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م لكن شجر الدر بلغها ذلك عن طريق إحدى النساء الموجودات عند الملك عز الدين أيبك فقامت بتدبير حيلة للتخلص منه، واتفقت علي ذلك مع محسن الجوهري الخادم وتم قتله[٢].

واعتمد شرف الدين النشو – ناظر الخاص – في عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون علي النساء في تحسس أخبار كبار الأمراء وما يحيكوه من مؤامرات سواء له أو للدولة، فقد كان يستخدم النساء العجائز في دخول بيوتهم علي أنهن دلالات يبعن القماش للنساء، ويصبرن عليهن في دفع ثمن هذا القماش المباع إلى أن يستطعن دفع ما عليهن وفي هذه البيوت يسمعن العجائز ما يقال في حق النشو من خير أو شر، وقد نجحت هذه الطريقة في الإيقاع بمجموعة من هؤلاء؛ وهم أولاد ابن الجيعان – مستوفي الدولة – عندما أخبرته أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعي في نظر الجيش، والآخر يسعي في نظر الخاص، وأنهم يريدون دفع رشوة من أجل الوصول إلى هذه المناصب فاحتاط النشو من ذلك[٣].

وشاركت المرأة في إنقاذ حياة بعض السلاطين عندما دبر الأمير ألى باي – رأس نوبة الأمراء وأحد المماليك الجراكسة المقربين من السلطان برقوق – مؤامرة لاغتياله عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م ؛ ولكن السلطان برقوق علم من أحد مماليكه تفاصيل هذه المؤامرة بكل دقائقها، كما أبلغته إحدي النساء بذلك وحذرته من زيارة آلي باي لأن مماليكه كانوا لابسين السلاح، وعلي أهبة الاستعداد لاغتيال السلطان برقوق عقب دخول بيت ألى باي الذي كان مدعيًا للمرض لكي يتوجه السلطان إلى بيته فلم يذهب السلطان بفضل تحذيرات هذه المرأة ونجي من هذه المؤامرة[٤].

---

(١) العيني: عقد الجمان، جـ١، ص٤٨.

(٢) القيسراني: النور اللائح والدر الصادح فى اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم٢٢٢٣، تاريخ تيمور، ميكروفيلم٣٦٤٢٦، ورقة٢٧ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٣؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص١٧٩.

(٣) المقريزى: السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٨٤؛ حسن فرحات: دور أصحاب الدواوين، ص٢٠٢-٢٠٣؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية فى دول شرق العالم الإسلامي، جـ١، ص٢١٧.

(٤) المقريزى: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩٠٣؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٣٧-١٣٨.

سادساً: العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس:

نتج عن نشاط التجسس الأيوبي والمملوكي الكشف عن العديد من جواسيس الأعداء الموجودين داخل البلاد وإلقاء القبض عليهم،وكشف العديد من الخونة الذين يعملون لحساب الأعداء في الداخل وكان واجبًا علي الدولة أن تقوم بتوقيع العقوبات عليهم، وقد تنوعت هذه العقوبات ، وفيما يلي سأبرز بعض هذه العقوبات

١ــ عقوبة القتل

- عقوبة القتل بالسيف:

والقتل: هو إزالة الروح عن الجسد كالموت، ولكن إذا اعتبر بفعل الشخص يقال قتل، وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت؛ قال تعالى: "أفإن مات أو قتل"[١].

وقد طبقها السلاطين علي الجواسيس، وهو ما ذكره العديد من المؤرخين، بأن عقوبة الجاسوس هو القتل حتي لو كان من المسلمين[٢].

أما عن طريق تنفيذ عقوبة القتل في الشريعة: أنه "إذا أطلق في لسان الشرع القتل كان قتلاً بالسيف ؛لقول النبي (ﷺ): "إن الله كتب الإحسان علي كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتل، وأحسن القتل هو القتل بالسيف"[٣].

وكانت عقوبة القتل غالبا ما كانت تقترن بعقوبات أخرى سابقة، وعقوبات لاحقة؛ ففي كثير من الأحيان كان يسبق عقوبة القتل القبض علي المتهم ثم الحبس أو السجن أو الاعتقال، والضرب والمصادرة. كما استخدمت عقوبات لاحقة مثل التمثيل بالجثة، عن طريق الصلب، أو التشهير أو المصادرة[٤]، كما تنوعت طرق تنفيذ عقوبة القتل بوسائل متعددة مثل الشنق والصلب، والقتل بالسيف والذبح، والسم، والحرق، والتغريق... وغير ذلك[٥] وكان يسبق عقوبة القتل القبض علي المذنب

---

(١) سورة آل عمران : أية ١٣٢ .

(٢) الشوكاني: نيل الأوطار،جـ٨، ص٥٧؛ ابن منكلي: الحيل في الحروب، ص٣٩١ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٣٨؛ أحمد شلبي: الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، ط٢، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤م، ص١١٥؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٨٨.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٨٨.

(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٩٠.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٩٠.

وحبسه، فإذا حكم عليه، كان يخرج من حبسه مقيدا ومعه الحراس إلى مكان تنفيذ العقوبة، ثم يقوّم أحد أعوان الوالي وهو المشاعلي، ويعريه ثيابه، ثم يقوم بضرب عنقه أمام جمع غفير من الناس[(١)].

وكانت هذه العقوبة تطبق على جواسيس الأعداء الذين تم القبض علـيهم داخـل الأراضـي الأيوبية والمملوكية؛ ففي عام ٥٨٧هـ/١١٩١م تم القبض علي جماعة من أعوان الصليبيين كانت معهم كتب للفرنج تخبرهم بحالة القدس، فقام السلطان بضرب رقابهم بالسيف[(٢)] ، وتكررت هذه العقوبة في الأعـوام الآتيـة : فـي عـام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م [(٣)] ، ٦٦٢هـ/١٢٦٣م [(٤)] ، ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م [(٥)]، ٧٢٠هـ/١٣٢٠م [(٦)] .'وقد صدرت هذه العقوبة وتم تطبيقها على الخونة والعملاء الذين عملوا لحـساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية ؛وذلك إما بكشف أخبـارهم لـصالح الأعداء أو لمساعدتهم لدخول البلاد وقد حدث ذلك في عام ٦٥٨هـ/١٢٥٦م عندما تم قتل جماعة مـن المسلمين من أهل دمشق كانوا ينقلون أخبار المعسكر الإسلامي إلى المعسكر المغولي فانكشف أمرهم فتم الحكم ؛ فقتلوا بالسيف[(٧)] ، وفي عام ٦٥٩هـ/١٢٥٧م اكتشف أن الملك الـسعيد حـسن صـاحب الصبيبة وبانياس كان أحد جواسيس المغول ينقل أخبار المسلمين إليهم، وبالتالي عندما ثبتـت عليـه التهمة حكم عليه بالقتل فتم ضرب عنقه بالسيف[(٨)] ، وقد طبقت مثل هذه العقوبة في سنوات عديدة على

---

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٩١.

(٢) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤؛ مصطفى علي: الأمراء الطواشية، ص٩٤.

(٣) ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص٩٥.

(٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٩٩ ؛ الدوادار: زبدة الفكرة، ج٩، ص١٠٠؛ شافع بن علي: حسن المناقب، ص٧٥- ٧٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٩٨ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥١١؛ العينـي: عقد الجمان، ج١، ص٣٨٨ ؛

Mamluk Espionage, P. 176.:Amitai

(٥) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٢٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٠.

(٦) علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر، ص١١٩.

(٧) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٣٢.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٥٣.

الخونة والعملاء نذكر منها في عـــام ٦٦٢هـــ/١٢٦٣م[١] ، ٦٧٣هـ/١٢٧٤م [٢]، ٧٠١هـ/١٣٠٢م [٣] ٨٤٣هـ/١٤٤٠م [٤].

- عقوبة القتل "شنقا":

الشنق: اشنقت الشيء وشنقته إذا علقته، أي جعلت الوتر في النبل، ويقال: شـــنق العربـــة إذا وكأها بالحبل أي علقها[٥].

والشنق : طريقة مشهورة لتنفيذ عقوبة القتل، لكنها طريقة غير واردة في الشريعة الإسلامية. واعتبرها القانون الوضعي طريقة لتنفيذ عقوبة الإعدام في المحكوم عليهم داخل السجن[٦].

وكانت هذه العقوبة تنفذ كالتالي: "كانت المشاعلية تتسلم المحكوم عليه، وتقوم بحراسته وهـــو مقيد اليدين ونصف جسده العلوي عارٍ من الثياب، ثم يتم لف أحد طرفي حبل المـــشنقة حـــول رقبـــة المذنب والحبل يدور حول بكرة مثبتة في العارضة،أو في منتصف فتحة الباب المراد إتمـــام العقوبـــة عليه، أما الطرف الثاني لهذا الحبل فيمر حول البكرة ويتدلى إلى أسفل، حيث يقوم المشاعلي عند تنفيذ حكم الإعدام بشد الخيط المتدلي جهتهم فيدور حول البكرة ويرتفع الجاني من الجهة الأخرى، وفي نفس الوقت تضيق الحلقة الملفوفة حول رقبة المحكوم عليه حتي يتم إزهاق روحه، بأن يكون كامل جـــسمه قد ارتفع من خلال الحبل المشدود حول رقبته[٧].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٥١٧، نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج٣، ص٨٧؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣٠، ص٢١٥؛ ابن بهـــادر: فتـــوح النـــصر، ورقة١٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٨؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٣٠؛ الفيومي: نثر الجمان، ورقة١٥٧؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩؛ محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص٧٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٦٤ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٦.

(٤) المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٧٠-١١٧١.

(٥) ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٣٤٢.

(٦) أحمد فتحي سرور: الوسيط في قانون العقوبات، دار النهضة العربية، ج١، القاهرة ١٩٨١م، ص٧ ؛ فـــاتن عبـــد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٠.

(٧) مني محمد بدر: العقوبات وطرق تنفيذها من خلال المخطوطات الإسلامية في القرن الحادي عـــشر (١٣- ١٧م) ، ج٢، القاهرة، بحث منشور في الملتقى الثالث بجمعية الآثاريين العرب ، ٢٠٠٠م، ص١١٣٨؛ فاتن عبـــد الحلـــيم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٠.

وقد كانت هذه العقوبة تطبق على جواسيس الأعداء الذين تم القبض عليهم داخل الأراضي الأيوبية والمملوكية [1]، وهو ما حدث عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما صدر الحكم بالشنق علي الخونة والعيون الذين كانوا يلوذون بالتتر ويطلعوهم علي أخبار المسلمين[2].

كذلك الأمر صدرت هذه العقوبة وتم تطبيقها على الخونة والعملاء الذين عملوا لحساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية وذلك بكشف أخبارهم لصالح الأعداء وقد حدث ذلك عام ٧٢٣هـ/١٣٢٠م حكم بالشنق علي "الشيخ ضياء الدين عبد الله الزربندي النحوي"، وذلك بعد مثوله بين يدي السلطان الناصر محمد بن قلاوون وثبتت عليه تهمة التجسس والخيانة لصالح العدو[3] ، وفي عام ٩٠١هـ/١٤٩٧م حكم بالشنق علي "القاضي سيف الدين الحنفي" بعدما ثبت عليه تهمة الخيانة ونقل أخبار المعسكر المملوكي إلى ابن عثمان[4] ، وفي عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م حكم بالشنق علي العربان الذين وجهت لهم تهمة الخيانة عندما قاموا بمساعدة مجموعة من جواسيس العثمانيين علي دخول الأراضي المملوكية في الخفاء دون أن يعلم بهم أحد[5]

- عقوبة القتل توسيطا أو "تنصيفا":

هي عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف، علي أن تكون الضربة قوية تحت السرة فتقسم الجسم نصفين من وسطه فتنهار أمعاء المحكوم عليه علي الأرض[6] وقد يستمر حيا هكذا

---

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٠

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣-١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص١٢٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٨٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١١٧.

(٤) أميره فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٧.

(٥) منى إبراهيم: السفارات الأجنبية في مصر، ص١٤٩.

(٦) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٠٤ ؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٠.

عشرين دقيقة وهو يتكلم مما يفجع الناظر والسامع[1]، واستخدمت في هذه العقوبة سيوف من نوع خاص وهي سيوف ذات قبضتين، عرفت باسم "سيوف الدم"[2].

وكانت تنفذ عقوبة التوسيط، إما والمحكوم عليه مسمر علي ظهر جمل، أو علي الأرض، وكان يسبق عقوبة القتل توسيطاً عقوبات أخرى من بينها الضرب والقبض علي المذنب والحبس، والتسمير والتشهير وقد طبق السلاطين هذه العقوبة علي الجواسيس والخونة لمعاقبتهم[3] ، ومن ذلك أن السلطان قطز قام بتوسيط أربعة من رسل التتار كان الغرض من رسالتهم التجسس على أحوال البلاد فوسط واحد بسوق الخيل ، وآخر بباب زويلة ، وآخر بباب النصر ، وآخر بالريدانية[4].وفي عام ٦٦٧هـ/١٣٦٥م تم الحكم على " شمس الدين بن غراب " بالتوسيط وعلق قطعتين على باب رشيد وذلك نظراً لخيانته وتواطئه مع الصليبيين أثناء هجومهم على الإسكندرية[5]، وفي عام ٩٠٤هـ/ ١٤٨٩م رسم السلطان بتوسيط جان بردي الغزالي ، كاشف الشرقية لاتهامه بالخيانة ومراسلة العثمانيين[6] إلا أن هذا المرسوم لم ينفذ .

---

(١) مني محمد بدر: العقوبات وطرق تنفيذها، ص١١٤٢؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٠.

(٢) البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشي، ص١٩٠؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٠.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٠.

(٤) أبو حامد المقدسي: دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٨٥٥٤، ورقة ٢٤.

(٥) المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤٢٥؛ قاسم عبده: أهل الذمة في العصر المملوكي، ص١٠٥؛ رزق محمد: الثغور المصرية، ص٢٣٧.

(٦) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٤.

- عقوبة القتل تغريقاً :

وقد استخدم السلاطين التغريق للتخلص من الجواسيس والخارجين عليهم[١] ، وقد حدث ذلك عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م عندما تم تغريق جماعة ممن كانوا يلوذون بالتتار ويؤذون بالمسلمين عن طريق نقل أخبار المماليك إليهم[٢]

٢ – عقوبة التسمير :

وهي من العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس، وهذه العقوبة عبارة عن تعرية ثياب المذنب ثم يربط على خشبتين على شكل صليب ، ثم تدق أعضاؤه في الخشب (يشبه اللعب وهم على جمال) بمسامير غليظة[٣] ، ويطاف به في القاهرة وينادى عليه " هذا جزاء فعله " ويذكر ذنبه[٤]

وكان المحكوم عليه بالتسمير تنتهي حياته بأحد ثلاث نهايات:

الأولى : أن يطلق بعد أن يطاف به القاهرة ومصر، ويكون في حالة إعياء شديدة لكونه كان يمنع من الطعام والشراب وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان، فضلاً عما يصيب المحكوم عليه من جراح نتيجة لعملية التسمير مما يجعله في بعض الأحيان يموت بعد أيام من إطلاقه.

الثانية : يموت فيها المحكوم عليه وهو تحت العقوبة أحياناً.

الثالثة : وكان في أغلب الأحيان يوسط المحكوم عليه، أي يضرب وسطه بالسيف[٥].

فقد حكم بالتسمير على جماعة من أعوان التتار كانوا يلوذون بهم ، وينقلون لهم أخبار المعسكر المملوكي [٦].

وقد عثر علي جاسوس عثماني يدعي "أحمد بن الديوان" فقبض عليه، وأمر السلطان قايتباي بتسميره وسلخه وتشهيره علي جمل بالقاهرة[٧].

---

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣-١٤.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٠٤؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٤.

(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٤.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٠٥.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣-١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص١٢٣.

(٧) عادل عبد الحافظ: دور خايربك المملوكي، ص٢٤٤.

٣- عقوبة كحل العيون:

وهي عقوبة تتم عن طريق إحماء المراود بالنار، ثم يكحل بها المحكوم عليه. ولم تكـن هـذه العقوبة شائعة، ويؤكد ذلك ندرة الحالات التي نفذت عليها، وهي عقوبة غير شرعية إلا إذا كانت فـي إطار القصاص[١]، وقد طبقها السلاطين كعقوبة للجواسيس والخونة، وقد تم كحل أعين طائفـة مـن الجواسيس كانوا يلوذون بالتتار عام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م [٢].

٤- عقوبة قطع اللسان:

هي عقوبة لم تكن شائعة فى ذلك الوقت ، وهى فى الوقت ذاته عقوبة غيـر شـرعية إلا إذا طبقت فى القصاص ، وقد حُكم بها في أغلب الأحوال على بعض رجال الدولة الأمراء والمماليك وقد استخدمها المماليك كعقوبة للجواسيس الذين تم القبض عليهم[٣].فقد قطعت ألسن طائفة من الجواسـيس كانوا يلوذون بالتتر في عام ٦٩٩ هـ/١٢٩٩م [٤].

٥- عقوبة السجن:

وقد طبقت هذه العقوبة على جواسيس الأعداء الذين تم القبض عليهم داخل الأراضي الأيوبيـة والمملوكية، ففي عصر صلاح الدين تسلل ثلاثة أجانب إلى البلاد ولكن وشي بهـم، فقـبض علـيهم وأودعوا في السجن بوصفهم أعداء للسلطان وقضي اثنان منهم نحبهما في الـسجن[٥] ، وفـي عـام ٦٦٠هـ/١٢٦١م تم القبض علي مجموعة جواسيس للمغول كانوا يريدون عبور الأراضي المصرية وتم اعتقالهم[٦] ، وقد تم القبض على العديد من الجواسيس وطبقت ضدهم عقوبة السجن في حالات كثيـرة كما حدث فى أعـوام : ٦٧٢هـ/١٢٧٣م [٧]،٦٨١هـ/١٢٨٢م[٨]، ٧٦٧هـ/١٣٦٥م [٩] ، ٧٨٩هـ/١٣٨٧م [١٠]

---

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٣٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣- ١٤.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٣٤.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣- ١٤.

(٥) صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢١.

(٦) بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ج٩، ص٩٢ ؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص٥٠.

(٧) ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٤.

(٨) الدوادار: زبدة الفكرة، ج٩، ص٢١٢؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧١٠ ؛ علـي الـسيد: الجاسوسـية المملوكية، ص١٣٤؛ سمير الدروبي، البحوث وحركة الترجمة والتعريب، ص٨.

(٩) إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، ص٣٩٩.

(١٠) المقريزي: السلوك،جـ٣، ق٣، ص١٠٣٥.

، ٨٢٦هـ/١٤٢٣م [١] ، ٨٧٧هـ/١٤٧٣م [٢].

وطبقت هذه العقوبة على الخونة والعملاء الذين عملوا لحساب الصليبيين والمغول والعثمانيين ضد الدولتين الأيوبية والمملوكية، ففي عام ٦٥٨هـ/١٢٥٩م تم اعتقال السعيد الحسن بن عثمان صاحب الصبيبة بقلعة البيرة وذلك لخيانته وتحالفه مع التتار [٣] ،ونفذت مثل هذه العقوبة في عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م [٤] ، ٦٦٣هـ/١٢٦٤م [٥].

وقام السلطان الظاهر بيبرس بسجن بعض أمراء العرب وذلك لأنه وصلت إليه أخبار من جواسيسه تفيد بخيانتهم للدولة المملوكية لصالح التتار [٦] ، وفي عام ٨٠٣هـ/١٣٩٩م تم القبض على مخبر ووضع بالحبس عندما جاء من الشام وأخبر بهزيمة نواب الشام من تيمورلنك [٧] وفي عام ٩١٧هـ/١٥١١م تم إلقاء تغري بردي الترجمان في السجن وذلك عندما ثبتت عليه تهمة الخيانة لصالح الفرنج [٨].

وبعد وقعة غزة بأيام قلائل تم الحكم بالسجن علي عبد محاسن بعد ما ثبتت عليه تهمة الخيانة لصالح العثمانيين، كما تم القبض علي مجموعة الجواسيس العثمانيين ووضعهم في السجن [٩].

٦- عقوبة التوبيخ:

تعد هذه العقوبة من العقوبات التعزيرية، كما أنها أيضاً من العقوبات المعنوية التي تحدث ألماً في النفس الإنسانية. وكان التوبيخ علي الفعل يأخذ شكلاً من أشكال القسوة التي تسبب في نفس الجاني ألماً يكون في بعض الأحيان أبلغ من عقوبات أخرى [١٠].

---

(١) المقريزي: السلوك،جـ٤، ق٢، ص٦٣٧.

(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٧٣.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٥٩.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٣٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٨٨.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٣٦.

(٦) وفاء محمد: ساحل الشام، ص١٤٤.

(٧) المقريزي: السلوك،جـ٤، ق٢، ص٦٣٧.

(٨) علي السيد: التراجمة في عصر سلاطين المماليك، ص١٦٧؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٩٠.

(٩) السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٥٦ ؛ عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين ص٩٤.

(١٠) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٢.

وقد أكد القلقشندي ذلك بقوله: "وإذا عثر علي زلة لأحد من جواسيس الدولة – يجب أن يوبخه– يذكره أن الخيانة سوف تعود عليه بالوبال في الآخرة"(١).

وصورة تنفيذ هذه العقوبة تتم عن طريق استدعاء المذنب، ويكون التوبيخ والتعنيف بالكلام المتمثل في الاتهام بالجرم الذي ارتكبه هذا المذنب واستنكار هذا الجرم، والإهانة بالشتم وغيره،ويأتي الزجر بعد ذلك ليكون مانعاً من ارتكاب الجرم مرة أخرى(٢).

وتجدر الإشارة إلى تدرج هذه العقوبة بما يتناسب مع جسامة الجرم المرتكب. كما يختلف معاقبة ذوي الهيئة بهذه العقوبة عن غيره ممن اعتاد الإجرام. وقد استخدم السلاطين في هذه العقوبة القسوة والمبالغة، وخاصة مع الخارجين على الدولة، وكانوا يتبعون هذه العقوبة بعقوبات أخرى لاحقة مثل السجن، والنفي، والضرب، والمصادرة(٣).

وعندما استولي السلطان الظاهر بيبرس علي بلاد الساحل عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م قام بتوبيخ الفلاحين الموجودين في بلاد الساحل ونابلس وفرض الكثير من الأموال عليهم يحملونها إلى بيت المال لأنهم كانوا ينقلون أخبار المسلمين إلى الفرنج(٤).

وقد وبخ السلطان قانصوه الغوري الأمير تغري بردي الترجمان والسفير،وذلك عام ٩١٧هـ/١٥١١م فلما حضر بين يديه وجه له تهمة مراسلة الفرنج، وإجماعهم في البلاد، وضبطت مراسلات بخطه، فأنكرها، ولكن السلطان وبخه توبيخاً شديداً، ووضعه في الحديد وألقاه في السجن، وصادر ممتلكاته، ورانب أهله وأولاده(٥).

وفي عصر السلطان طومان باي قام بتوبيخ أبناء السمرقندي ويونس العادلي وختم علي حواصلهم وذلك عندما تبين له خيانة كل من إبراهيم السمرقندي ويونس العادلي ووجد عندهم مكاتبات للعثمانيين(٦).

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ٥، ص١٢٥.

(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٣.

(٣) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٦.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٨٨.

(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٦.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٨٤ ؛ طه عبد العزيز: العلاقات المملوكية العثمانية، ص٢٧٩.

٧- عقوبة التهديد والإنذار بالعقوبة:

ويقصد بها الترويع والتخويف، بهدف منع الجاني من ارتكاب الجرائم، أو العودة إلى ارتكابها مره أخرى[١]، وتبدو أهمية هذه العقوبة في محاولة منع الجريمة قبل حدوثها، ومنع تكرارها إذا أحدثت، كما أنها من العقوبات المعنوية[٢] ، ففي عام ٦٦١هـ/١٢٦٢م صدر تحذير من السلطان الظاهر بيبرس لمن بالكرك، بعدم التعامل مع التتار وعدم خيانة الدولة، وذلك بعد ما ثبت أن الملك المغيث نائب الكرك يخون الدولة المملوكية لصالح التتار[٣].

٨- عقوبة العزل:

تعد عقوبة العزل نوعا من العقوبات التعزيرية التي تطبق علي المذنبين وهي حرمانهم من ممارسة وظائفهم، وما يترتب علي ذلك من سلب ألقابهم، وانقطاع راتبهم سواء العيني أو النقدي الذي كان يتقاضاه صاحب الوظيفة، أو المذنب[٤].

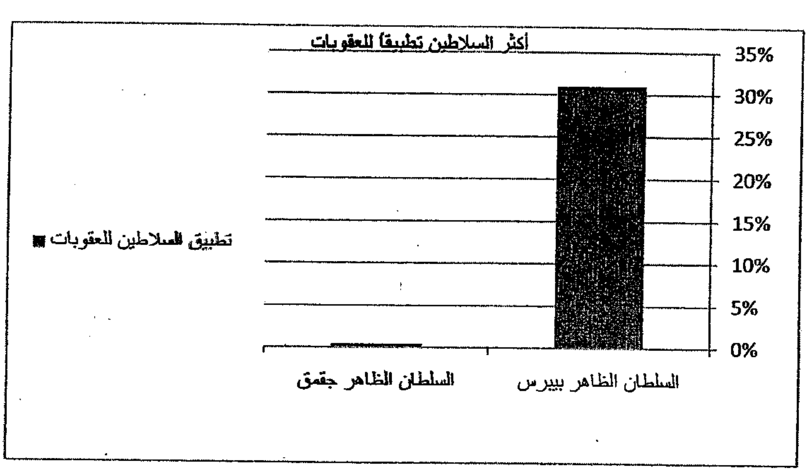
وعقوبة العزل يعدها القانون الوضعي "جزاءً تأديبياً" كما أنها عقوبة تبعية وقد تتبع عقوبة العزل عقوبات أخرى مثل الضرب، و التشهير، وتحديد الإقامة، والنفي والمصادرة وغيرها[٥].وهو ما حدث في عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م عندما تم عزل ابن عرام عن ولاية الإسكندرية بسبب اتهامه بالخيانة ومعاونة الفرنج أثناء هجومهم علي الإسكندرية[٦].

(جدول٤)

أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس

عدد العقوبات التي طبقت في عصر الدراسة	اكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات	العدد	النسبة المئوية	أقل السلاطين تطبيقاً للعقوبات	العدد	النسبة المئوية
٤٥ عقوبة	السلطان الظاهر بيبرس	١٤ عقوبة	٣١%	السلطان الظاهر جقمق	حالة واحدة	٠,٤٥%

(١) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٧.
(٢) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٧.
(٣) المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥١٧.
(٤) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٥١.
(٥) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٥١.
(٦) فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٥٨.

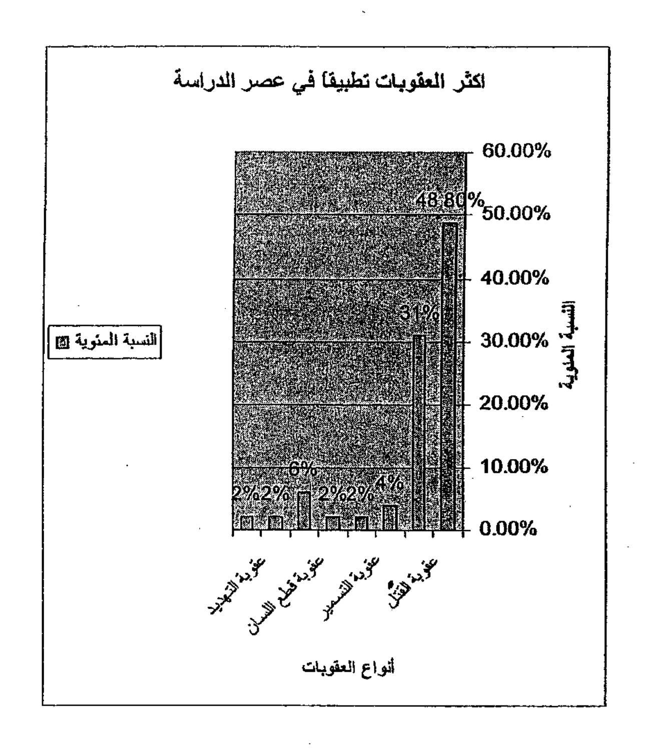


ويتضح مما سبق أن السلطان الظاهر بيبرس كان أكثر السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس ،حيث بلغت النسبة في عهده إلى ٣١% بينما كان السلطان الظاهر جقمق أقل السلاطين تطبيقاً للعقوبات ضد الجواسيس حيث بلغت النسبة ٠,٤٥%.

(جدول٥)

أكثر العقوبات تطبيقاً في عصر الدراسة

أنواع العقوبات	عدد حالات التطبيق	النسبة المئوية
عقوبة القتل	٢٢ حالة	%٤٨,٨
عقوبة السجن	١٤ حالة	%٣١
عقوبة التسمير	حالتين	%٤
عقوبة كحل العيون	حالة واحدة	%٢
عقوبة قطع اللسان	حالة واحدة	%٢
عقوبة التوبيخ	٣ حالات	%٦
عقوبة التهديد	حالة واحدة	%٢
عقوبة العزل	حالة واحدة	%٢



وأستنتج من ذلك أن أكثر العقوبات التي شاع تطبيقها في عصر الدراسة عقوبة القتل بكافة أنواعها (القتل بالسيف- القتل شنقاً- القتل توسيطاً- القتل تغريقاً) وبلغت النسبة حوالي من ٤٨,٨% بينما كانت أقل العقوبات تطبيقاً في عصر الدراسة (عقوبة كحل العيون- قطع اللسان- التهديد- العزل) وكانت نسبة كل عقوبة حوالي من ٢%.

توصلت الدراسة إلى [illegible]

- أوضحت الدراسة أن ديوان الإنشاء ورئيسه كانا [illegible] الأيوبي والمملوكي ، وكان يقوم بالإشراف على عمال التجسس و[illegible] لتجسس أخبارهم والتعرف على كل ما يدور وإبلاغه بها ، وكان يعاونه في الإدارة مجموعة من [illegible] إدارة التجسس تكون قوية عندما تكون الدولة قوية وتضعف عندما [illegible] الدولة [illegible] الإدارة [illegible] في بادئ الأمر تسند إلى الدوادار ثم بعد ذلك أسندت إلى رئيس ديوان الإنشاء.
- كشفت الدراسة عن [illegible] من عمال التجسس الأيوبية والمملوكية الذين كانوا يتسللون على [illegible] الدولة [illegible] أخبار الأعداء في الداخل و[illegible] الخارجين على الدراسة في الداخل.
- انتهت الدراسة إلى أن الدولة المملوكية البحرية كانت أكثر عصور استخداماً لعمال التجسس ، حيث كانت [illegible] تصل إلى من ٤٠٪ [illegible] ثالث أقل [illegible] استخداما لهم العصر الأيوبي [illegible] النسبة ١٧٪ ، وكان أكثر السلاطين استخداما لعمال التجسس السلطان بيبرس البندقداري [illegible] الأعداء [illegible] عمال التجسس في عهده ٢٤٪ ، وكان السلطان العادل الأيوبي [illegible] السلاطين اعتمادا عليهم [illegible]

الخاتمة

- أوضحت الدراسة أن اختيار عمال التجسس كان يتم وفق ضوابط وشروط كانت لابد أن تتوافر فيهم [illegible] الدولة لم تبخل عليهم بالإنفاق فجعلت لهم الرواتب العينية والنقدية [illegible]
- توصلت الدراسة إلى وجود بعض الفرق داخل الجيش الأيوبي والمملوكي تخصصت في [illegible] التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء وتوصيلها إلى السلاطين وكانت هذه الفرق [illegible] الجيوش [illegible] وتمثلت هذه الفرق في (فرقة طلائع العسكر – فرقة [illegible] – فرقة الكشافة – فرقة [illegible]) .
- [illegible] الدراسة عن وجود بعض الأشخاص وغيرهم التي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات في البحر وتمثلت في (القراصنة) وبعض السفن البحرية المتمثلة في (الأغربة – الشواني – [illegible] – الزوارق) وبعض الحملات الاستطلاعية التي أرسلها السلاطين إلى بلاد الأعداء لتجسس أخبارهم.
- تعددت مصادر جمع المعلومات عند الأيوبيين والمماليك [illegible] منها السفراء ، حيث لم تكن مهمة السفير تبليغ رسالة فقط ، بل كانت هناك أغراض تجسسية للسفراء ، وكان الأسرى

الخاتمة

توصلت الدراسة إلي عدد من النتائج نعرض لها بإيجاز فيما يلي :-

- أوضحت الدراسة أن ديوان الإنشاء ورئيسه كانا المسئولين عن إدارة التجسس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، وكان يقوم بالإشراف علي عمال التجسس وتوجيههم إلي أراضي الأعداء لتجسس أخبارهم والتعرف علي كل ما يدور وإبلاغه بها ، وكان يعاونه في الإدارة مجموعة من العمال ،وتبين أن إدارة التجسس تكون قوية عندما تكون الدولة قوية وتضعف عندما تضعف الدولة ،وكانت إدارة التجسس في بادئ الأمر تسند إلي الدوادار ثم بعد ذلك أسندت إلي رئيس ديوان الإنشاء.
- كشفت الدراسة عن العديد من عمال الدولتين الأيوبية والمملوكية الذين كانوا يعملون علي خدمة الدولة والقيام بتجسس أخبار الأعداء في الخارج و أخبار الخارجين علي الدولة في الداخل .
- أثبتت الدراسة أن الدولة المملوكية البحرية كانت أكثر الفترات استخداماً لعمال التجسس؛ حيث بلغت النسبة حوالي من ٥٤% ، بينما كانت أقل الفترات استخداماً لهم العصر الأيوبي فقد بلغت النسبة ١٧% ، وكان أكثر السلاطين استخداماً لعمال التجسس السلطان بيبرس الذي بلغت نسبة الاعتماد علي عمال التجسس في عهدة ١٤% ، وكان السلطان العادل الأيوبي أقل السلاطين اعتماداً عليهم فقد بلغت النسبة ٠,٧٠% .
- أوضحت الدراسة أن اختيار عمال التجسس كان يتم وفق ضوابط وشروط كانت لابد أن تتوافر فيمن يعمل بهذه الوظائف ،كما أن الدولة لم تبخل عليهم بالإنفاق فجعلت لهم الرواتب المادية والمعنوية وأعطتهم بسخاء.
- توصلت الدراسة إلي وجود بعض الفرق داخل الجيش الأيوبي والمملوكي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات عن الأعداء وتوصيلها إلي السلاطين وكانت هذه الفرق تتقدم مسيرة الجيوش دائماً؛وتمثلت هذه الفرق في (فرقة طلائع العسكر – فرقة اليزك – فرقة الكشافة – فرقة السرايا) .
- كشفت الدراسة عن وجود بعض الأشخاص والسفن التي تخصصت في مجال التجسس وجمع المعلومات في البحر وتمثلت في (الغواصين) وبعض السفن البحرية المتمثلة في (الأغرابة – الشيطي – دغيص – الزوارق) وبعض الحملات الاستطلاعية التي أرسلها السلاطين إلي بلاد الأعداء لتجسس أخبارهم .
- تعددت مصادر جمع المعلومات عند الأيوبيين والمماليك فكان منها السفراء ؛ حيث لم تكن مهمة السفير تبليغ رسالة فقط ، بل كانت هناك أغراض تجسسية للسفراء ،وكان الأسرى

يمثلون أحد أهم مصادر جمع المعلومات ، وليس هذا فحسب بل كان المستأمنون والوافدون السياسيون من المصادر المهمة لجمع المعلومات ،فقد قاموا بأعمال تجسسية وقدموا معلومات كبيرة للأيوبيين والمماليك ، وقد لعب التجار والمسافرون وقبائل العربان ورجال الدين والمهزومون في الحروب وأهالي البلاد المفتوحة والحجاج والعبيد والرقيق والخدم والمتطوعة وعامه الناس والشبكات السرية والأعوان دوراً بارزاً وكانوا يمثلون أهم مصادر جمع المعلومات .

- أثبتت الدراسة أن هذه الفرق وهؤلاء العمال استخدموا بعض الوسائل لنقل هذه المعلومات المهمة عن الأعداء إلي السلاطين والمسئولين في الدولة وتمثلت هذه الوسائل في سفن البريد والسهام ، والخيل والهجن و الإبل ، الا أنهم وجدوا هذه الوسائل بطيئة جداً فعملوا علي إيجاد وسائل أخرى أسرع فلجأوا إلي استخدام الحمام الزاجل ، والتراسل بالنار والدخان ، لأن الأعداء قاموا برصد هذه الوسائل وعملوا علي تعطيلها .
- كشفت الدراسة عن الطرق والأساليب التي اعتمد عليها عمال التجسس لإخفاء الرسائل والكتب التي يرسلوها إلي السلاطين ليعلموهم بأخبار وأحوال الأعداء وقد ذكر القلقشندي العديد من هذه الطرق وخصص لها بابا في كتابه " صبح الأعشى " فكان منها :-

- الحبر السري في الكتابة وقد ذكر العديد من الطرق لصناعة الحبر السري
- التعمية بالرموز والإشارات.
- التعمية بالغة عن طريق الأرقام والحروف .

- أوضحت الدراسة دور التجسس في مواجهة الأخطار الخارجية وكيف تمكن السلاطين الأيوبيون والمماليك من مواجهة هذه الأخطار بفضل المعلومات التى وصلت منهم.
- كشفت الدراسة عن اعتماد الصليبين والمغول والعثمانيين علي التجسس في غزوهم للدولتين الأيوبية والمملوكية، وكيف استطاعوا عن طريقهم السيطرة علي بعض المناطق الإسلامية ،وكيف تمكن العثمانيون في النهاية من السيطرة علي الدولة المملوكية وإقامة الخلافة العثمانية في مصر والشام بفضل امتلاكها للجواسيس والخونة .
- بينت الدراسة الإجراءات الوقائية التي اتخذها الأيوبيون والمماليك لمنع تسرب المعلومات للعدو وهو ما يسمي " بالتجسس الوقائي " عن طريق حفظ الطرق وحماية الثغور والحرص والحذر من تسرب المعلومات والأخبار إلي العدو.
- أثبتت الدراسة اعتماد الأمراء والسلاطين علي العيون والجواسيس في حسم المؤامرات والفتن التي دبروها لبعضهم البعض، وكيف نجح عيون وجواسيس السلاطين في الكشف عن أكبر عدد ممكن من هذه المؤامرات حيث بلغت النسبة ٩٣% مما يبرهن علي احتراف السلاطين في استخدام التجسس علي الأفراد .

- أوضحت الدراسة دور التجسس في التخلص من الشيعة في مصر والشام وكيف استطاع سلاطين الأيوبيين والمماليك عن طريق الجواسيس من التخلص من الشعبية والقضاء عليهم ، إلا أنهم استخدموا أسلوب التجسس في التخلص من سلاطين الأيوبيين والمماليك الأمر الذي دفع السلاطين إلي التحالف معهم وضمهم إلي عمال التجسس للقيام بمهام الاغتيالات ضد المناوئين والأعداء .
- بينت الدراسة دور التجسس في مراقبة حالة الأسواق وكيف تمكنت من إنعاش الحالة التجارية في الدولتين الأيوبية والمملوكية وساعدت علي تنشيط هذه الحركة مع الأعداء علي الرغم من الحروب التي كانت بينهم كما حافظت علي أموال السلاطين من وصول أيدي الطامعين لها .
- أوضحت الدراسة دور المرأة البارز في أعمال التجسس في الخارج والداخل ، وكيف استطاعت أن تحصل علي الكثير من المعلومات التي لم يستطع الجواسيس الرجال في التعرف عليها .
- توصلت الدراسة إلي العقوبات التي طبقتها الدولة علي الجواسيس والخونة الذي تم القبض عليهم والكشف عنهم داخل الأرض الأيوبية والمملوكية ، وتنوعت هذه العقوبات مابين القتل والتوسيط والتسمير وغيرها من العقوبات الكثيرة التي تم ذكرها ، وتبين أن أكثر هذه العقوبات تطبيقاً كانت عقوبة القتل بكافة أنواعها حيث بلغت نسبتها حوالي من ٤٨,٨%.

ملحق رقم (١)

عهد ولاية البريد(١) [illegible]

هذا ما عهد عبدالله فلان أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان حين [illegible] بتقوى الله وطاعته، واستشعار خوفه ومراقبته في سر أمره وعلانيته [illegible] أمير المؤمنين إياه [illegible] من الاصطناع، وقربه منه من [illegible] فيما يليه، والحق فيما بعده وبينه، وأن يختار من يستعين به في [illegible] وكتب [illegible] وتحريره [illegible] مستعملة (من) أهل الكفاية والغناء [illegible] من يستحق منهم [illegible]

وأمره أن يتعرف حال [illegible] فيما يجري عليهم أمرهم ويتتبع ذلك تتبعاً [illegible] ويكتب بما يكتب به [illegible] وأمره أن يتعرف حال [illegible] وما هي عليه من العمارة والاختلال، ويتحرى في أمر الرعية فيما يعاملون به من [illegible] والجور والرفق والعسف، ويكتب به مشروحاً ملخصاً مفصلاً، وأمره أن يتعرف ما [illegible] أحوال الحكام في أحكامهم [illegible] ولا يكتب من ذلك إلا بما يصح [illegible] ولا يرتاب به.

النصوص والخرائط

وأمره أن يتعرف حال دور الضرب، وما يجري فيها [illegible] من العين والورق، وما [illegible] ويكتب بذلك على [illegible] وأمره [illegible] عرض [illegible] ويطالع ما يجري فيه، ويكتب بما يقف عليه [illegible]

وأمره أن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته ولا يدخل شبهة في شيء منه [illegible] إلا [illegible] وكانوا على الثقة [illegible] وأن يحتاط في ذلك بما [illegible] الشهادة [illegible] وإقامة الشواهد الدلالة بما يمكن إقامتها عليه، وأن لا يرووا عن شيء لا يعلمونه، وأن لا [illegible] أحداً بستره، وأن يكتموا أسرارهم ولا يذيعوها ولا يتطلعوا إلى كشفها [illegible] فإن ذلك [illegible] ولمن أراد الحيلة متطرقاً.

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، [illegible]

ملحق رقم (١)

عهد ولاية البريد(*)

هذا ما عهد عبدالله، فلان أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان حين ولاه أعمال البريد بناحية كذا أمره بتقوى الله وطاعته، واستشعار خوفه ومراقبته، في سر أمره وعلانيته، وأن يجري أمره فيما استكفاه أمير المؤمنين إياه، بحسب ما بدأ به من الاصطناع، وقدره عنده من الكفاية والإطلاع. وأمران يؤثر الصدق فيما ينهيه، والحق فيما يعيده ويبديه، وإن يختار من يستعين به في عمله، ويشركه في أمانته من يثق بصناعته، ونزاهته وطيب طعمته، وتحريره الصدق فيما يصدر عن يده ولهجته، وأن يكون من يستعمله (من) أهل الكفاية والغناء دون من يستعمل منهم على العناية والهوى.

وأمره، أن يعرف حال عمال الخراج والضياع في ما يجري عليهم أمرهم، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً، ويستشفه استشفافاً بليغاً، وينهيه عن حقه وصدقه ويشرح ما يكتب به منه وأمره أن يتعرف حال عمارة البلاد وما هي عليه من الكمال والاختلال، ويجري في أمور الرعية فيما يعاملون به من الإنصاف، والجور والرفق والنصف، فيكتب به مشروحاً ملخصاً مبيناً مفصلاً وأمره أن يتعرف ما عليه أحوال الحكام في أحكامهم، وسيرتهم وسائر مذاهبهم، وطرائقهم ولا يكتب من ذلك، إلا بما يصح عندهم ولا يرتاب به.

وأمره أن يتعرف حال دار الضرب، وما يجري عليه مما يضرب فيها من العين والورق، وما يلزمه المرضون من الكلف، والمؤن ويكتب بذلك على حقهم وصدقه. وأمره أن يوكل بمجلس عرض الأولياء وعطياتهم، من يراعيه ويطالع ما يجري فيه، ويكتب بما يقف عليه من الحال في وقته.

وأمره أن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئاً يثق بصحته ولا يدخل شبهة في شئ منه، ويوعز إلى خلفائه وأصحابه أن لا ينهو إليه إلا ما يثبتونه، وكانوا على الثقة منه، وأن يحتاط في ذلك بما يحتاط به في مثله شهادة، فيما يمكن الشهادة فيه وأخذ الخطوط بما يتهيأ أخذها به، وإقامة الشواهد والدلائل، بما يمكن إقامتها عليه، وإن لا يرووا عن شئ لا يعلمونه، ولا يحابوا أحداً بستره وأن يكتموا أخبارهم ولا يزيعوها ولا يخلدوا إلى كشفها وإفشائها، فإن ذلك إذا جرى هنا ولمن أراد الحيلة متطرفاً.

(*) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص٥٠ – ٥٢.

الملحق رقم (٢)

في حال الجواسيس وأصحاب الأخبار(*)

ويجب على السلطان أن يكون له جواسيس، قد عرف منهم: الثقة، والدين، والأمانة، مقتنعين بما يفيض[١] عليهم من إنعامه، ويصل إليهم من إحسانه، ولا يحدثون أنفسهم بطلب المناصب[٢]، وحرص المكاسب، فينشرهم في البلاد ويرسلهم على العباد شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، ليطالعونه بالأخبار من جميع الأمصار، لئلا ينكتم عنه حال، ولا ينطوي عنه مقال، ولِيَضُمَّ إلى ما يوردونه عليه، ويرسلونه إليه، التماس الأخبار من المسافرين والتجار، وذلك لئلا يتم عليه زلل، ولا يداخل الملك خلل، وليسأل من الوارد والصادر، والبادي والحاضر[٣] وليكتم أمره ويتجسس[٤]، ويُخْفِ نفسه، ويتحسس[٥]، لتشمل الناس هيبته، ويخافوا سطوته، ويحذروا شره، ولا يأمنوا مكره.

(*) الهروي: التذكرة الهروية، تحقيق مطيع المرابط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م، ص٧٩.

(١) يُفيض: يجود عليهم بالمال وغيره.

(٢) أي لا يفكرون بمناصب أعلى من مناصبهم بل الولاء للحاكم.

(٣) البادي: ساكن البادية، والحاضر: ساكن المدن.

(٤) التجسس بواسطة الغير.

(٥) التحسس: بشكل شخصي.

ملحق رقم (٣)

توقيع بوظيفة المهندارية بحلب [١]

رسم بالأمر الشريف – لا زالت عزائمه تندب للمهمات من غرست برياض وليه أدواح الهمم فزكا غرساً، وتقرر لها من شاب فوده في إفادة الوفود فأجاب قصداً وأطاب نفساً، ولا برحت عنايته تشمل من أولياء خدمها كل شهم إذا سل عضباً أزال نفساً، واسأل نفساً وتعين من أعيانهم كل جميل يود المنافس لو شاهده ولا تبخس يد الرقي منه نفساً – أن يستقر..... لأنه ذو الهمم التي لا تلحق جيادها، ولا تسبق جودة جيادها، لا منتهى لصغار هممه فأني تدرك كبارهم، ولا تدرك سوابقه فأني تقتفي آثارها، له قدم إقدام في الثرى لا يزال راسخا، وهامة همة لم يزل شرفها على الثريا باذخاً، ولأنه الفارس الذي تفرست في مخايله الشجاعة، وتبضع الشهامة في الحروب فكانت أربح بضاعة، كم أزرت سمر رماحه بهيف القدود، وأخجلت بيض صفاحه كل خود أملود؛ وكم جردت من مطربات قسيه الأوتار فتراقصت الرءوس، وشربت الرماح خمر الدماء فعربدت على النفوس:

له همم تعلو السحائب رفعه	وكم جاد منها بالنفائس والنفس
وتجني ثمار الفضل من دوح غرسه	ولا غرو أن تجني الثمار من الغرس

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة تحمده فيها الوراد، وتشكره بالقصد ألسنة القصاد، وتذكره البريدية بالخير في كل واد، وليهئ لهم (من القرى ما يهيئه) المضيف، وليحصل لهم التالد منه والطريف، وليتلقهم بوجه الإقبال، وليبدأهم بالخير ليحسن له المآل، وليجعل التقوى إمامه في كل أمر ذي بال، وليتصف بالأنصاف فهو أحمد الأوصاف في جميع الأحوال.

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٢، ص٤٣٢ – ٤٣٣.

ملحق رقم (٤)

نص رسالة الجاسوس إياس

التابع لبني عثمان بأراضي السلطنة المملوكية بتاريخ "سنة ٨٩١هـ"(*)

"جناب صاحب العزة والدولة، مكتسب السعادة، حاوي خصائص الأنام، أدام الله تعالى دولته.

بعد السلام، نعرض عليكم الأحوال التي وردت إلينا بعد الخطاب المعروف الذي أرسلناه إليكم لأننا ملك لكم. أحوال مصر يلي: جاء يونس بك ابن عمر وأحمد بك ابن طلحه وجمعه من بني مر وبعض الأمراء إلى الفيوم وخربوا مملكة مصر. لم يرسل السلطان إليهم أحداً ولم يذهب إليهم بنفسه، ذلك أنهم تفرقوا بعد أن أعلنوا العصيان على أوزبك – ولما علم عرب الشام جميعاً بذلك تحركوا وقطعوا طريق الشام مصر.

عاد الألف جندي الذين كانوا قد وصلوا من مصر واستقروا في عينتاب وصلوا إلى حلب، فمنعهم نائب دمشق من السير إلى مصر عندما علم بتحركاتهم، لأنهم إذا عادوا إلى مصر فإن التركمان يخربون البلاد.

لن يأتي أحد إلى حدودكم لمؤازرة الأمراء سواء من ذولقادر أو من الشام أو من الشرق وإذا كانت لديكم رغبة في المملكة (دولة المماليك)، فلا تفوتوا الفرصة......

إذا أرسلتم عدة سفن إلى طرابلس وبعضاً آخر إلى الإسكندرية فإنها تكون كافية لإدخال المملكة (دولة المماليك) في الطاعة. وبهذا تطيع كل مصر والشام لعدالة السلطان خلد الله ملكه، كلامي هذا صحيح لم أخف منه كلمة، إياس.

(*) أميرة فهمي علي، السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، ص٢٩٦.

ملحق رقم (٥)

نص رسالة من الأمير مراد حاكم أماسيا بناء على معلومات وردت

من خمس جواسيس تابعين لبني عثمان بأراضي السلطنة المملوكية بتاريخ "سنة ٨٩٥هـ"(*)

"حضرة الباشا الأعظم:

تحف التحيات الصافية المتوالية عنبرية النسيم، وطرف السرم بكلمات مثالية لعهد الشيم التي تفيض من محض صفاء المحبة ومن مودة الوفاء الموسرة. ننهي إلى ضميركم المنبر ونخبر أنه:

جاء في هذه الأيام خمس جواسيس لنا بالشام. جاء إثنان منهم ذات مرة، وجاء آخران مرة أخرى، ثم جاء الخامس. وأجمعوا على أن حادث سلطان مصر صحيح، وأنه وقع خلاف بين أمراء حلب، وأن أوزبك عاد إلى مصر.

أما والحالة هذه فالمرجوا والمتوقع ألا تفوتوا الفرصة، ما دام حادث السلطان قد وقع فعلاً، إذا كان ما يتعلق بهذا الموضوع صحيحاً وظاهر للصراحة، فليس هناك مجال للندم من بعد. أحسنوا وأرسلوا خطاباً شريفاً من مقر السلطنة السنية. حان وقت الإقدام والتدخل من هذه الناحية فلابد أن تتوجهوا من هذه الناحية، فلن يرى أحد من الفرمانيين وجهاً للتدخل.

أجمع عامة الناس على دخولكم من هذه الناحية وانعقد رأيهم على هذه الأولوية.

والخلاصة، يجب العمل بموجب ما أجمع على صحته رأي جميع الناس وترك ما يخالف ذلك سيرسل لكم إن شاء الله تعالى افتخار الأكابر والأعاظم خادمي تاج الدين بك رسالة بشرى في الوقت الحاضر بخصوص أحوال المناطق الشرقية وأوضاعها. أرسل خطاب المحبة مع يوسف.

ليكن معلوماً لديكم عند الإطلاع عليه إن شاء الله تعالى أن مباني الصداقة غاية في الاحترام في تلك الناحية، لا تدخروا وسعاً وابذلوا النفس والنفيس بخصوص الشام، فالبلاد خالية، وهذا وقت تدخلكم.

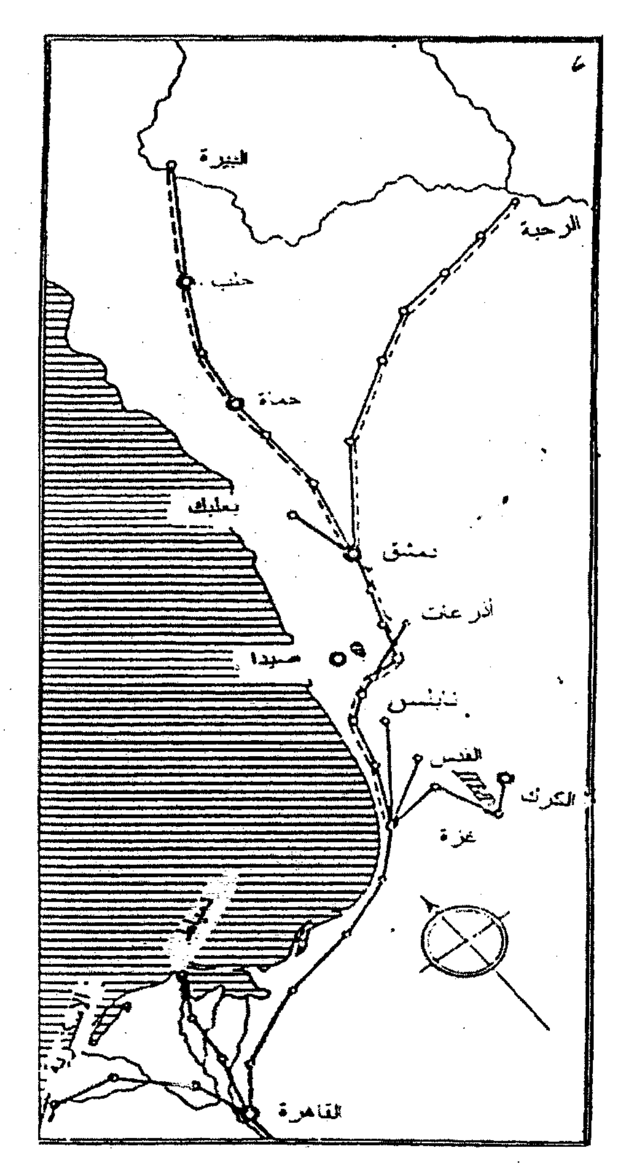
ولتتفضلوا بملاحظة أن هذا عرض لما وقع وقد اختصر إلى هذه الدرجة فليدم ظل وجودكم ممدوداً."

المحب المتفاني

سلطان مراد

(*) أميرة فهمي علي، السلطان الأشرف قايتباي المحمودي ، ص٢٩٤.

الفصل الثاني، جمع المعلومات ووسائل وطرق نقل المعلومات



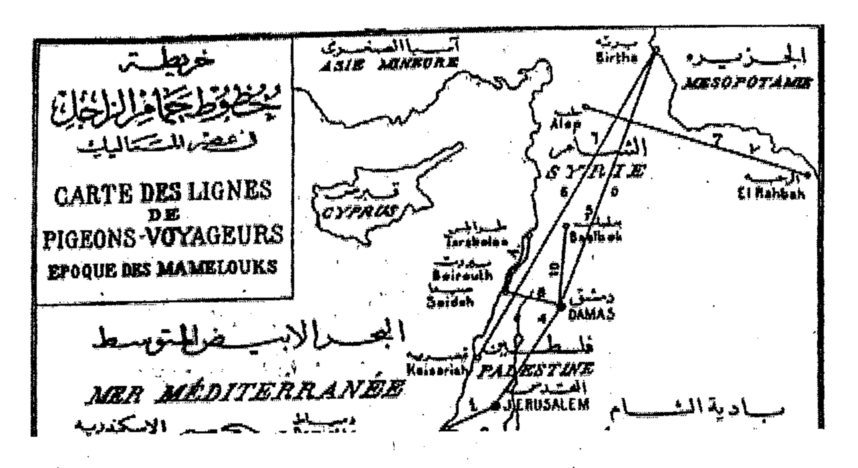
أبراج الحمام الزاجل ومراكز الإشارات الضوئية في بلاد الشام

= الخطوط المتصلة: شبكة أبراج الحمام الزاجل.

الخطوط المتقطعة: مراكز الإشارات الضوئية.

نقلاً عن مصلحة البريد.

ملحق رقم (٧)

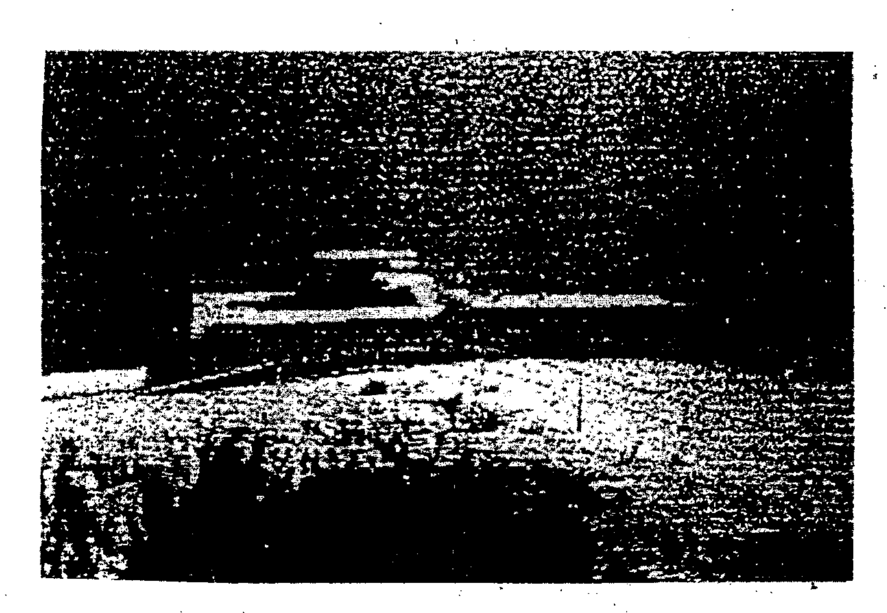


مطارات الحمام الزاجل في العصر المملوكي "نقلا عن مصلحة البريد"

ملحق رقم (٨)



منظر داخلي لبرج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين بجزيرة فرعون بجنوب سيناء.



منظر خارجي لبرج الحمام الزاجل بقلعة صلاح الدين

الجداول

١- أشهر عمال التجسس .

٢- مؤامرات الأمراء ضد السلاطين .

٣- مؤامرات السلاطين ضد الأمراء .

٤- مؤامرات الأمراء ضد الأمراء .

٥- العقوبات التى طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذين تم الكشف عنهم .

(جدول٦)

أشهر عمال التجسس

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/ ١١٦٩_١١٩٣م)	زين الدين علي بن نجا الواعظ	٥٦٩هـ/١١٧٤م	جاسوس	تجسس أخبار المتآمرين على السلطان صلاح الدين	المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص١١-١٢؛ المقريزي: السلوك،ج١، ق٢، ص٥٣ - ٥٤؛ سيد علي: الأخبار السنية، ص ١٥٨.
	الفقيه ضياء الدين عيسى	٥٨١هـ/١١٨٥م	رسول	تجسس أحوال الصليبيين في خلاط وإبلاغ السلطان بها تمهيداً لفتحها	البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٦٥؛ ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص ٢٤٨.
	الناصح بن العميد	٥٨١هـ/١١٨٥م	مناصح	دسه السلطان صلاح الدين على ناصر الدين محمد بن شيريكوه ابن شاذي صاحب حمص لقتله	ابن شاهناشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه، ص٢٣١؛ ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٣٨-١٣٩.
	فايماز الحراني	٥٨٦هـ/١١٩٠م	مخبر يزك	تبليغ أخبار الصليبيين إلى السلطان صلاح الدين قامت فرقة اليزك بتجسسها	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٠٠.
	عيسى العوام	٥٨٧هـ/١١٩١م	عوام	تجسس أخبار الصليبيين المحاصرين لعكا	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٥٨.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير شيريكوه بن باخل الزرزاري	٥٨٧هـ/١١٩١م	أسير	هرب من الأسر وأخبر السلطان بأخبار مفيدة عن الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٩١.
	علم الدين سليمان بن جندر	٥٨٧هـ/١١٩١م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٢٧٣.
	عز الدين جورديك	٥٨٨هـ/١١٩٢م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٣٢٣-٣٢٤؛ سيرة صلاح الدين، ص ١٧٤؛ علي بن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضره القاهرة، ص١١٧.
الملك العادل الأيوبي (٥٩٧-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)	شهاب الدين أبو القاسم بن البلاغي	٦٠١هـ/١٢٠٤م	أسير	أخبر السلطان بأخبار الصليبيين وأخبره بما حدث لحماه	ابن نظيف الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٥٢.
السلطان الملك الكامل (٦١٥-٦٣٦ هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م)	علم الدين شمايل	٦١٥هـ/١٢١٨م	غواص	تجسس أخبار الصليبيين المحاصرين لدمياط	الدواداري: الدر المطلوب، جـ٧، ص ٢٠٠-٢٠١؛ ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص ٩٨.
السلطان الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٨-٦٤٧هـ/ ١٢٤٠-١٢٥٩م)	فردريك الثاني	٦٤٥هـ/١٢٤٧م	مناصح	أخبر الأيوبيين بتحرك الحملة الصليبية السابعة	ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٤، ص ٢٤٧؛ جميل جمول: مصر والحروب الصليبية ،ص ٢١٤_٢١٥.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الطبيب سعد الدين الدمشقي	٦٣٧هـ/١٢٣٩م	رسول	التجسس على أخبار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل لصالح الملك الصالح نجم الدين أيوب	ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٥، ص٢٢٠-٢٢١؛ الدواداري: الدر المطلوب، ص ٣٣٦-٣٣٧؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٢٥٨؛ Gaudefroy : la syrie , p. 253.
السلطان عز الدين أيبك التركماني (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)	القاضي زين الدين يعقوب بن الزبير	٦٤٨هـ/١٢٥٠م	عين	وضعه عز الدين أيبك التركماني على الأمراء لكي يطالعه بما يدبروا للسلطان من مؤامرات	المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٤٠٤.
السلطان سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٨-١٢٦٠م)	صارم الدين أزبك	٦٥٨هـ/١٢٦٠م	أسير	التجسس لصالح قطز على أخبار التتار أثناء معركة عين جالوت	صارم الدين أزبك: رسالة في غزو التتار، ص ٣٦٦؛ الدواداري: الدره الزكية، ص ٥٦-٥٧؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣١.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)	الأمير علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي	٦٥٨هـ/١٢٦٠م	قاصد	التجسس على أخبار التتار لصالح المماليك	الدواداري: الدرة الزكية، ص ٩٢؛ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ص١٠٢-١٠٣ Amitai: Mongols and mamluks, p. 143.
	الأمير عز الدين الصقلي	٦٥٩هـ/١٢٦٠م	عين	تجسس أخبار الأمراء وأخبر السلطان بقيامهم بتدبير مؤامرة لقتله	المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٥٠٥؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص ١٢٦.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير علاء الدين علي بن عبد الله البغدادي	٦٦٠هـ/١٢٦٢م	أسير	كان يطالع السلطان الظاهر بيبرس بأخبار التتار من بغداد	الدواداري: الدرة الزكية، جـ٨، ص٩٢ – ٩٣؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص ٤٧٤.
	شمس الدين الفارقاني	٦٦٣هـ/١٢٦٥م	قاصد	التجسس على أخبار التتار لصالح المماليك	اليونيني: ذيل مرأة الزمان، جـ٣، ص ٢٩٩؛ الصقاعي: تالي وفيات، ص ١٢؛ البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٨؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، جـ١، ص ٢١٨.
	الأمير شمس الدين بهادر	٦٧٢هـ/١٢٧٣م	مناصح	مطالعة المماليك بأخبار المغول	بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص ٧٨؛ العيني: عقد الجمان، جـ٣٠، ص ١١٣؛ النويري: نهاية الأرب، جـ٣، ص ٢٠٨؛ ابن عبد الظاهر: الروض الزاهرة، الرياض، ص ٤٢٢-٤٢٣.
	عبد العظيم	٦٧٠هـ/١٢٧٢م	فداوي	القيام باغتيال الملك إدوارد بن الملك هنري الثالث ملك إنجلترا لحساب المماليك	العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص ٩٤؛ محمد المقدم: الاغتيالات السياسية، ص ٢٥٩.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير معين الدين سليمان البروناه	٦٧٦هـ/١٢٧٧م	مناصح	إطلاع المماليك على أخبار ابغا وأخبارهم بتجهيز ابغا لمهاجمة الشام	ابن بهادر: فتوح النصر، مخطوط، ورقة ١٣١.
	السلطان السلجوقي أركن الدين قلج أرسلان	٦٧٦هـ/١٢٧٧م	مناصح	إخبار المماليك بأخبار المغول وقيام المغول بتجهيز حملة	محمود إبراهيم: علاقات المغول بسلطنة المماليك، ص ٧٨-٧٩ .
	سلامة	٦٧٤هـ/١٢٧٥م	فداوي	كان عيناً للسلطان الظاهر بيبرس على شكنده ملك النوبة وتكليفه بعملية اغتياله	كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص ٧٦.
السلطان السعيد بركه خان بن بيبرس (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م)	الأمير سيف الدين كوندك	٦٧٧هـ/١٢٧٨م	عين	كان عيناً على السلطان الملك السعيد بن الملك الظاهر لصالح بعض الأمراء	العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص ٢٠٢-٢٠٣.
السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨- ٦٨٩هـ/١٢٧٩- ١٢٩٠م)	جوان خندق	٦٨٠هـ/١٢٨١م	مناصح	إبلاغ السلطان المنصور قلاوون بقيام أمير مملوكي اسمه كوندك بتدبير مؤامرة مع الصليبيين في عكا لاغتياله	الدوادار: زبده الفكره، جـ٩، ص ١٧٥؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص ٢٦٣؛ شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٨٦.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	سيف الدين بلبان الرومي الدوادار	٦٧٠هـ/١٢٧١م	دوادار	توجيه القصاد إلى بلاد الأعداء لتجسس أخبارهم والإشراف على عمال التجسس	اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ٤، ص ١٠٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهره، جـ٧، ص ٣٥٠ .
	شافع بن علي	٦٨٠هـ/١٢٨١م	كاتم للسر	الإشراف على عمال التجسس في عهد السلطان المنصور قلاوون	شافع بن علي: الفضل المأثور، ص ٢٤.
	الصالح علي بن المنصور قلاوون	٦٨٠هـ/١٢٨١م	نائب سلطنة	التجسس على أخبار البلاد المجاورة ومطالعة السلطان بها	سند أحمد: البريد المملوكي، ص ٢٥٢-٢٥٣ Amitai: mamluks Espionage, p. 177.
	الأمير علم الدين سنجر المعظمي	٦٨٥هـ/١٢٨٦م	رسول	تجسس اخبار بلاد النوبة لصالح السلطان المنصور قلاوون	كرم كمال الدين: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص ٧٨.
الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م)	علم الدين سنجر الصوابي الجاشنكير	٦٩١هـ/١٢٩١م	مقدم فرقة الطلائع	تجسس أخبار الصليبيين والتمويه لإخفاء تحركات الجيش المملوكي	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص ٨؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص ١٣٥.
السلطان العادل زين الدني كتبغا (٦٩٤ - ٦٩٦هـ/١٢٩٤-١٢٩٦م)	الأمير علم الدين سنجر الدواداري	٦٩٤هـ/١٢٩٥م	دوادار	التجسس على أحوال التتار الوافدين إلى أراضي الدولة المملوكية	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص٦٠؛ على السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٧.
	الأمير بدر الدين أمير شكار	٦٩٥هـ/١٢٩٦م	عين	كان عينا على الأمراء يبلغ السلطان بما يدبره الأمراء له	العيني: عقد الجمان، جـ٣، ص٣١٣-٣١٤.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الناصر محمد بن **قلاوون** (السلطنة الثانية) (٦٩٨-٧٠٨هـ /١٢٩٨-١٣٠٨م)	الشيخ شهاب الدين أحمد	٦٩٨هـ/١٢٩٨م	قاصد	التجسس على أخبار غازان **لصالح المماليك**	الدواداري: الدر الفاخر، جـ٣، ص ٢٥٢.
	الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا	٧٠٢هـ/١٣٠٢م	مناصح	مطالعة المماليك بأخبار التتار	علي السيد: الهجرات المغولية إلى مصر، ص٤٩؛ صبحي عبد المنعم: سياسة المغولة تجاه المماليك، ص٨١.
	الأمير فخر الدين إياس	٧٠٢هـ/١٣٠٣م	مقدم فرقة الكشافة	تجسس أخبار التتار	العيني: عقد الجمان، جـ٤، ص٢٢٤؛ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص٢٧.
	المؤرخ "أبو الفدا"	٧٠٢هـ/١٣٠٣م	عين	تجسس أخبار التتار ومطالعة السلطان بها أثناء معركة حمص	أبو الفدا: المختصر، مج٢، جـ٧، ص٥٨-٨٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٥-٢٥٦.
السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ /١٣٠٨-١٣٠٩م)	ضوء بن صباح	٧٠٨هـ / ١٣٠٩م	قاصد	تجسس أخبار المغول	Amitai: mamluk Espionage, p.p179-180.
السلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	ابن أيبك الدواداري	٧٠٩هـ/ ١٣١٠م	عين	التجسس علي أخبار السلطان بيبرس الجاشنكير لصالح الناصر محمد بن قلاوون	الدواداري: الدر الفاخر، جـ٩، ص١٧٧؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٥٦-٢٥٧.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة) (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤١م)	سعد الدين علي جكبين	٧١١هـ/١٣١١م	عين	التجسس على أخبار قراسنقر وإطلاع السلطان الناصر عليها	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط؛ Amitai: Mamluk Espionage, P. 180.
	"بيخان" مملوك قراسنقر	٧١٥هـ/١٣١٥م	عين	تجسس أخبار السلطان الناصر محمد وإبلاغها لقراسنقر	الدواداري: الدر الفاخر، جـــ٩، ص٢١٨، ٢١٩، ٢٣٤.
	يونس التاجر	٧٢٠هـ/١٣٢٠م	تاجر	تكوين شبكة تجسس في توريز لكي يؤوي إليه الفداوية لتنفيذ الاغتيالات	المقريزي: السلوك، جـــ٢، ق٣، ص٥٥٥-٥٥٦؛ فرهاد دفتري: الإسماعيليون، ص٢٥٨.
	علاء الدين بن المعلم	٧٢٠هـ/١٣٢٠م	فداوي	اغتيال الافرم لحساب السلطان الناصر محمد بن قلاوون	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٥٨.
	مجد الدين السلامي	٧٢٣هـ/١٣٢٣م	تاجر	تكوين شبكة تجسس في أراضي المغول وإيواء الفداوية منفذي الاغتيالات	فرهاد دفتري: الإسماعيليون في العصر الوسيط، ص٢٥٨.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	حسن الكردي	٧٣٦هـ/١٣٣٦م	جاسوس	تجسس أخبار التتار لصالح المماليك	Amitai: Mamluk Epionage, P. 180.
السلطان أشرف كجك بن محمد بن قلاوون (٧٤٢هـ/١٣٤١م)	الأمير يلبغا اليحياوي	٧٤٢هـ/١٣٤١م	عين	أبلغ الأمير قوصون أن هناك بعض المماليك يدبرون مؤامرة لاغتياله	المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٦٧.
السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون (٧٤٢-٧٤٣هـ/ ١٣٤١-١٣٤٢م)	يحيى بن ظهر يغا المغلي	٧٤٢هـ/١٣٤١م	مناصح	تبليغ السلطان أحمد بن الناصر محمد بقيام مجموعة من الأمراء بتدبير مؤامرة لاغتياله	المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٧٤.
السلطان الناصر حسن (السلطنة الثانية) (٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م)	الطواش بشير الجمدار	٧٦٠هـ/١٣٥٩م	عين	تحذير الأمير يلغيا من قيام السلطان الناصر حسن بتدبير مؤامرة له	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٦٠-٦١، علي السيد: الجواري في العصر المملوكي، ص٦٤-٦٥.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ /١٣٦٣-١٣٧٦م)	الريس إبراهيم التازي	٧٦٩هـ/١٣٩٨م	قائد حملة بحرية	تجسس أخبار جزيرة قبرص	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٣٨١، عبد الغني عبد السلام: نظام السجون، ص٧٨.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن (٧٧٨-٧٨٣هـ / ١٣٧٦-١٣٨١م)	الامير صراي الطويل	٧٨٢هـ / ١٣٨٠م	عين	حذر الامير برقوق من قيام بعض الامراء بتدبير مؤامرة له	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٣٨١؛عبد الغني عبد السلام: نظام السجون ، ص٧٨.
السلطان الصالح حاجي بن شعبان بن حسين (السلطنة الأولى) (٧٨٣-٧٨٤هـ /١٣٨١-١٣٨٢م)	الأمير شيخ الصفوي	٧٨٣هـ/١٣٨١م	عين	حذر الأمير برقوق من قيام بعض الأمراء بتدبير مؤامرة له	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٥؛ سمير حامد؛ الاغتيالات، ص١٥٣.
السلطان الظاهر برقوق (سلطنته الأولى) (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)	الأمير محمد بن تنكز	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	عين	حذر السلطان برقوق من قيام الخليفة العباسي المتوكل على الله بتدبير مؤامرة مع مجموعة من الأمراء	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٤٩٣؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٨٧، سمير حامد: الاغتيالات، ص١٣٣-١٣٤.
السلطان الظاهر برقوق	الأمير عز الدين أبادرقة	٧٩١هـ/١٣٨٩م	مقدم فرقة الكشافة	تجسس أخبار يلبغا الناصري للقضاء عليه	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ١١، ص٢٧٦-٢٧٧.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	الأمير الأتابك قرادمرادش الأحمدي	٧٩١هـ/١٣٨٩م	مقدم فرقة الكشافة	تجسس أخبار يلبغا الناصري في نزاعه مع السلطان برقوق	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٧٧.
	عبد الرحمن غلام الظاهر برقوق	٧٩١هـ/١٣٨٩م	خادم	تجسس أخبار الأمراء وأخبر أن الشهاب خضر يدبر مؤامرة لاغتيال السلطان	ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ،جـ١١،ص٢٧٧.
	قاني بك	٨٠١هـ/١٣٩٨م	عين	حذر السلطان برقوق من قيام بعض الأمراء بتدبير مؤامرة لقتله	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٩٢؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢ ، ص ٩١٩ـ٩٢٠ ؛ سمير حامد: الاغتيالات، ص١٣٣-١٣٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولى) (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)	القاضي شرف الدين الدماميني	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	عين	كان يتجسس لحساب الأمير يلبغا المجنون الاستادار على السلطان الناصر فرج بن برقوق	رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص١٨٢.
	الأمير استيغا الدوادار	٨٠٣هـ/١٤٠٠م	دوادار	تجسس أحوال التتار وتجهيز عساكر الشام على جهة تيمورلنك	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢١٨؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٢٩.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الثانية) (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م)	الأمير اقبغا دوادار يشبك	٨١٢هـ/١٤٠٩م	عين	تجسس أخبار الأمراء لحساب السلطان الناصر فرج بن برقوق	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٩٥-٩٦.

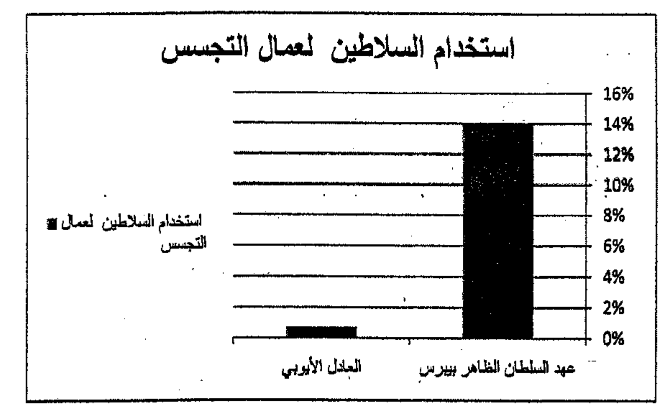
اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	تقي الدين أبو بكر بن علي بن سالم بن أحمد الكناني العامري	٧٩٦هـ-١٣٩٣م	أسير	تجسس أخبار تيمورلنك وأخبر أنه يدبر فتنة في القاهرة مع بعض الأمراء	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، جـ٧، ص١٢٤.
	الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس	٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م	أسير	تجسس أخبار تيمور لنك وأخبر السلطان بها	بن عرب شاه:عجائب المقدور، ص٢٨٨.
السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ /١٤١٢ـ١٤٢١م)	أق بلاط	٨١٦هـ/١٤١٣م	دوادار	دسه السلطان الملك المؤيد شيخ علي أحد الأمراء لضمه إلى صفة	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص١٤.
	العالم بدر الدين العيني	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	رسول	تجسس أخبار وأحوال بلاد الروم وإبلاغ السلطان بها	ابن الصيرفي: نزهة النفوس والإيدان، جـ٢، ص٤٦٩-٤٧٠؛ رزق محمد نسيم: دور العلماء في مصر، ص٢٠٦.
السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٧م)	الأمير جقمق العلائي	٨٣٦هـ/١٤٣٣م	مقدم فرقة اليزك	تجسس أخبار قرايلك بن قرا يوسف	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٣٠-٢٤.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م)	الأمير إينال	٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م	عين	أخبر السلطان جقمق بأن الأمير جكم يدبر مؤامرة له	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١٠٧٦-١٠٧٧؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان،جـ٣، ص٤٤٠-٤٤١.
السلطان الأشرف إينال العلائي (٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦٠م)	الأمير سنقر الأشرفي الدوادار المعروف (بقرق شبق)	٨٦١هـ/١٤٥٧م	دوادار	تجسس أخبار ابن قرمان وتجهيز العساكر الشامية والحلبية	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٦، ص١٠٣.
السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٦م)	قاسم	٨٨٢هـ/١٤٧٧م	جاسوس	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	أميرة فهمي علي: السلطان الأشرف قايتباي، ص١٠٦.
السلطان الناصر محمد بن قايتباي (السلطنة الأولى) (٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م)	الشيخ عبد المؤمن العجمي	٩٠١هـ/١٤٩٦م	رجل دين	تجسس أخبار العثمانيين وأخبر بها السلطان	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٢٥، ٢٢٦.
السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)	الأمير كرتباي	٩١٠هـ/ ١٥٠٥م	جاسوس	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	ابن زنبل: سيرة السلطان قانصوه الغوري، مخطوط، ورقة٢٣؛ أخره المماليك، ص٩٤.
	الأمير إينال باي	٩١٣هـ/١٥٠٨م	رسول	تجسس أخبار العثمانيين لصالح المماليك	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٣٣.

اسم السلطان	اسم العامل	السنة	الصفة	المهمة التي قام بها	المصدر
	مغلباي	٩٢٢هـ/١٥١٦م	قاصد	تجسس أخبار العثمانيين ومعرفة حالتهم	ابن زنبل: أخره المماليك، ص٩٢؛ أسامه محمد: جان بردي الغزالي، ص٣.

أكثر السلاطين استخدامًا لعمال التجسس

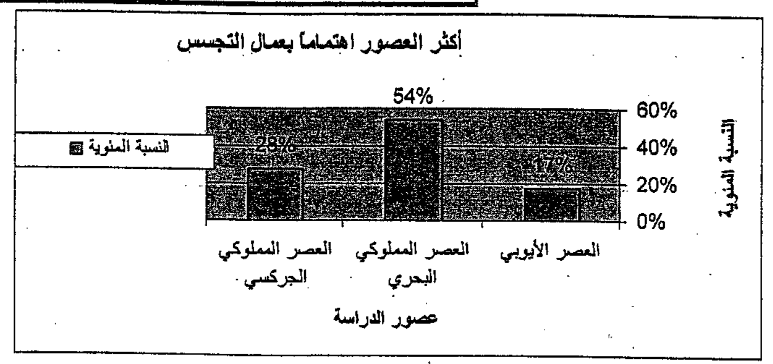
عدد عمال التجسس	استخدام السلاطين لعمال التجسس	العدد	النسبة المئوية	أقل السلاطين استخداما لعمال التجسس	العدد	النسبة المئوية
٧٠ عامل	عهد السلطان الظاهر بيبرس	١٠ حالات	١٤%	السلطان العادل الأيوبي	حالة واحدة	٠,٧٠%



ويتضح من هذا الجدول أن السلطان الظاهر بيبرس كان أكثر السلاطين استخداماً لعمال التجسس سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي أي في مواجهة الأخطار الخارجية أو الداخلية حيث بلغت النسبة ١٤% وكان أقل السلاطين استخداماً لعمال التجسس السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بلغ حوالي من ١١% ويتضح ذلك من خلال المواجهات التي قام بها الظاهر بيبرس ضد الصليبيين والمغول على الصعيد الخارجي، ومواجهة المؤامرات الداخلية على الصعيد الداخلي.

أكثر العصور اهتماماً بعمال التجسس

عصور الدراسة	عدد العمال	النسبة المئوية
العصر الأيوبي	١٢ عامل	%١٧
العصر المملوكي البحري	٣٨ عامل	%٥٤
العصر المملوكي الجركسي	٢٠ عامل	%٢٨



ويظهر من هذا الجدول أن الدولة المملوكية البحرية كانت أكثر الفترات استخداماً لعمال التجسس حيث بلغت نسبة الاعتماد على عمال التجسس في هذه الفترة ٥٤% بينما كان أقل الفترات اعتماداً على عمال التجسس الدولة الأيوبية حيث بلغت النسبة ١٧% وأستنتج من ذلك أن العمل التجسسي في العصر الأيوبي كان في بداية تنظيمه وتشكيله ،وبالتالي لم يظهر الاهتمام به ،أما في العصر المملوكي البحري فإنه بلغ فيه ذروة نشاطه وتطوره نظرًا لاهتمام السلاطين به ، أما العصر المملوكي الجركسي فعلى الرغم من كثرة الأخطر فيه فإنه بدا قليلاً لإهمال السلاطين له.

(جدول٧)

مؤامرات الأمراء ضد السلاطين

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
لطان صلاح الدين (٥٦٤- ٥٨٩هـ/ ١١٦٩ -١١٩٣م)	مؤتمن الخلافة جوهر	صلاح الدين	—	الإطاحة بصلاح الدين وبالحكم الأيوبي السني من مصر وإعادة الحكم الشيعي	كشف عنها الجواسيس	—	—	البنداري: سنا البرق الشامي، ص٤٣ ؛ نيكتا أليسيف: السلطان نور الدين محمود، ص٣٥٩- ٣٦٠.
	الشاعر عمارة اليمني	صلاح الدين	—	الإطاحة بصلاح الدين وإعادة الحكم الفاطمي	كشف عنها الجواسيس	—	—	البنداري: سنا البرق الشامي، ص٢٩ ؛ المرتضى الزبيدي: ترويح القلوب، ص١١،١٢.
	صاحب حلب	صلاح الدين	٥٧١هـ/١١٧٥م	قتل السلطان والتخلص منه	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن أيبك الدواداري: الدر المطلوب، ج٧، ص٦٠ ؛ البنداري: سنا البرق الشامي، ص٧٥.
	الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه بن شاذي صاحب حمص	صلاح الدين	٥٨١هـ/ ١١٨٥م	التآمر مع جماعة من أهل دمشق على السلطان صلاح الدين وقتله	كشف عنها الجواسيس	—	—	تاج الدين بن شاهنشاه: منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماة، ص٢٣١ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٠، ص١٣٨- ١٣٩.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
الملك الكامل ابن العادل	الأمير عماد الدين أحمد بن علي المعروف "بابن المشطوب" وبعض الأمراء	الملك الكامل ابن العادل	٦١٤هـ/ ١٢١٧م	خلع الملك الكامل من السلطنة وتولية أخيه الملك الفائز بن العادل	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص٣٨١ ؛ ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١١.
	الأمير فخر الدين ألطنبا الحبشي، وفخر الدين ألطنبا الفيومي، وعشرة أمراء من البحرية العادلية	الملك الكامل	٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م	مكاتبة الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وتحرضه على أخذ مصر	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٥.
	مجموعة من الأمراء مع علاء الدين سلطان سلاجقة الروم	الملك الكامل	٦٣١هـ/ ١٢٣٣م	مكاتبة علاء الدين سلطان سلاجقة الروم للتحالف معه ضد السلطان الملك الكامل لخلعه	كشف عنها الجواسيس	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص١٩؛ سعيد عاشور: مصر والشام، ص١٣٠.
السلطان عز الدين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/ ١٢٥٠-١٢٥٧م)	الأمير فارس الدين أقطاي ومجموعة من مماليكه	عز الدين أيبك	٦٤٩هـ/١٢٥١م	خلع السلطان عز الدين أيبك من العرش والسيطرة عليه	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٤٢ ؛ العيني: عقد الجمان، جـ١، ص٨٥.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ/ ١٢٥٨-١٢٦٠م)	الأمير بيبرس البندقداري ومجموعة من الأمراء البحرية	سيف الدين قطز	—	قتل السلطان سيف الدين قطز والسيطرة على الحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن أيبك ألدواداري: الدرة الزكية، ج٨، ص٦٠.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)	الأميران علم الدين الغتمي، وسيف الدين بهادر المعزي ومجموعة من الأمراء	الظاهر بيبرس	٦٥٩هـ/١٢٦٠م	الطمع في الوصول إلى السلطنة بعد قتل الظاهر بيبرس	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٩٢ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية في عصر الأيوبيين والمماليك، ص١٢٦.
	الأمير سيف الدين الرشيدي	الظاهر بيبرس	٦٦١هـ/١٢٦٢م	تأليب أهل الكرك والملك المغيث صاحب الكرك على الظاهر بيبرس	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٤٩٣-٤٩٤- ٤٩٥.
	مجموعة من الأمراء	الظاهر بيبرس	٦٧٣هـ/١٢٧٤م	مكاتبة التتار والتحالف معهم للتخلص من السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٦٨ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص١٣٠ ؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص٥٩.
	مجموعة من المماليك	الظاهر بيبرس	٦٧٦هـ/١٢٧٨م	قتل السلطان والتخلص منه	—	فشل في الكشف عنها	أدت إلى قتل السلطان الظاهر بيبرس	نعمان الطيب: جهود المماليك في مواجهة المغول، ص٨٠.

اسم السلطان	مديرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م)	الأمير علاء الدين الحراني	المنصور قلاوون	—	الرغبة في القضاء على السلطان والسيطرة على مصر	كشف الجواسيس عنها	—	—	شافع بن علي: الفضل المأثور، ص١٣٧ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٣.
	الأمير سيف الدين كوندك الظاهري السعيدي وعدد من المماليك الظاهرية والمماليك السعيدية	المنصور قلاوون	٦٨٠هـ/١٢٨١م	قتل السلطان والانفراد بالحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٨٤ ؛ بيبرس المنصوري: التحفة المملوكية، ص٩٧ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣١، ص٧٧ ؛ العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٦٣،٢٦٤ ؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٦٨٥،٦٨٦.
	مجموعة من الأمراء الظاهرية	المنصور قلاوون	٦٨٥هـ/١٢٢٦م	قتل السلطان والسيطرة على الحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٤٢ ؛ الكتبي: عيون التواريخ، ج٢١، ص٣٧٤.
السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ٦٨٩-٦٩٣هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م)	الأمير حسام الدين طرنطاي	الأشرف خليل بن قلاوون	٦٨٩هـ/١٢٩٠م	قتل السلطان والانفراد بالحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٥٧.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان العادل كتبغا ٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٤-١٢٩٦م	مجموعة من الأمراء	العادل كتبغا	٦٩٣هـ/١٢٩٤م	قتل السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٤١.
	الوزير الشجاعي ومجموعة من الأمراء البرجية	العادل كتبغا	٦٩٣هـ/١٢٩٤م	القبض على السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٧٩٨.
	مجموعة من الأمراء	العادل كتبغا	٦٩٥هـ/١٢٩٦م	خلع السلطان من السلطنة	كشف الجواسيس عنها	—	لم يهتم السلطان بما قاله له الجواسيس فتم خلعه من السلطنة	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣١٣-٣١٤.
السلطان لاجين ٦٩٦-٦٩٨هـ/ ١٢٩٦-١٢٩٨م)	الأمير بدر الدين البيسري ومجموعة من الأمراء	لاجين	٦٩٧هـ/١٢٩٨م	قتل السلطان والانفراد بالسلطنة	كشف الجواسيس عنها	—	—	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٦.
سلطان الناصر محمد بن قلاوون	نائب سيس	الناصر محمد بن قلاوون	٧٠١هـ/١٣٠٢م	التحالف مع المغول للتخلص من السلطان الناصر محمد	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٩٢٢ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٤.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان بيبرس الجاشنكير ٧٠٨-٧٠٩هـ/ ١٣٠٨- ١٣٠٩م)	مجموعة من الأمراء	بيبرس الجاشنكير	٧٠٩هـ/١٣١٠م	خلع السلطان من السلطنة وتولية الناصر محمد بن قلاوون	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٥- ٥٦ ؛ ابن الملقن: نزهة النظار في قضاة الأمصار تحقيق مديحة محمد الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة العربية، ١٩٩٦م، ص٤٦.
	الناصر محمد بن قلاوون	بيبرس الجاشنكير	—	خلع بيبرس الجاشنكير وتولية الناصر محمد بن قلاوون	—	فشل في الكشف عنها	أدت إلى خلع السلطان واعتلى الناصر محمد عرش السلطنة	الدواداري: الدر الفاخر، ج٩، ص١٨٧-١٨٩ ؛ سند أحمد: البريد المملوكي ص٢٥٦-٢٥٧.
	الأمير نوغاي والأمير مغلطاي	بيبرس الجاشنكير	٧٠٩هـ/١٣١٠م	قتل السلطان والانفراد بالحكم	كشف الجواسيس عنها	—	حاول السلطان القضاء عليهم ولكن عيونهم الموجودة عند السلطان أبلغتهم فاحتاطوا لذلك	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص٢٥١.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان أحمد بن الناصر محمد الملقب "بالناصر" ٧٤٢-٧٤٣هـ/ ١٣٤١-١٣٤٢م)	مجموعة من الأمراء	أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون	٧٤٢هـ/١٣٤١م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٧٤.
سلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر (٧٤٢-٧٤٦هـ/ ١٣٤٢-١٣٤٥م)	الأمير رمضان أخو السلطان	الملك الصالح عماد الدين	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	خلع السلطان من الحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٦٣٠.
سلطان الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون	الأمير يلبغا اليحياوي ومجموعة من أمراء الشام	الكامل شعبان	٧٤٧هـ/١٣٤٦م	التخلص من السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٣٤ .
سلطان الناصر حسن ٧٥٥-٧٦٢هـ/ ١٣٥٤-١٣٦١م)	الأمير طاز نائب حلب	الناصر حسن	٧٥٩هـ/١٣٥٨م	الخروج عن طاعة السلطان والرغبة في السيطرة على الحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٧٨-٢٧٩ ؛ المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص٤٠.

اسم السلطان	مديرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
	الأمير يلبغا العمري	الناصر حسن	٧٦٢هـ/١٣٦٠م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٠.
السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)	الخليفة العباسي المتوكل على الله والأمير قرط بن عمر التركماني، والأمير إبراهيم ابن قطلواقتمر العلائي	برقوق	٧٨٦هـ/١٣٨٤م	اغتيال السلطان والسيطرة على الحكم	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٤٩٣ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٨٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٣٣- ١٣٤.
	الأمير نوروز الحافظي ومجموعة من الأمراء	برقوق	٨٠١هـ/١٣٩٨م	اغتيال السلطان والوصول إلى العرش	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٩٢ ؛المقريزي: السلوك، ج٣، ق٢، ص٩١٩-٩٢٠ .
السلطان الناصر فرج بن برقوق (٨٠٨-٨١٥هـ/ ١٤٠٥-١٤١٢م)	الأمير علان والأمير أينال المنقار والأمير سودون بقجه	فرج بن برقوق	٨١٢هـ/١٤٠٩م	التخلص من السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٩٥-٩٦.
	الأمير شيخ والأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٥هـ/١٤١٢م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	—	فشل الجواسيس في الكشف عنها	تم قتل السلطان	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص٢٢٤.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
	الأمير قردم الخازندار والأمير إينال المحمدي الساقي	الناصر فرج بن برقوق	٨١٢هـ/١٤٠٩م	التخلص من السلطان وتولية الأمير شيخ عليهم	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٢١.
	الأمير شيخ والأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٣هـ/١٤١٠م	التخلص من السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٥١-١٥٢-١٥٣.
	الأمير جانم من حسن شاه ومجموعة من الأمراء	الناصر فرج بن برقوق	٨١٤هـ/١٤١١م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص٢١٤ ؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون في العصر المملوكي، ص٧٩.
	الأمير شيخ ولأمير نوروز	الناصر فرج بن برقوق	٨١٥هـ/١٤١٢م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	—	فشل الجواسيسس في الكشف عهنا	تم قتل السلطان	المقريزي : السلوك ، ج٤ق١،ص٢٢٤ .
السلطان المؤيد شيخ المحمودي (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م)	الأمير صارم الدين إبراهيم	المؤيد شيخ المحمودي	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	التخلص من السلطان واعتلاء العرش	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، ج٧، ص١٥٩.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الملك الأشرف أبو العز برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م)	مجموعة من خاصكيته ومماليكه	الأشرف أبو العز برسباي	٨٣١هـ/١٤٢٨م	قتل السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٢، ص٧٨٣-٧٨٤.
السلطان جقمق ٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)	العزيز يوسف بن برسباي	جقمق	٨٤٣هـ/١٢٣٩م	إثارة فتنة بين المماليك والسلطان للتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٤، ق٣، ص١١٢٨.
السلطان الظاهر خشقدم (٨٦٥-٨٧٢هـ/ ١٤٦٠-١٤٦٧م)	الأمير برسباي الخاصكي وجماعة من حواشداشتيه	الأشرف خشقدم	٨٦٧هـ/١٤٦٢م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٦، ص٢٧٩ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص١٤٤-١٤٥.
	الأمير برش السيفي	الأشرف خشقدم	٨٦٨هـ/١٤٦٣م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: حوادث الدهور، ج٣، ص٤٧٩ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص١٤٥.

اسم السلطان	مدبرو المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الأشرف قانصوه الغوري ٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)	الأمير جان بردي وقلح أمير أخور وتنم المقري	الغوري	٩١٢هـ/١٥٠٦م	اغتيال السلطان	كشف الجواسيس عنها			ابن أياس: بدائع الزهور، جـ٤، ص٩٧ ا سمير حامد: الاغتيالات السياسية في مصر، ص١٤٥.

(جدول٨)

مؤامرات السلاطين ضد الأمراء

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	نجح الجهاز في الكشف عنها	فشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
ملك العادل الأيوبي ٥٩٧-٦١٥هـ/ ١١٩٩-١٢١٨م)	الملك الناصر داود صاحب الكرك	الأمير بكتمر السيفي	٦٠٩هـ/١٢١٢م	التخلص من بكتمر وقتله	كشف الجواسيس عنها	—	—	يحيى بن الحسن: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ص٣٩٦ ؛جمعة جمال: الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية، ص١٩٦.
السلطان قطز	سيف الدين قطز	الأمير ركن الدين بيبرس	٦٥٨هـ/١٢٦٠م	التخلص من الأمير ركن الدين بيبرس	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن أيبك الدواداري: الدرة الزكية، ج٨، ص٦٠
لطان الملك السعيد بركه خان (٦٧٦-٦٧٨هـ/ ١٢٧٧-١٢٧٩م)	الملك السعيد بركه خان	الأمير بدر الدين بيسري الشمسي والأمير سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي	٦٧٦هـ/١٢٧٧م	التخلص من الأميرين الطامعين في العرش	كشف الجواسيس عنها	—	—	العيني: عقد الجمان، ج٢، ص٢٠١.
لطان المنصور لاجين	المنصور لاجين	الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير شمس الدين أقسنقر والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار	٦٩٧هـ/١٢٩٨م	التخلص من هؤلاء الأفراد	كشف الجواسيس عنها	—	—	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣٨٧-٣٨٨.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	نجح الجهاز في الكشف عنها	فشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون	الناصر محمد بن قلاوون	الأمير بيبرس الجاشنكير والأمير سلار	٧٠٧هـ/١٣٠٧م	التخلص من الأميرين	كشف الجواسيس عنها	—	—	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٤٢ ؛ منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، جـ١، ص٢١٧
	الناصر محمد بن قلاوون	الأمير قراسنقر والأمير الأفرم	—	قتل الأميرين والقضاء عليهم	كشف الجواسيس عنها	—	—	الدواداري: الدر الفاخر، جـ٩، ص٢١٨-٢١٩، ٢٣٠.
السلطان الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون	الناصر أحمد	الأمير بيبرس الأحمدي	٧٤٣هـ/١٣٤٢م	القبض على هذا الأمير	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٢،ق٣، ص٦٢٥.
السلطان الناصر حسن	الناصر حسن	الأمير بيبغا أرس	٧٥١هـ/١٣٥٠م	قتل الأمير	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٢،ق٣، ص٧٤٢.
	الناصر حسن	الأمير يلبغا العمري	—	اغتيال الأمير	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٣١٢ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٠ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٠.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	نجح الجهاز في الكشف عنها	فشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصدر
السلطان الظاهر برقوق	الظاهر برقوق	الأمير يلبغا الناصري نائب حلب	٧٨٨هـ/١٣٨٦م	اغتيال الأمير	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢١٢ ؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٩١-٥٩٢ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٤-١٥٥-١٥٦.
السلطان الناصر فرج بن برقوق	الناصر فرج بن برقوق	الأمير إبراهيم والأمير منصور والأمير عبد العزيز	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	التخلص منهم لكي ينفرد بالحكم	—	فشل في الكشف عنها	أدت إلى قتل الأمراء وانفرد الناصر بالحكم	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٤٧ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص٢٩.
	الناصر فرج بن برقوق والأمير بكتمر	الأمير شيخ المحمودي	٨١٢هـ/ ١٤٠٩م	قتل الأمير شيخ	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٠٩.
السلطان المؤيد شيخ المحمودي	المؤيد شيخ المحمودي	الأمير صارم الدين إبراهيم	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	قتل الأمير الذي يهدد ملكه	—	فشل الجواسيس في الكشف عنها	أدت إلى قتل الأمير	ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج٤، جـ٧، ص١٥٩ ؛ عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للمماليك، ص١٠٢.

(جدول٩)

مؤامرات الأمراء ضد الأمراء

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصـــدر
السلطان الأشرف خليل بن قلاوون	الأمير قراقوش الظاهري	أقوش الفارسي	٦٩٠هـ/١٢٩١م	القبض على أقوش والتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	—	فقام بالقبض على قراقوش وتخلص منه	العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٧٦-٧٧- ٧٨.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة)	الوزير مغلطاي	الأمير كريم الدين أكرم الصغير	٧٢٦هـ/١٣٢٥م	التخلص من الأمير كريم	—	فشل الجواسيس في الكشف عنها	فاستطاع التخلص منه	منى محمد: أثر الحضارة السلجوقية، ج١، ص٢١٧.
السلطان أشرف كجك بن محمد بن قلاوون ٧٤٢هـ/ ١٣٤٧م	الأمير بشتاك	الأمير قطلوبغا الفخري	٧٤٢هـ/١٣٤١م	قتل الأمير قطلوبغا الفخري	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦١.
السلطان الناصر أحمد بن محمد بن قلاوون	مجموعة من الأمراء	الأمير قوصون والأمير قلطوبغا الفخري والأمير بيبرس الأحمدي والأمير طقردمر النائب	٧٤٢هـ/١٣٤١م	القبض على هؤلاء الأمراء والتخلص منهم	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٦٧.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصـــدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ ١٣٦٣-١٣٧٦م)	الأمير طغبتمر النظامي، والأمير أقبغا جلب	الأمير أسندمر الناصر	٧٦٨هـ/١٣٦٦م	القبض على أسندمر والتخلص منه	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٤٢ ؛ المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص١٤٢ ؛سمير حامد: الاغتيالات في مصر الإسلامية، ص١٥٠-١٥١.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	مماليك الأمير يلبغا الخاصكي	الأمير يلبغا الخاصكي	٧٦٨هـ/١٣٦٦م	قتل الأمير	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص١٣١.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن	الأمير أينبك البدري	الأمير قرطاي الطازي الأتابك	٧٧٨هـ/١٣٧٦م	التخلص منه وقتله	—	فشل الجواسيس في الكشف عنها	تم قتل الأمير قرطاي	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٥٣.
السلطان المنصور علي بن شعبان بن حسن ٧٧٨-٧٨٣هـ/ ١٣٧٦-١٣٨١م)	الأمير بركة الجوباني	الأمير برقوق	٧٨٢هـ/١٣٨٠م	قتل الأمير برقوق	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٣٨١ ؛ عبد الغني عبد السلام: نظام السجون في مصر، ص٨٧ ؛ نجوى كمال كيره: محاضرات في تاريخ المماليك، ص٢٤٠.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصــــدر
السلطان الصالح حاجي بن شعبان (٧٨٣-٧٨٤هـ/ ١٣٨١-١٣٨٢م)	الأمير أتيمش الخاصكي ومجموعة من خواشداشيته	الأمير برقوق	٧٨٣هـ/١٣٨١م	اغتيال الأمير برقوق	كشف الجواسيس عنها	—	—	محمد جمال الدين سرور: دولة بني قلاوون، ص٦٥ ؛ سمير حامد: الاغتيالات في مصر، ص١٥٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق	بعض المماليك	الأمير نوروز	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	اغتيال نوروز لمنعه من الوصول إلى العرش	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، ج٣، ق٣، ص١٠٢٣.
	الأمير شهاب الدين أحمد صاحب الكرك والأمير سودون بقجه والأمير قاني بك المحمدي	الأمير شيخ المحمودي	٨٠٤هـ/١٤٠١م	التخلص منه	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٣، ص١١٥-١١٦ ؛المقريزي: السلوك، ج٤، ق١، ص١٦١ ؛ سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٩.
السلطان الظاهر جمقمق	الأمير جكم	الأمير إينال الأبوبكري	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	اغتياله وقتله	كشف الجواسيس عنها	—	—	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٥، ص٢٣٤ ؛سمير حامد: الاغتيالات السياسية، ص١٥٩.

اسم السلطان	مدبري المؤامرة	المدبر ضده المؤامرة	سنة المؤامرة	الغرض من المؤامرة	النجاح في الكشف عنها	الفشل في الكشف عنها	ملاحظات	المصـــدر
	الأمير جكم ومجموعة من الأمراء الأشرفية	الأمير جقمق	٨٤٢هـ/١٤٣٨م	القبض عليه وقتله	كشف الجواسيس عنها	—	—	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١٠٧٦-١٠٧٧ ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص٤٤٠- ٤٤١.

(جدول ١٠)

العقوبات التي طبقتها الدولة على الجواسيس والخونة الذين تم الكشف عنهم

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٩-١١٩٨م)	القتل بالسيف	جماعة من أعوان الصليبيين	٥٨٧هـ/١١٩١م	الخيانة لصالح الصليبيين	ابن شداد: النوادر السلطانية، ص٢٨٤، مصطفى علي: الأمراء الطواشية، ص٩٤.
	القتل بالسيف	جاسوس صليبي	٥٨٨هـ/١١٩٢	التجسس لحساب الصليبيين	ابن وصيف شاه: جواهر البحور، ص٩٥.
السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠-١٢٧٧م)	القتل بالسيف	جماعة من المسلمين من أهل دمشق	٦٥٨هـ/١٢٥٦م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، جـ١، ق[٢]، ص٤٣٢.
	القتل بالسيف	السعيد الحسن بن عثمان صاحب الصبيبة	٦٥٩هـ/١٢٥٧م	الخيانة والتجسس لصالح التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٥٣ .
	القتل بالسيف	جاسوسين للتتار	٦٦٢هـ/١٢٦٣م	التجسس لصالح التتار	ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص ٩٩؛ الدوادار:زبدة الفكرة، جـ٩، ص ١٠٠.
	القتل بالسيف	الملك المغيث صاحب الكرك	٦٦٢هـ/١٢٦٣م	التجسس والخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، جـ١، ق[٢]، ص٥١٧؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص ٥٧.
	القتل بالسيف	جاسوس صليبي	٦٦٤هـ/١٢٦٥م	التجسس لصالح صاحب " صافيتا "	ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، الرياض، ص٢٥٢؛ سند أحمد: البريد المملوكي، ص٢٦٠.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
	القتل بالسيف	ثلاثة عشر أميراً مملوكي	٦٧٣هـ/١٢٧٤م	الخيانة ومراسلة المغول	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢٦٨؛ العيني:عقد الجمان، جـ٢، ص١٣٠؛ الفيومي: نثر الجمان، مخطوط،ورقة١٥٧.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل بالسيف	أحد أمراء حلب	٧٠١هـ/١٣٠٢م	الخيانة لصالح التتار	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٨، ص١٦٤؛ سند أحمد:البريد المملوكي، ص٢٥٦.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة) (٧٠٩-٧٤١هـ /١٣٠٩-١٣٤١م)	القتل بالسيف	أحد أعوان التتار	٧٢٠هـ/١٣٢٠م	الخيانة والاتفاق على قتل السلطان لصالح التتار	علاء طه رزق: السجون والعقوبات في مصر، ص١١٩.
السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ /١٤٢٢-١٤٣٧م)	القتل بالسيف	التاجر على التبريزي	٨٣٢هـ/١٤٢٩م	الخيانة لصالح الفرنج	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص٣٢٤؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٤.
السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ /١٤٣٨-١٤٥٣م)	القتل بالسيف	ابن الضوء	٨٤٣هـ/١٤٤٠م	الخيانة لصالح الفرنج	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٣، ص١١٧٠-١١٧١.
السلطان الأشرف قنصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ /١٥٠١-١٥١٦م)	القتل بالسيف	يونس باشا والي عينتاب	٩١٩هـ/١٥١٣م	الخيانة والتجسس لصالح العثمانيين	عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانيين، ص٢٩١.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل شنقاً	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣ – ١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص١٢٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٨٨.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثالثة)	القتل شنقاً	الشيخ ضياء الدين عبد الله النحوي	٧٢٣هـ/١٣٢٠م	التجسس والخيانة لصالح التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١١٧.
السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢-٩٠١هـ /١٤٦٧-١٤٩٦م)	القتل شنقاً	عثمان بن أغلب وحوالي من أربعين شخص	٨٧٧هـ/١٤٧٣م	التجسس والخيانة لصالح "حسن الطويل"	أميرة فهمي: السلطان الأشرف قايتباي، ص ٩٢.
السلطان الناصر محمد بن قايتباي (السلطنة الأولي) (٩٠١-٩٠٢هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٧م)	القتل شنقاً	القاضي سيف الدين يوسف الحنفي	٩٠١هـ/١٤٩٦م	الخيانة لصالح العثمانيين	أميرة فهمي : السلطان الأشرف قايتباي، ص ١٠٧.
السلطان الأشرف طومان باي الثاني (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م)	القتل شنقاً	جماعة من العربان	٩٢٢هـ/١٥١٦م	الخيانة ومساعدة جواسيس العثمانيين على اختراق حدود البلاد	مني إبراهيم: السفارات الأجنبية في مصر، ص١٤٩ .
السلطان الظاهر بيبرس	التوسيط	جماعة من رسل التتار	٦٥٨هـ/١٢٥٩م	التجسس لصلاح التتار	المقدسي: دول الإسلام، مخطوط، ورقة٢٤.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م)	التوسيط	شمس الدين بن غراب	٧٦٧هـ/١٣٦٥م	الخيانة لصالح الصليبيين	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٤٢٥؛ قاسم عبده: أهل الذمة في العصر المملوكي، ص١٠٥؛ رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص ٢٣٧.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف قانصوه الأشرفي (٩٠٤-٩٠٥هـ/ ١٤٩٨-١٤٩٩)	التوسيط	جان بردي الغزالي "كاشف الشرقية"	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	الخيانة ومراسلة الفرنجة	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢١٤.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	القتل غرقاً	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣ – ١٤.
	التسمير	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣ – ١٤؛ نعمان الطيب: جهود المماليك، ص١٢٣.
السلطان الناصر محمد بن قايتباي (السلطنة الثانية) (٩٠٢-٩٠٤هـ/١٤٩٧-١٤٩٨م)	التسمير	أحمد بن الديوان	٩٠٣هـ/١٤٩٧م	التجسس لحساب العثمانيين	عادل عبد الحافظ: دور جابريك المملوكي، ص٢٤٤.
السلطان الناصر محمد بن قلاوون (السلطنة الثانية)	كحل العيون	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣ – ١٤.
	قطع اللسان	طائفة من الجواسيس	٦٩٩هـ/١٢٩٩	التجسس لحساب التتار	ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٤، ص١٣ – ١٤.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان صلاح الدين الأيوبي	السجن	ثلاثة جواسيس صليبيين	٥٨٧هـ/١١٩٦م	التجسس لحساب الصليبيين	صلاح البحيري: المخابرات الإسلامية، ص٢١.
السلطان الظاهر بيبرس	السجن	مجموعة من جواسيس المغول	٦٦٠هـ/١٢٦١م	التجسس لصالح التتار	بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، جـ٩، ص٩٢؛ شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٥٠.
	السجن	الأمير سيف الدين الرشيدي ، الأمير عز الدين أيبك الدمياطي ، الأمير شمس الدين أقوش	٦٦١هـ/١٢٦٢م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٤٣٣؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٨٨.
	السجن	(أمراء العرب) زين الدين بن علي ، وجمال الدين بن حجي بن محمد وأخوه سعد الدين خضر	٦٦٥هـ/١٢٦٦م	الخيانة لصالح التتار	وفاء محمد: ساحل الشام، ص١٤٤.
	السجن	الأمير زامل بن علي	٦٦٣هـ/١٢٦٤م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٣٦.
	السجن	ملك الكرج	٦٧٢هـ/١٢٧٣	التجسس لصالح الفرنج	ابن شداد: تاريخ الملك الظاهر، ص٧٤؛ العيني: عقد الجمان، جـ٢، ص١١٣.
السلطان المنصور سيف الدين قلاوون		الأمير الكرجي "توماسوطان بن كلياري"	٦٨١هـ/١٢٨٢م	التجسس لصالح صاحب الفرنجة	الدوادار: زبدة الفكرة، جـ٩، ص٢١٢؛ المقريزي: السلوك، جـ١، ق٣، ص٧١٠؛ علي السيد: الجاسوسية المملوكية، ص١٣٤.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٧٦٤ – ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م)	السجن	جاسوس صليبي	٧٦٧هـ/١٣٦٥م	التجسس لصالح صاحب قبرص	إبراهيم عبد المنعم: جوانب من تاريخ مصر في عهد الأيوبيين والمماليك، ص٣٩٩.
السلطان الظاهر برقوق (السلطنة الأولي) (٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)	السجن	جاسوس مغولي	٧٨٩هـ/١٣٨٧م	التجسس لصالح التتار	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٢، ص٥٦٤.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولي) (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٨-١٤٠٥م)	السجن	مخبر مملوكي	٨٠٣هـ/١٣٩٩م	توصيل أخبار سيئة للسلطان عن هزيمة الجيش المملوكي	المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص١٠٣٥.
السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٧م)	السجن	مجموعة من جواسيس الفرنج	٨٢٦هـ/١٤٢٣م	التجسس لصالح الفرنج	المقريزي: السلوك، جـ٤، ق٢، ص٦٣٧.
السلطان الأشرف قايتباي المحمودي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٧-١٤٩٦م)	السجن	مجموعة من جواسيس الفرنج	٨٧٧هـ/١٤٧٣م	التجسس على أحوال المماليك من البحر	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص٢٧٣.
السلطان الناصر فرج بن برقوق (السلطنة الأولي)	السجن	القاضي شرف الدين الدماميني	٨٠٢هـ/١٣٩٩م	التجسس لصالح يلبغا الاستادار على السلطان	رزق محمد نسيم: الثغور المصرية، ص١٨٢.

اسم السلطان	العقوبة	اسم المعاقب	تاريخ العقوبة	سبب العقوبة	المصدر
السلطان الأشرف طومان باي الثاني	السجن	عبد البر بن محاسن	٩٢٢هـ/١٥١٦م	التجسس والخيانة لصالح العثمانيين	السيد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، ص١٥٦؛ عماد محمد: العلاقات بين المماليك البرجية والعثمانية، ص٩٤.
السلطان الأشرف قانصوه الغوري	السجن/ والتوبيخ	تغري بردي الترجمان	٩١٧هـ/١٥١١م	التجسس والخيانة لصالح الفرنج	فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص١٤٢.
السلطان الظاهر بيبرس	التوبيخ	فلاحين بلاد الساحل ونابلس	٦٦١هـ/١٢٦٢م	الخيانة لصالح التتار	المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٣٦.
السلطان الأشرف طومان باي الثاني	التوبيخ	أبناء السمرقندي، ويونس العادلي	٩٢٢هـ/١٥١٦	الخيانة لصالح العثمانيين	ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٥، ص٨٤ ؛ طه عبد العزيز: العلاقات المملوكية العثمانية، ص ٢٧٩.
السلطان الظاهر بيبرس	التهديد والإنذار بالعقوبة	سكان الكرك	٦٦١هـ/١٢٦٢م	بعدما ثبتت الخيانة على نائب الكرك وخوفاً من القيام بفعل ذلك	المقريزي: السلوك، جـ١، ق٢، ص٥١٧.
السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون	عقوبة العزل	ابن عرام نائب الإسكندرية	٧٦٧هـ/١٣٦٥م	الخيانة لصالح الفرنج	ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٤٥؛ فاتن عبد الحليم: تاريخ العقوبات، ص ١٥٨.

أسماء المصادر والمراجع

[illegible]

[illegible] مخطوط دار الكتب المصرية تحت [illegible]

[illegible] أحمد بن [illegible] عبد [illegible] [illegible]

[illegible] الأعيان مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ [illegible]

[illegible]

[illegible] الأعيان مخطوط دار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ [illegible]

[illegible]

[illegible] مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٣ تاريخ تيمور – ميكروفيلم ٣١٤٢٦

[illegible]

١. أولاً: المصادر العربية المخطوطة:

١-الأشبيلي (د. ت):

- الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان،مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦٥١.

٢-ابن بهادر (كمال الدين محمد بن محمد المؤمني ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م):

- فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر ،مخطوط بدار الكتب المصرية- تحت رقم ٢٣٩٩ تاريخ- ميكروفيلم ٣٥٩٦٤.

٣-الرشيدي (أبي عبد الله محمد بن محمد الرشيدي) (د. ت):

- تفريج الكروب في تدبير الحروب ،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ فنون حربية- ميكروفيلم ٢٤٥٦١.

٤-ابن زنبل الرمال (أحمد بن علي المحلي الرمال ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٤م):

- سيرة السلطان قانصوه الغوري مع السلطان سليم ،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤ تاريخ- ميكروفيلم- ١٠٧٠٠.

٥-ابن أبي السرور (محمد بن أحمد بن عوض عبد الخالق البكري الصيرفي ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٨٢ م):

- عيون الأخبار ونزهة الأبصار،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٢ تاريخ م- ميكروفيلم ٥٠٣٠٣.

٦-الفيومي (أحمد بن محمد علي المقري ت ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م):

- نثر الجمان في تاريخ الأعيان ،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٤٦ تاريخ- ميكروفيلم ١٧١٩.

٧-القيسراني (إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي كان حياً قبل ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م):

- النور اللائح والدر الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح ،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٣ تاريخ تيمور- ميكروفيلم ٣٦٤٢٦.

٨-الكرودي (عبد القادر الكلالي الحسين) (د. ت):

- كتاب كشف الغمة في بيان حرب النظام حق على هذه الأمة ،مخطوط بدار الكتب المصريةتحت رقم ٩٥ فروسية تيمور – ميكروفيلم ١٧٧٠١.

٩-**المقدسي** (محمد أبو حامد المقدسي الشافعي) (د. ت):

- دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥٥٤.

١٠-**ابن منكلي الناصري** (محمد بن منكلي ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م):

- التدبيرات السلطانية في سياسة الصنائع الحربية ،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ميكروفيلم ٢٩٩٩.

١١-**ابن واصل** (جمال محمد بن سالم بن واصل ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

- تاريخ الواصلين في أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين،مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٣١٩.

-ثانياً: المصادر العربية المطبوعة:

١-**الأبشيهي** (شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م):

- المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٢م.

٢-**ابن الأثير** (علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

- الكامل في التاريخ، ج١٠، تحقيق خيري سعيد، القاهرة، الناشر مكتبة التوفيقية، ٢٠٠٤م.

٣-**الأسدي** (محمد بن محمد خليل ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م):

- التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٧م.

٤-**الأصفهاني** (أبو عبد الله محمد ابن تقي الدين العماد ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

- الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.

٥-**الأقصرائي** (محمد بن عيسى الحنفي ت ٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م):

- نهاية السؤال والأمنية في تعلم أعمال الفروسية، رسالة دكتوراة غير منشورة بآداب القاهرة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦-**الأندلسي** (أبو عبد الله محمد بن الأزرق ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م):

- بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق محمد بن عبد الكريم، طرابلس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م.

٧-**الأنصاري** (عمر بن إبراهيم الأوسي الأنصاري)(د. ت):

- تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج اسكانلون، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦١م.

٨-**ابن إياس** (محمد بن أحمد بن إياس المصري ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م):

- بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف بتاريخ مصر، ط بولاق ،١٣١١م.

٩-**ابن أيبك الدواداري** (أبو بكر عبد الله بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

-الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب (وهو الجزء السابع من كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢م.

-الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية (وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر)، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة، ١٩٧١م.

-الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر (وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر) ،تحقيق هانس روبرت رويمر، ١٩٦٠م.

١٠-**ابن بطوطة** (عبد الله بن محمد بن إبراهيم ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

- رحلة ابن بطوطة المعروفة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

١١-**البنداري** (الفتح بن علي البنداري ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م):

- سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

١٢-**بيبرس المنصوري الدوادار نائب السلطنة في مصر ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م**:

- التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٨٧م.

- مختار الأخبار، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣م.

١٣-ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، من جـ٦ إلى جـ١٦، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٠م، ١٩٧٢م.
- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جـ١، جـ٢، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠م.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي، جـ١، جـ٢، تحقيق وتقديم فهيم محمد علوي شلتوت، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٨م.

١٤-الجاحظ (أبي عثمان بن بحر الجاحظ ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م):

- القول في البغال، تحقيق شارل بلا، بيروت، ١٩٩٥م.
- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي، طبعة القاهرة، ١٩١٤، طبعة بيروت، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ١٩٦٤م.

١٥-ابن أبي جراده (الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م):

- زبدة الحلب من تاريخ حلب، جـ٢، حققه وقدم له سهيل زكار، دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

١٦ ـ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن سبط، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م):

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، جـ٨، الهند ،حيدرأباد الدكن، ١٩٥١م.

١٧-ابن الجيعان (القاضي بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى المعروف بابن الجيعان ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

- القول المستطرف في سفر مولانا الملك الأشرف أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، منشورات جروس برس، ١٩٨٤م.

١٨-ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

- أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة الأهرام، ١٩٩٨م.

١٩-الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت في القرن ٨هـ/ ١٤م):

-آثار الأول في ترتيب الدول، طبعة بولاق، ١٢٩٥هـ.

٢٠-**الحنبلي** (أحمد بن إبراهيم الحنبلي ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م):

- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.

٢١-**الخزاعي التلمساني** (أبو الحسن علي بن محمد ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م):

- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول (ﷺ) من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٥م.

٢٢-**ابن دقماق** (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمرت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥م.

٢٣-**الدميري** (كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى ت ٨٠٥هـ/ ١٤٠٦م):

- حياة الحيوان الكبرى، القاهرة،(د.ن)، ١٣٠٦هـ.

٢٤-**الذهبي** (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد، السعيد بن بسيوني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.

- دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروه، تقديم محمود الأرناؤط، بيروت،(د.ن)، ١٩٩٩م.

٢٥-**الرازي** (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ت ٧٢١هـ/ ١٢٣١م):

- مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م.

٢٦-**ابن أبي الربيع** (شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع ت ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م):

- سلوك المالك في تدبير الممالك، خط محمد علي الخرساني، القاهرة، المطبعة الخاصة بجمعية المعارف المصرية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٢٧-**ابن رضوان المالقي** (أبي القاسم ابن رضوان المالقي ت ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م):

- الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٤م.

٢٨-**الزمخشري** (محمود بن عمرو الزمخشري ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م):

- الفائق في غريب الحديث ،جـ١، ط٢، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩١م.

٢٩-**ابن زنبل الرمال** (أحمد بن علي المحلي الرمال ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م):

- آخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري، ط٣، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.

٣٠-**السبكي** (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن السبكي ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م):

- معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق محمد علي النجار، أبو زيد شلبي، محمد أبو العيون، القاهرة،(د. ن)، ١٩٤٨م.

٣١-**السحماوي**:

- المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء، تحقيق أشرف أنس، رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب المنصورة، ٢٠٠٤م.

٣٢-**ابن سعيد المغربي** (علي بن سعيد المغربي ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م):

- النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلي المغرب، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م.

٣٣-**السيوطي** (الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ ١٥٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، (د. ن)، ١٩٩٨م.
- طوق الحمامة، تحقيق مصطفى عاشور، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٨٧م.

٣٤-**شافع بن علي** (ابن عباس بن إسماعيل بن عساكر ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م):

- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض،(د. ن)، ١٩٧٦م.

- الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٩٨م.

٣٥-ابن شاهنشاه (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ت ٦١٧هـ/ ١٢١٩م):

- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٥م.

- منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه، القاهرة، دار المنار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

- سيرة صلاح الدين الأيوبي، القاهرة، دار المنار، ٢٠٠٠م.

٣٦-ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م):

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ط٢، صححه بولس راويس، تنقيح توفيق نسيم، القاهرة، دار العرب للبستاني، ١٩٨٩م.

٣٧-ابن شداد (القاضي بهاء الدين ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م):

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ط٢، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤م.

٣٨-ابن شداد (عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم) (د. ت):

- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق واعتناء أحمد حطيط، فيسبادن، ١٩٨٣م.

٣٩-الشيزري (عبد الرحمن بن عبد الله بن نصر ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م):

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٦م.

٤٠-صارم الدين أوزبك (د. ت):

- رسالة في غزو التتار سوريا، ١٢٦٠م، تحقيق وترجمة:

Levi Dellavida, orientalia, IV, 1935.

٤١-صالح بن يحيى (د. ت):

- تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق لويس شيخو، بيروت،(د.ن)، ١٨٩٨م.

٤٢-**الصفدي** (صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م):

- الوافي بالوفيات ،جـ١٠، اعتناء جاكلين سوبلة، علي عمارة، فيسبادن، ١٩٨٠م.

٤٣-**الصقاعي** (فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م):

- تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سوبلة، دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٧٤م
- تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، ق٢، تحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي، زهير حميدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٢م.

٤٤-**ابن الصيرفي** (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم ت ٥٤٢هـ/ ١٢٤٧م):

- القانون في ديوان الرسائل، تحقيق وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد، بيروت، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٠م.

٤٥-**الصيرفي** (علي بن داود بن إبراهيم ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، جـ١، جـ٢، جـ٣، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٣م.

٤٦-**ابن طباطبا** (محمد بن علي بن طباطبا العلوي ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م):

- الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية، تحقيق محمد عبد القادر محمد مايو، حلب، دار القلم العربي، ١٩٩٧م.

٤٧-**الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

- تاريخ الرسل والملوك، جـ٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، المطبعة الحسينية، ١٩٦٦م.
- عيون المسائل في أعيان الرسائل، رتبه وطبعه محمد عمر الحسامي البيروتي، القاهرة، مطبعة السلام، ١٩٦١م.

٤٨-**ابن طولون** (شمس الدين محمد بن طولون ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م):

- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، جـ١،جـ٢، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، وزارة الثقافة، ١٩٦٢م.

٤٩-**ابن عابدين** (محمد بن أمين ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م):

- حاشية بن عابدين، ج٣، القاهرة، دار الطباعة المصرية، ١٩٧٢م.

٥٠-**ابن عبد ربه** (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):

- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

٥١-**ابن عبد الظاهر** (محي الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م):

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر سيده صادق، باكستان، ١٩٥٦م؛ وطبعة الرياض، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م.

٥٢-**ابن العبري** (أبي الفرج جمال الدين غريغورس الملطي ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٦م):

- تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١م.
- تاريخ مختصر الدول، ط٣، تحقيق الأب أنطون صالح، بيروت، المكتبة الشرقية، ١٩٩٢م.

٥٣-**ابن العديم** (كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م):

- زبدة الطلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٤م

٥٤-**ابن عرب شاه** (ابن العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م):

- عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م.

٥٥-**ابن العماد الحنبلي** (أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م):

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، مج٤، ج٧، نشر حسام الدين المقدسي، القاهرة، دار الفكر، ١٣٥١هـ.

٥٦-**العمري** (شهاب الدين أحمد بن فضل الله ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، (د. ن)، ١٩٨٨م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج١، تحقيق أحمد زكي، فرانكفورت،١٩٨٨م.

٥٧-**ابن العميد** (المكين جرجس بن العميد ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م):

- أخبار الأيوبيين، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ت).

٥٨-**العيني** (بدر الدين محمود العيني ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م):

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جـ١، جـ٢، جـ٣، جـ٤، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

٥٩-**أبو الفدا** (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):

- المختصر في أخبار البشر، طبعة بيروت، دار المعرفة، ١٩٦١م، طبعة القاهرة، دار المعارف، ١٣٢٥هـ.

٦٠-**ابن الفراء** (أبو علي الحسن بن محمد المعروف بابن الفراء (د. ت):

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

٦١-**ابن الفرات** (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م):

- تاريخ ابن الفرات المعروف بـــ "تاريخ الدول والملوك"، مج٨، جـ٧ ، تحقيق قسطنطين زريق، بيروت، نشر جامعة بيروت الأمريكية، ١٩٣٦م ؛ مج٤، جـ١، تحقيق حسن محمد الشماع، البصرة، نشر جامعة البصرة، ١٩٧٠م.

٦٢-**ابن أبي الفضائل** (مفضل بن أبي الفضائل ت ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م):

- تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه

2. E. Blouchet, parologia orientalis, XII, XIV, XXII, Paris, 1919.

٦٣-**ابن قاضي شهبة** (أبو بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م):

- تاريخ ابن قاضي شهبه، ثلاثة أجزاء، تحقيق عدنان درويش، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٧٧- ١٩٩٤م.

٦٤-**ابن قتيبة** (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

- عيون الأخبار، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

٦٥-**قدامة بن جعفر** (أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب ت ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م):

- الخراج وصنعة الكتابة ضمن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، طبعة ليدن، ١٨٨٩م.

٦٦-القلقشندى (شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١٤ جزء، طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣- ١٩١٨م.
- ضوء الصبح المسفر وجني الروح المثمر، القاهرة، ١٩٠٦م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٠م.

٦٧-الكتبي (محمد بن شاكر الكتبي ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م):

- عيون التواريخ، جـ٢١، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، بيروت، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث (١٢٢)، ١٩٨٤م.

٦٨-ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي ت ٧٧٤هـ ١٣٧٢م):

- البداية والنهاية، مج٧، جـ١٣، جـ١٤، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٥م.

٦٩-ابن كنان (محمد بن عيسي بن كنان ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م):

- حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق عباس صباغ، بيروت، دار النفائس، ١٩٩١م.

٧٠-الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب النصري ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، بيروت،
- سلسلة نصوص الفكر السياسي العربي الإسلامي، دار العلوم العربية، ١٩٨٧م.

٧١-مجهول: (د. ت):

- تاريخ سلاطين المماليك، تحقيق زيترشتين، ليدن، ١٩١٩م.

٧٢-المرتضى الزبيدي (المرتضى الحسين الزبيدي الحنفي ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م):

- ترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٥م.
- تاج العروس في جواهر القاموس، جـ٨، جـ١٨، دراسة وتحقيق علي شيري، طبعة بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤م؛ طبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م.

٧٣-**المقريزي** (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م):

- الخطط المقريزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء، القاهرة،مطبعة النيل، ١٣٢٦م.
- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبد الحميد عابدين، القاهرة، (د.ن)، ١٩٦١م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، ٤أجزاء ،كل جزء ثلاثة أقسام ،مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠م، ١٩٧٢م، ١٩٧٣م.
- إغاثة الأمة بكشف الغمة، ط٣، نشره محمد مصطفى زيادة، جمال الدين محمد الشيال، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ٢٠٠٢م.

٧٤-**ابن الملقن** (عمر بن علي بن أحمد بن عبد الله سراج) (د. ت):

- نزهة النظار في قضاة الأمصار، تحقيق وتعليق وتقديم مديحة محمد الشرقاوي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦م.

٧٥-**المناوي** (محمد عبد الرؤوف المناوي ت ١٠٣١هـ):

- التوقيف على مهمات التعاريف، ج١، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٠م.

٧٦-**ابن منظور** (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٦٥٦هـ- ١٢٥٨م):

- لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م.

٧٧-**ابن منكلي** (محمد بن منكلي الناصري ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م):

- الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في القتال في البحر، رسالة دكتوراه غير منشورة بآداب القاهرة، تحقيق عبد العزيز محمود عبد الدايم، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة، دار الكتب المصرية، ٢٠٠٠م.

٧٨-**ميخائيل بن نقولا الصباغ** (د. ت):

- مسابقة البرق والغمام في سعادة الحمام، باريس،(د.ن)، ١٨٠٥م.

٧٩-**النابلسي** (ابن عثمان النابلسي الصفدي عاش في القرن ٧هـ/ ١٣م):

- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، تحقيق كلود كاهن، القاهرة، (د.ت).

٨٠-ابن ناظر الجيش (تقي الدين عبد الرحمن الدين محمد الحلبي بن محب) (د. ت) :

- تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف فسلي، القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٧م.

٨١-نظام الملك (نظام الملك حسين الطوسي ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م):

- سياسة نامه أو سياسة الملوك، ط٢، ترجمة يوسف حسين بكار، الدوحة، دار الثقافة، ١٩٨٧م.

٨٢-ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف ت ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م):

- التاريخ المنصوري أو تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تحقيق أبو العيد دودو، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٩٠م.

٨٣-النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م):

- نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩، ج٣٠، ج٣١، ج٣٢، القاهرة، طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٠- ١٩٩٢م.

٨٤-النيسابوري (أحمد بن محمد بن أبي الفضل ت ٥٣١هـ/ ١٣٧٣م):

- السامي في الأسامي، تحقيق محمد موسى هنداوي، القاهرة، (د. ن)، ١٩٦٧م.

٨٥-الهرثمي (صاحب المأمون أبو سعيد الشعراني الهرثمي ت ق ٣هـ/ ق٩م):

- مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ١٩٦٤م.

٨٦-الهروي (علي ابن أبي بكر الهروي ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م):

- التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق مطيع المرابط، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢م.

٨٧-ابن واصل (القاضي جمال الدين الحموي ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م):

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٣م؛ ج٥، تحقيق حسنين محمد ربيع، سعيد عاشور، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٧م.

٨٨-ابن وصيف شاه المصري ت في القرن ٧هـ/ ١٣م:

- جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف بـــ "فضائل مصر وأخبارها"، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الثقافة، ٢٠٠٤م.

٨٩-**ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي،٥ أجزاء ، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٩٠-**يحيى بن الحسين** (يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ت ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م):

- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٨م.

٩١-**أبو يوسف** (يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م):

- كتاب الخراج، تحقيق محمد إبراهيم البنا، طبعة القاهرة، دار الإصلاح للطبع والنشر، ١٩٨١م ؛ طبعة بيروت، تحقيق ونشر وعناية أحمد محمد شاكر، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

٩٢-**اليوسفي** (موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٦م.

١٢-**اليونيني** (قطب الدين أبو الفتح بن محمد أحمد ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م):

- ذيل مرآة الزمان، جـ١، الهند،حيدر أباد الدكن، ١٩٩٥م؛ جـ٢، ١٩٥٥م؛ جـ٣، ١٩٦٠م؛ جـ٤، ١٩٦١م.

ثالثاً: المراجع العربية:

١-**إبراهيم أنيس:** المعجم الوجيز، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٠م

- المعجم الوسيط، جـ٢، ط٢، القاهرة، مجمع اللغة العربية.

٢-**إبراهيم حسن سعيد:** البحرية في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٣-**إبراهيم خميس إبراهيم:** دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة فرسان الداوية)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.

٤-**إبراهيم عبد المنعم**: جوانب من تاريخ مصر في عصري الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د. ت).

٥-**إبراهيم علي طرخان**: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة، (د. ن)، ١٩٦٠م.

٦-**إبراهيم علي محمد**: المدخل إلى علم الاستخبارات رؤية إسلامية، الخرطوم، الدار السودانية للكتب، (د. ت).

٧-**أحمد الحفناوي**: حركات ومؤامرات مناهضة في تاريخ الإسلام، المنصورة، دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٦م.

٨-**أحمد رمضان أحمد**: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب الجامعية، ١٩٧٧م.

٩-**أحمد شلبي**: الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، ط٢، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.

١٠-**أحمد عبد الرازق أحمد**: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

١١-**أحمد عبد الرازق أحمد**: وسائل التسلية عند المسلمين، ضمن كتاب "دراسات في الحضارة الإسلامية بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري"، مج١، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٢-**أحمد عبد الرازق أحمد**: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ج١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.

١٣-**أحمد عبد الكريم سليمان**: المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٤م.

١٤-**أحمد فتحي سرور**: الوسيط في قانون العقوبات، ج١، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

١٥-**أحمد مختار العبادي**: قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٨م.

١٦-**أحمد هاني**: الجاسوسية بين الوقاية والعلاج، القاهرة، الشركة المتحدة، ١٩٧٤م.

١٧-**أنور الرفاعي**: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية، ط٣، دمشق، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.

١٨-**أنور زقلمة**: المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٥م.

١٩-**أيمن أبو الروس:** عالم الجاسوسية ودنيا الغموض والأسرار، الإسكندرية، مكتبة ابن سينا، ١٩٩١م.

٢٠-**بسام العسلي:** فن الحرب الإسلامي، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٨٨م.

١١-**البقلي** (محمد قنديل البقلي) (د. ت):

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

٢١-**بيومي الشربيني:** الوفود السياسي لمصر والشام إبان حكم سلاطين المماليك،المنصورة، ٢٠٠٣ م.

٢٢-**جمال الدين الشيال:** الأساطيل المصرية ومحاولة الاستيلاء على جزيرة رودس في عهد السلطان المملوكي جمق ضمن كتاب "دراسات في التاريخ الإسلامي"، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م.

٢٣-**جورجي زيدان:** تاريخ التمدن الإسلامي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٨م.

٢٤-**حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن:** النظم الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٣٩م.

٢٥-**حسن الباشا،** الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

٢٦-**حسن الباشا:** الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥- ١٩٦٦م.

٢٧-**حمدي عبد المنعم:** تاريخ الأيوبيين والمماليك، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨م.

٢٨-**حسن عبد الوهاب حسين:** تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م.

٢٩-**حسن عبد الوهاب حسين:** الجريمة والعقوبة في المجتمع الصليبي ببلاد الشام، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

٣٠-**حسن محمد النابوده، محمد عبد القادر خريسات:** صاحب الخبر في الدولة الإسلامية، العين، مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٣م.

٣١-**أبو زيد شلبي:** تاريخ الحضارة الإسلامية، ط٣، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٦٤م.

٣٢-**سعيد أبو حبيب**: القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٢م.

٣٣-**سعيد عبد الفتاح عاشور**: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م.

٣٤-**سعيد عبد الفتاح عاشور**: قبرص والحروب الصليبية، ط٣، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢م.

٣٥-**سعيد عبد الله حارب**: العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية،بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٥م.

٣٦-**سلامة محمد الهرفي**: المخابرات في الدولة الإسلامية، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٨٩م.

٣٧-**سمير عبد الله**: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ المصريين، ع٢٥٧، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

٣٨-**سهام مصطفى أبو زيد**: الحسبه في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر المملوكي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٣٩-**سوسن محمد نصر**: القاضي الفاضل وصلاح الدين والوحدة الإسلامية، القاهرة، دار الزهراء، ١٩٩٠م.

٤٠-**سيد علي الحُرير**: الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط٣، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥م.

٤١-**شلبي إبراهيم الجعيدي**: طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي،القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،٢٠٠٣م .

٤٢-**شلبي إبراهيم الجعيدي**: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، المنصورة، مكتبة الأصدقاء، ٢٠٠٦م.

٤٣-**صابر محمد دياب**: العلاقات بين الشرق والغرب عصر الحروب الصليبية، ط٣، الفيوم، مكتبة الغزالي، ٢٠٠٣م.

٤٤-**صبحي الصالح**: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.

٤٥-**صبحي عبد المنعم:** سياسة المغول الإيلخانيين تجاه دولة المماليك في مصر والشام، ط٢، القاهرة، دار العربي، ٢٠٠٦م.

٤٦-**صلاح الدين المنجد:** فصول في الدبلوماسية، الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

٤٧-**صلاح الدين نوار:** الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، الإسكندرية، دار المعارف، (د. ت).

٤٨-**عارف عبد الغني:** نظم الاستخبارات عند العرب والمسلمين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.

٤٩-**عبد الجواد خلف:** القاضي بدر الدين بن جماعة حياته وآثاره، كراتشي، باكستان، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م.

٥٠-**عبد الرحمن زكي:** معارك حاسمة في تاريخ مصر دمياط والمنصورة، القاهرة (د. ن)، ١٩٤٥م.

٥١-**عبد الرؤوف عون:** الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١م.

٥٢-**عبد العزيز الخويطر:** الملك الظاهر بيبرس، ط٣، الرياض، مؤسسة الجريس، ١٩٨٩م.

٥٣--**عبد العزيز محمود عبد الدايم:** الحيل في حروب دولة المماليك، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٣م.

٥٤-**عبد المنعم ماجد:** نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٥٣م.

٥٥-**عبد المنعم ماجد:** نظم دولة المماليك ورسومهم في مصر، جـ١، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٤م.

٥٦-**عبد المنعم ماجد:** التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو ١٩٨٨م.

٥٧-**عبد الله البستاني اللبناني:** فاكهة البستان، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٣٠م.

٥٨-**عبد الله مناصره:** الاستخبارات العسكرية في الإسلام، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩١م.

٥٩-**علاء طه رزق:** السجون والعقوبات في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠٢م.

٦٠-**علي إبراهيم حسن:** دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، القاهرة، (د. ن)، ١٩٤٤م.

٦١-**علي السيد علي:** القدس في العصر المملوكي، القاهرة، دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

٦٢-**علي السيد علي:** الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، ١٩٨٨م.

٦٣-**علي محمد حسنين:** الرقابة الإدارية في الإسلام، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٥م.

٦٤-**علي النميري:** الأمن والمخابرات نظرة إسلامية، الخرطوم، مركز الدراسات الاستراتيجية، ١٩٧٧م.

٦٥-**فايد حماد عاشور:** العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م.

٦٦-**فتحي عثمان:** الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، (د. ت).

٦٧-**قاسم عبده قاسم:** أهل الذمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م.

٦٨-**قاسم عبده قاسم، علي السيد علي:** الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، القاهرة، عين للدراسات والبحوث، ١٩٩٥.

٦٩-**مأمون فريز جرار:** الغزو المغولي أحداث وأشعار، الرياض، دار البشير، ١٩٨٤م.

٧٠-**ماهر أحمد:** صعيد مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠٠٤م.

٧١-**محمد أحمد دهمان:** ولاة دمشق في عهد المماليك، دمشق، (د.ن)، ١٩٨٤م.

٧٢-**محمد أحمد دهمان:** معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٠م.

٧٣-**محمد أركان الدغمي:** التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ط٢، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

٧٤-**محمد التابعي:** السفارات في الإسلام، القاهرة، مكتبة مدبولي، (د. ت).

٧٥-**محمد جمال الدين سرور:** دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٤٧م.

٧٦-**محمود خليل:** نيابة غزة في العهد المملوكي، بيروت، (د. ن)، ١٩٨٦م.

٧٧-**محمد الشافعي:** التجسس على عصر الرسول، القاهرة، دار الشباب العربي، ١٩٩٦م.

٧٨-**محمد ضيف الله بطاينة:** تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، جـ١، عمان، دار الفرقان ، ١٩٧٢م.

٧٩-**محمد عبد المنعم الراقد:** الغزو المغولي لمصر ونتائجه على الوطن العربي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٧٢م.

٨٠-**محمد فريد وجدي:** دائرة معارف القرن العشرون، جـ٣، بيروت، دار الفكر، (د. ت).

٨١-**محمد مصطفى زيادة:** حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦١م.

٨٢-**محمود نديم:** الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

٨٣-**منى محمد بدر:** أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي، جـ١، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م.

٨٤-**ميشيل لباد:** الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف، بيروت، (د. ن)، ١٩٦٥م.

٨٥-**نبيل محمد عبد العزيز:** الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م.

٨٦-**نجوى كمال كيره:** محاضرات في تاريخ مصر في عصر دولتي المماليك، المنصورة، مكتبة الصفوة، ٢٠٠٨م.

٨٧-**نظير حسان سعداوي:** نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار مصر، ١٩٥٣

٨٨-**نظيرحسان سعداوى :** التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧م.

٨٩-**نظير حسان سعداوي:** الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١م.

٩٠-**نعمان الطيب سليمان:** جهود المماليك في تصفية الوجود المغولي بالشام، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية، ١٩٨٨م.

٩١-**نور الدين خليل**، سيف الدين قطز قاهر المغول، القاهرة، مؤسسة حورس الدولية، ٢٠٠٥م.

٩٢-**وفيق الدقدوقي**: الجندية في عهد الدولة الأموية بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

٩٣-**وهبه الزحيلي**: العلاقات الدولية مقارنة مع القانون الدولي الحديث، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

رابعاً: المراجع المترجمة:

١-**آدم ميتز**: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

٢-**ا. س. ترتون**: أهل الذمة في الإسلام، ط٣، ترجمة وتعليق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

٣-**أنجيلو كودفيلا**: المخابرات وفن الحكم، ترجمة محمد صبري الصاوي، مراجعة د. السيد عطا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

٤-**برنارد لويس**: الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام، تعريب محمد العزب موسى، بيروت، دار المشرق العربي الكبير، ١٩٨٠م.

٥-**ستيفن رنسيمان**: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ط٢، ترجمة سيد الباز العريني، بيروت، مطبعة دار الثقافة، ١٩٦٨م.

٦-**فرهاد دفتري**: الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم، ترجمة سيف الدين القصير، دمشق، دار المدى للثقافة، ١٩٩٩م.

٧-**فيليب حتي**: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، مراجعة جبرائيل حبور، بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩م.

٨-**ماركو بولو**: رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦م.

٩-**ماير**: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيني، مراجعة عبد الرحمن فهمي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م.

١٠-**نيكتا أليسيف**: السلطان نور الدين محمود زنكي، ترجمة سليم قندلفت، دققه وراجعه وأشرف عليه علي القيم، دمشق، مطبعة الأديب، ١٩٩٨م.

١١-**يلماز اوزتونا**: تاريخ الدولة العثمانية، مج١، ترجمة عدنان محمود سليمان، استانبول، مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨٨م.

خامساً: الرسائل العلمية:

١-**إبراهيم حسن سعيد:** الجيش في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.

٢-**أجفان الصغير:** المؤسسات الإدارية في الخلافة الفاطمية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.

٣-**أكرم حسن العلبي:** نيابة دمشق في نهاية عهد المماليك حتى "عهد سيباي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.

٤-**أميرة فهمي علي:** السلطان الأشرف قايتباي المحمودي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة حلوان، ٢٠٠١م.

٥-**جمعه جمال عبد العال:** الثورات الشعبية في الدولة الأيوبية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٦م.

٦-**جميل جمول:** مصر والحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٤م.

٧-**جيهان فاروق عبد العظيم:** القلاع والحصون الحدودية الشامية الشرقية والشمالية للسلطنة الماليكية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ٢٠٠٧م.

٨-**حسن فرحات عبد الساتر:** الدواوين في مصر في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.

٩-**حسن فرحات عبد الساتر:** دور أصحاب الدواوين السياسي والحضاري في مصر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٦م.

١٠-**رجاء علي أنور:** النظام الإداري في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية بنات، جامعة الأزهر، ١٩٨٨م.

١١-**رزق محمد نسيم عبد المهيمن:** دور العلماء في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٢م.

١٢-**رزق محمد نسيم:** الثغور المصرية ودورها السياسي والحضاري في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠١م

١٣-**سليمان عطية:** سياسة المماليك في البحر الأحمر حتى نهاية عصر السلطان برسباي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٩م.

١٤-**سمير حامد محمد:** الاغتيالات في مصر الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٦م.

١٥-**سند أحمد سند:** البريد في عصر دولة سلاطين المماليك البحرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠م.

١٦-**السيد عبد الحليم عبد العال:** العلاقات السياسية بين المماليك والعثمانيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٧م.

١٧-**الشافعي محمد أمين:** دار ضرب القاهرة ونقودها في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٣م.

١٨-**صلاح مهران محمد:** الحركات السياسية والدينية في مصر خلال العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٨٢م.

١٩-**طه عبد العزيز محمد:** العلاقات المملوكية العثمانية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٦م.

٢٠-**عبد الغني عبد السلام عبد الغني:** نظام السجون في مصر في العصر المملوكين رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥م.

٢١-**عبد الغني عبد السلام عبد الغني:** العيون والجواسيس منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر العباسي الأول، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٣م.

٢٢-**عبد المقصود عبد الحميد محمود:** السياسة الداخلية للأيوبيين في مصر، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٨٤م.

٢٣-**عثمان عبد الحميد محمد:** الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٤-**عفاف سيد محمد:** ديوان الإنشاء وتطوره في عصري الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٥-**علي محمد علي:** بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٦م.

٢٦-**عماد محمد محمد:** العلاقات بين دول المماليك البرجية والدولة العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار علوم، جامعة المنيا، ٢٠٠٢م.

٢٧-**فاتن عبد الحليم إبراهيم:** تاريخ التراجمة في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية فرع البنات، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠م.

٢٨-**فاتن عبد الحليم إبراهيم:** تاريخ العقوبات وطرق تنفيذها في مصر في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات الإنسانية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥م.

٢٩-**فاطمة عبد اللطيف أحمد:** معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين في بلاد الشام ومصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٣٠-**فايد حماد عاشور:** التنظيمات العسكرية المغولية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٢م.

٣١-**كرم كمال الدين الصاوي:** ممالك النوبة في العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره في انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

٣٢-**كمال بدور:** حلب في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، ٢٠٠٢م.

٣٣-**لبيبة إبراهيم مصطفى:** الفتن والقلاقل الداخلية في دولة سلاطين المماليك وآثارها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٤-**ماجدة مصطفى نادين:** قلعة الجبل في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

٣٥-**محمد عبد الله محمد المقدم:** الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م.

٣٦-**محمد فتحي عوض:** إقليم الشرقية في عصري سلاطين الأيوبيين والمماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٧-**محمود إبراهيم شلبية:** علاقات المغول بسلطنة المماليك في مصر والشام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.

٣٨-**مصطفى علي إبراهيم:** أمراء الطواشية ودورهم السياسي والحضاري في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥م.

٣٩-**منى إبراهيم عبد الرحمن:** السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

٤٠-**وفاء محمد إبراهيم:** ساحل الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩٨م.

سادساً: الدوريات العلمية:

١-**إبراهيم العدوي:** السفارات الإسلامية إلى أوربا في العصور الوسطى، القاهرة، دار المعارف، سلسلة اقرأ رقم ١٧٩ نوفمبر ١٩٥٧م.

٢-**أحمد رمزي بك:** الحمام الزاجل، مقال منشور بمجلة الرسالة، ع ٧٧، بيروت، ١٩٤٨م.

٣-**أسامه محمد أبو نحل:** جان بردي الغزالي المملوكي والدولة العثمانية رؤية تاريخية جديدة، مقال منشور على جوجل ، غزة، ٢٠٠٢م.

٤-**جمال الدين الشيال:** الجاسوسية في حروب بني أيوب، مقال منشور ضمن كتاب دراسات في التاريخ الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨١م.

٥-**خالد جاسم الجناني:** حضارة العراق، ج٦، مقال: الجيش والشرطة، بغداد، ١٩٨٤م.

٦-**سمير الدروبي:** البحوث حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي (البواعث واللغات والمترجمات)، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.

٧-**سوسن سليمان يحيى:** أمن مصر القومي على عهد صلاح الدين الأيوبي "سور العرب العظيم وقلعة الإسلام"، مجلة الزهراء، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر، ع ٦، القاهرة، ١٩٩٣م.

٨-**صلاح الدين البحيري:** المخابرات الإسلامية في مواجهة الصليبيين، مجلة كلية الآثار، ع ٣، القاهرة، ١٩٨٩م.

٩-**عادل عبد الحافظ حمزة:** دور خايربك المملوكي في موقعة مرج دابق، المجلة التاريخية المصرية، ع ٣٦، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٠-**علاء طه زرق حسين:** القطع البحرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (الشكل والوظيفة)، مجلة الإنسانيات، تصدر عن جامعة دمنهور، ٢٠٠١م.

١١-**علي السيد علي:** الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك، مجلة فكرة، ع ١٠، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٢-**علي السيد علي:** التراجمة في عصر سلاطين المماليك، مجلة التربية، ع ١٠٢، القاهرة، ١٩٩٢م.

١٣-**علي السيد علي:** الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ع ١٥، ١٩٩٥م.

١٤-**علي السيد علي:** الإسهام العسكري المصري في موقعة عين جالوت، مجلة موكب النور أو أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٥-**قاسم عبده قاسم:** أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، القاهرة، مجلة موكب النور، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.

١٦-**محمد مصطفى زيادة:** نهاية السلاطين والمماليك، المجلة التاريخية، ع٤، القاهرة، ١٩٥١م.

١٧-**منى محمد بدر:** العقوبات وطرق تنفيذها من خلال صور المخطوطات الإسلامية في القرن السابع حتى القرن الحادي عشر (١٣- ١٧م)، بحث منشور في الملتقى الثالث بجمعية الآثار بين العرب، جـ٢، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٨-**نبيل محمد عبد العزيز:** الحمام الزاجل وأهميته في عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية، ع ٢٢، القاهرة، ١٩٧٥م.

١٩-**نظير حسان سعداوي:** دولة البرين والبحرين، المجلة التاريخية المصرية، ع ١٣، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٠-**نعمان أنطون:** الطائر الغريد في وصف البريد، مجلة المقتطف، ١٨٩٠م.

ثامناً: المراجع الفارسية:

- محمد معين: فرهنك فارس، طبعة نهران، ١٣٥٧ هـ ش.

سابعاً: المراجع الأجنبية:

- **A. Abdul – Aziz Khowaiter:** Baibars the first, London, 1978.
- **Daileader:** True citizens: violence, Memory and Identaty in the Medival community of perpignan (1162- 1397) E. J. Brill, 1995.
- **Gau de Fory Demom bynes**: la surie a l'epoque des mamelouks, Paris, 1923.
- **Hautecoeur et wiet**: les mosques du Caire, 1, Paris, 1932.
- **J. sauvaaget:** la post aux chevaux dans l'empire des mamelouks, Paris, 1941.

- **Levanoni Amalia:** Aturnig point in Mamluk History the third Reign of Al. Nasir Muhammad Ibn Qalawan (1310- 1341), E. J. Brill, 1995.
- **Marshall Christopher:** warfar in the latin East, Cambridge, 1992.
- **P. Amitai**: Mongols and Mamluks (1260- 1281), Cambridge, 1995.
- **R. Amitai:** Mamluk Espionage among Mongols and Franks, AAs, XXII, 1988.
- **R. Amitai**: Morgan David, the Mongol Empire and Its Legacy, Cambridge, 1992.
- **R. Hartmann:** politische Geographie des Mamlukenteiche, ZDMG, 70, (1916).
- **S. F. Sadeque:** Development of Al – Barid or Mail- post during the Reign of Baybars I of Egypt (1260- 1276), JASP, XIV, (1969).
- **Thorau:** the Lion of Egypt sultan Baybars, traus Hort, New York, 1987.
- **W. Biorkman:** Beitrage zur Geschichte der staatskanzlei im Islamischen Agypten, Hamburg, 1928.


فهرس الملاحق

فهرس الملاحق

أولاً:- النصوص

ثانياً:- الجداول

agents who worked for enemies. Salibies, maghols and ottman depended on spy in their invasion of Ayoub and Mamluk countries, and how ottomans managed finally to control the Mamluk country and established Ottman Khelafa in Egypt and Syria thanks to owing spies and agents.

The forth chapter dealt with the role of spy in maintain internal security, and I showed, in it, **protective procedures that the country toke to prevent its security** from leakage of spies of enemies into the country and to prevent leakage of information to enemy which is called" protective spy" by preserving ways and protecting gaps and being cautious about leakage of information and news to the enemy.

As for the role of spy in facing disorders and internal revolutions, princes and sultans depended on agents and spies in deciding trials and plots they planned for each other, either in exposing or carrying them out, and how agents and spies of sultans managed to uncover the greatest possible quantity of these plots.

I talked about **the role of spy in getting rid of Shiites** and how Ayoub and Mamluk Sultans managed, by using spies, to get rid of Shiite and killing them, but they used the manner spying to get rid of Ayoub and Mamulk Sultansand so sultans joined them to spy workers in order to do tasks of assassinations against enemies and agents.

And I talked about **the role of spy in the economic life** and what spies did in watching the state of marks and how they managed to refresh the commercial state that was between them and enemies as it preserved money of sultans greed people and I showed the leading role of woman in works of spy, inside and outside, and how she managed to get a lot of information that spies of men were not able to get.

Finally, **punishments that the country applied to enemies and cheaters** who were arrested and uncovered inside the lands of Ayoub and Mamluk. These punishments diversified between killing, centering, and a lot of punishments that were mentioned, and it was clear that most applied punishment between those punishments were the penalty of killing.

As for **collecting information in the marine battlefield,** it was a specialization of another group that was represented in (divers) and some marine ships represented in (Al-Aghriba- Al-Sheti-Deghis- boats) and some exploratory campaigns that sultans sent to countries of enemies to spy their news and collect information until they return from their tasks.

Collecting information outside field battle was the task of another group represented in (messengers and ambassadors - lessees and political expatriates – prisoners - merchants and travelers – El-Orban tribes and Turkmen – clergy – slaves - volunteers and public-secret nets and agents) and it talked about the role of each of them individually in the process of collecting information and delivering it to officials in the country, and tasks that they did for spy.

As for **means of transporting information** ,that was collected by spy workers, and other collectors of information, either in overland battlefield or marine battlefield, or other sources outside battlefield, they were taken care of by sultans, they, even more than this, have diversified and developed them, as they were careful to deliver this information as quickly as possible. Between those means (mail ships and arrows-horses and camels- mailing by fires or smoke- carrier-pigeon). The process and ways of sending information, by those means, showed how enemies discovered those means and observed them to prevent arrival of this news, which pushed sultans to fraud in order to send information , which we call in our age (invisible ink) and it diversified between (conditioners – invisible ink- blinding with symbols and signals- blinding with numbers and letters).

The third chapter talked about spy and foreign mistakes and I talked about **the role of spy in facing the salibi, ottmani, and magholi danger**, and how spies played an effective role in facing these dangers by spreading them into cities of enemies and boundaries of their countries to know their news: as their military supplies and political communications and warning of any expected raids of them on the country, it leaded sometimes even to arrest some of their spies. They also helped sultans defending Islamic areas that enemies wanted to control, and they had, also, a great role in exposing cheaters and

Adel Al-Ayoubi" was the least sultan who depended on them as the percentage reached 0.07%.

Requirements That Should Be available for Spy workers, Sultans established many requirements that should be available for those workers in view of their importance, and because they are considered the heart of this organization, if they are good the organization well be good, and if they are bad, the organization will be bad. All of this made them in solitude of remainder workers of the state because their work is one of the hardest and roughest works.

And as for the states caring of Spy Workers: Sultans were interested in spy workers and gave them a very special care in view of importance of those workers for the state. This care was represented in paying those salaries from a private fund, besides punishing everyone, who offends them, with the toughest punishment, and they were giving them gifts, presents, donations and endowments.

The second chapter talked about collecting information and how Ayoub and Mamluk Sultans depended on a group of military commands that are inside the army, to spy and collect information about enemies in the field of overland battles. These commands were represented in (the command of vanguards soldiers), yazk command, scouting command, and sraya command, and this study showed the systems that these commands used from their exit, in the front of army to collect information, until their return back to army, with the information they have got, and it showed how information was collected, and tasks they did behind enemy lines. For example, collecting information about land topography on which the battle will take place, and collecting information about comers and enterers to the state, sending spies into rows of enemies to collect information about them, telling sultans about enemies' equipments and supplies, maintaining confidentiality of movements of Islamic armies, preventing leakage of spies of enemies into camp of Muslims and arresting them, and nicking to explore battle field.

Spy at The Mamluk and Ayoub Age
(567-923 Hijri- 1171-1517 AD)

This thesis consists of a preface, an introduction and four chapters:

The first Chapter taloked about the management of spy at The Mamluk and Ayoub Age. The study showed how the management of spy was subjected to in the beginning to sultans and military leaders, but as a result of their being busy with several affairs, they assigned its management to a person that they trust. So, the assigned it to the holder of Dewan Al-Inshaa who was taking supervision of spy workers, choosing spies and narks, sending them to lands of enemies and spreading them between enemies. Because the two states, Ayoub and Mamluk state, were in desperate need of spy, as it does not work well except if its manager is highly efficient. So, we find that sultans established some requirements that should be available for the person who takes this position, with the multitude of specialization of the holder of Dewan Al-Inshaa and the large quantity of spy tasks at that time, there should have been a group of assistance for him to manage those workers. There were, between them,(vice secret writer, writer , editor and browser, holder , doorkeeper of dewan). It was clear that the management of spy is strong when the state is strong and weak when the state is weak.

As for **spy workers**, Ayoub and Mamluk sultans relied on a group of workers; each of them did a specified job. There were some of those workers who were working for spy in the first place and they were those who collect news and deliver it to sultans. Some of them was responsible for administrative supervision of previous workers and organizing them and they help the holder of Dewan Al-Inshaa doing this, beside doing tasks of their basic jobs, and the study showed that the Marine Mamluk Age was the most age that depended on spy workers, as the percentage reached 54%, while the Ayoub age was the least age that depended on them, as the percentage reached 17%. And the Sultan "Al-zaher Bibers" was the most sultan who depended on them as the percentage, of his dependence on them, reached 14%, while the sultan "Al-